

عوض بن حمد القوزي

كلمات وشهادات وأبحاث مهداة

حـــرره

مــرزوق بن تنبــاك　　　أبوأوس الشمسان

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

المفردات

عوض بن حمد القَوزي

كلمات وشهادات وأبحاث مهداة

حــــرره

مرزوق بن تنباك أبوأوس الشمسان

الناشر

دار المفردات

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العمري، مرزوق بن صنيتان
عوض بن حمد القوزي/ مرزوق بن صنيتان العمري؛ إبراهيم سليمان الشمسان.- الرياض، ١٤٤٠هـ.
٢٣٢ ص؛ ١٤ × ٢١ سم
ردمك: ٠ - ٠٨٧٥ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - التراجم أ. الشمسان، إبراهيم سليمان (مؤلف مشارك) ب- العنوان
ديوي ٩٢٠ ١٤٤٠/٨٨٨٥

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٨٨٨٥
ردمك: ٠- ٠٨٧٥- ٠٣- ٦٠٣- ٩٧٨

صممت الغلاف الخارجي بدور بنت إبراهيم الشمسان

دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض
المملكة العربية السعودية
ص.ب: ٧٠٢/ الرمز البريدي: ١١٤٢١
هاتف: ٤٧٠٨٥٢٩، فاكس: ٤٧٠٨٥٤٥
الموقع الإلكتروني: www.almufradat.com
البريد الإلكتروني: almufradat@gmail.com

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

أموت وفي نفسي شيءٌ من حتّى

عبارة كان يرددها دائمًا..

وكان رحمه الله محبًا لعلمه، معطاء في فكره، حنونًا رحومًا، لا يستحي من نزول دمعة الشوق، ولا من التعبير عن حبه لنا، لا يقبل بقبلة الجبين منفرده. يجب أن يحتضننا في كل لقاء ليهمس لنا أو نهمس له (وهنا نختلف جميعنا من دعاء له أو عتاب شوق أو طلبات مدرسية أو شكوى اعتراضية).

كانت التعليقة على كتاب سيبويه تكتب على مائدة الطعام تنصت لنا وننصت لها إلى أن زفها أبي إلى قرائها. وكل بحث وكل ندوة وكل محاضرة كان لها نصيب في تقاسيم الزاد معنا. كان يحب أن يؤلف بين قلوبنا والعربية.

استودعنا أبي في رحمة الخالق وفي قلبنا فرحة له بلقاء رب العباد. فقد كان يعمل كل يوم من حياته لأجل هذا اللقاء، وقد تعطر بالمسك والكافور. ودمعة شوق تدعو بأن نجتمع وإياه في جنان النعيم.

أمل بنت عوض القوزي

المحتويات

الموضوع		ص
مقدمة		١
سيرة ذاتية	عوض الحويس	٣
ندوة تأبين الدكتور عوض القوزي		١١

كلمات تأبين

رحم الله عوض القوزيّ	أبوأوس إبراهيم الشمسان	٣٣
د.عوض القوزي.. تبكيه لغة الضاد	د. عائض الردادي	٣٦
عوض القوزي.. إلى رحمة الله	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	٣٩
رائد القوم لا يكذبهم (في ذمة الله يا دكتور/عوض بن حمد القوزي)	الشيخ/عبده بن محمد بن أحمد القوزي	٤٢
عوض القوزي! وداعا أعز الرجال	محمد بن ناصر الأسمري	٤٥
عوض القوزي وداعًا.. وشكرًا للأوفياء ومحمد شرارة	محمد بن ناصر الأسمري	٤٨
رحم الله الدكتور عوض القوزي أحد روّاد اللغة العربية	عبدالله بن حمد الحقيل	٥١
عوض القوزي «النحوي» الذي رحل ولم يكمل حلمه!	محمد المرزوقي	٥٣
الدكتور عوض القوزي عالم فذٌّ	معن بن حمد الجاسر	٥٦
عوض القوزي فقدان تسيل له دمعة القلب	أ.د. صالح زيّاد الغامدي	٥٧
وأخيرًا ترجل الفارس	أ.د. أحمد مطـــر العطية	٦٠

قصائد

عوض القوزي سيبويه زمانه	محمد علي حسن شرارة القوزي	٦٥
رثاء الزميل/ عوض بن حمد القوزي	أ.د.فضل بن عمّار العمّاري	٦٨
يعزُّ علينا فراقُ مثله	أ.علي الخويلدي	٧٠

شهادات

ما إنْ لعوض من عوض	أبوأوس إبراهيم الشمسان	٧٧
كلمة يحسها الوجدان ولا يعبر عنها	مرزوق بن تنباك	٨٩

اللسان		
الدكتور: القوزي.. نادر المثال	أ.د. حمزة بن قبلان المزيني	١٠٠
كلـمة	أ.د.فضل بن عمّار العمّاري	١٠٥
خواطر في رحيل شيخنا القَوزي	د.عادل بن معتوق العيثان	١٠٩
أيام لا أنساها مع القوزيّ	صالح بن سليمان الحِجّي	١١٥
أعلام في الظل: عوض القوزي	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	١٢١

من إصداراته

كتاب المصطلح النحوي	١٢٩
كتاب "ما يحتمل الشعر من الضرورة"	١٣١
معاني القراءات لأبي منصور الأزهري	١٣٣
التعليقة على كتاب سيبويه لأبي علي الفارسي	١٣٥

بحوث مهداة

التراث الممتوح في شعر سعد مصلوح	أبوأوس إبراهيم الشمسان	١٣٩
(المنامة)"توءامة" و(دخان) "بُلبول"	أ.د. فضل بن عمّار العمّاري	١٦٢
الجهود النّحويّة لأبي العلاء المعرّي في "عبث الوليد"	أ.د. ناديا حسكور	١٨١

ملاحق

ملحق (١) خطاب منه بتنازله عن تحقيق كتاب	٢١٩
ملحق (٢) طلب صور من مخطوطات	٢٢٠
ملحق (٣) طلب تصوير وتنفيذ الطلب	٢٢١

مقدمة

من التقاليد الجامعية الحميدة ما تفعله بعض الجامعات العربية، وهو أنها إذا منيت بوفاة أحد أساتذتها الأعلام أصدرت كتابًا يضم جملة من كلمات التأبين وشهادات تبين جوانب من علاقات كاتبيها بالأستاذ، وهي أخبار شخصية فريدة كان يمكن أن يطويها الزمن لولا أن تهيأ لها هذا الذكر، وربما ضم الكتاب جملة من الأبحاث التي تهدى إليه، وهذا على سبيل المجاز فقد مضى وفاته أمر الإهداء إلا من أجر ومثوبة عند الله، ومن أنشط الجامعات في هذا الشأن حسب معرفتي جامعة الكويت، وكانت جامعة الملك سعود ربما تبادر إلى شيء من هذا ولكنه غير مستمر، وكان أستاذنا الدكتور محمد خير البقاعي دعا بعيد وفاة زميلنا د.عوض بن حمد القوزي رحمه الله إلى نشر كتاب عنه، وجمعنا مادة يسيرة؛ ولكن مضى الوقت من غير أن ينشط إلى ذلك أحد، فلما استيأسنا اتفقنا أن ننجز معًا الكتاب، وقد تفضل القسم بإعلان رغبتنا والتوصية بإرسال الموضوعات فوصلنا شيء يسير منها؛ ولكن ضممنا إلى ذلك ما أمدنا به مركز حمد الجاسر الثقافي، الذي نظم ندوة لتأبين الدكتور عوض شارك فيها الدكتور مرزوق بن تنباك والدكتور أحمد الزيلعي، ونشرت في مجلة الخميسية، وكذلك نشرت صحيفة جسور الصادرة عن المركز ملفًا ضم كلمات تأبينية عن الفقيد، فالشكر للمركز ولكل المسؤولين والعاملين فيه، والشكر لكل من ضممنا له مقالة نشرت

في صحيفة من الصحف، والشكر لمنتدى القوز الذي أخذنا عنه سيرة مفصلة عن الدكتور عوض القوزي، وحاولنا في كل ما أثبتناه من كلمات أن ننسبه إلى مصدره.

نرجو أن يكون ما فعلناه خالصًا لوجه الله تعالى، وأن يجد القراء فيه المنفعة والعبرة.

المحرران

سيرة ذاتية(1)

عوض الحويس

الاسم: عوض بن حمد بن علي المدني القوزي
حياته: ولد في ١٣٦١/٧/١هـ، وتوفي في ١٤٣٤/١٢/١٩هـ
الحالة الاجتماعية: متزوج وله أبناء وبنات وحفدة.
الدرجة العلمية: أستاذ النحو والصرف في قسم اللغة العربية- كلية الآداب- في جامعة الملك سعود
المؤهلات العلمية

- البكالوريوس في قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة الملك سعود – الرياض (١٩٧٥/١٩٧٦م)؛ مع مرتبة الشرف.
- الماجستير: في قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة الملك سعود – الرياض (١٩٧٩م/١٩٨٠م)، مع التوصية بطبع الرسالة، وقد طُبعت على نفقة الجامعة.
- الدكتوراه: في جامعة أوكسفورد ببريطانيا (١٩٨٥م)، وكانت دراسة مقارنة لشروح سيبويه في القرن الرابع الهجري.

التخصص العام: اللغة العربية وآدابها.

التخصص الدقيق: النحو والصرف.

اللغات التي يجيدها:

---

(١) منتدى القوز الشبكي. كتبت في ٠٢/ ٠٨/ ٢٠١٠هـ بتصرف يسير.

١. الإنجليزية: قراءة وكتابة ومحادثة.

٢. الألمانية: قراءة وكتابة – محدودة.

٣. الفارسية: قراءة وكتابة – محدودة.

الأعمال الوظيفية

أ. قبل المرحلة الجامعية:

· العمل بالتدريس والإدارة المدرسية، في التعليم العام، قبل الحصول على المؤهل الجامعي.
· الحصول على الترتيب الأول في المملكة في برنامج مركز الدراسات التكميلية سنة ١٩٦٦م.
· العمل اختصاصيًا اجتماعيًا بعد التأهيل الاجتماعي، في التعليم العام.

ب. بعد الحصول على درجة البكالوريوس:

· معيد بقسم اللغة العربية.
· محاضر بقسم اللغة العربية بعد الحصول على الماجستير.
· مبتعث إلى بريطانيا للحصول على الدكتوراه.

وخلال البعثة:

· العمل عضوًا في إدارة صندوق الطلاب السعوديين ببريطانيا.
· العمل رئيسًا لتحرير مجلة الطالب التي يصدرها الطلاب المبتعثون في بريطانيا، تحت إشراف مكتب الملحق التعليمي بلندن.

ج. بعد الحصول على الدكتوراه:

· العمل أستاذًا مساعدًا بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك سعود.
· ثم أستاذًا مشاركًا بالقسم نفسه.
· ثم أستاذًا.

وخلال هذه الفترة:

أولًا: العمل عضوًا في عدد من اللجان في القسم، والكلية، والجامعة:

عضوًا للجنة متابعة الطلاب المتفوقين والمعيدين والمبتعثين بالقسم وبكلية الآداب.
مقررًا للجنة النحو والصرف لعدد من السنين.
مقررًا للجنة مواد الإعداد العام التي يدرسها القسم لطلاب الكليات الأخرى.
د. مشرفًا على جدول الدراسة بالقسم.
هـ. رئيسًا للجنة النحو واللغة بالقسم حاليًا.
و. عضوًا للجنة الدراسات العليا بالقسم.
رئيسًا للجنة تحقيق التراث بكلية الآداب.

ثانيًا: العمل مديرًا لمركز البحوث بكلية الآداب حتى عام ١٩٩٠م.

ثالثًا: العمل عميدًا لمعهد اللغة العربية من ١٩٩٦م-١٩٩٨م.

رابعًا: أ. العمل عضوًا في مجلس الجامعة من ١٩٩٦م-١٩٩٨م.

ب. العمل أمينًا لسرِّ مجلس عمداء الكليات من ١٩٩٦م-١٩٩٨م.

العضوية في الجمعيات العلمية:

. عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة.
. عضو مجمع اللغة العربية في دمشق
· عضو في جمعية لسان العرب بالقاهرة.
· عضو في جمعية محبي تراث العقاد بالقاهرة.
· عضو في جمعية حماة اللغة العربية بالقاهرة.

الانتاج العلمي/

١.المصطلح النحوي – نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري.
٢. ما يحتمل الشعر من الضرورة – لأبي سعيد السيرافي – تحقيق (جزء واحد).
٣. التعليقة على كتاب سيبويه، لأبي علي الفارسي – تحقيق (في ستة أجزاء).
٤. معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري – تحقيق بالاشتراك (في ثلاثة أجزاء).

ب. البحوث المنشورة:

١. رحلة كتاب سيبويه من البصرة.
٢. الأصول بين الفقهاء والنحاة.
٣. نكتة النكت في سرقة الأعلم الشنتمري.
٤. ظاهرة البخل عند النحاة.
٥. العربية في المرحلة القرآنية.
٦. أنغام التراث.
٧. هندسة اللغة.
٨. زعم الخليل في كتاب سيبويه.

٩. أقوال العرب في كتاب سيبويه.
١٠. الياء المحذوفة في القرآن الكريم.
١١. المصطلح الدلالي في كتاب الصاحبي لابن فارس.
١٢. رؤية مستقبلية لتدريس اللغة العربية.
١٣. الضعف اللغوي – التشخيص والعلاج.
١٤. اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين.
١٥.رؤية تربوية في مناهج اللغة العربية.
١٦. "حلب والحلبيات" صورة للدرس اللغوي في بلاط سيف الدولة الحمداني.
١٧إحياء الدخيل على رفات الفصيح.
١٨. الوعي اللغوي – نشأته وتطوره.
١٩. العربية الفصحى في مواجهة تحديات العولمة.
٢٠. النثر الفني عند الجاحظ.
٢١. عمود الشعر – دراسة نقدية.
٢٢. أثر كتاب سيبويه في الدرس اللغوي.
٢٣.الوافي في إنصاف أبي سعيد السيرافي.
٢٤. معاجم غريب القرآن – مناهجها وأنواعها.
٢٥. الضعف اللغوي – أسبابه وعلاجه.
٢٦. الإعلان واللغة.

المحاضرات والنشاطات العلميه/

· محاضرات عامة في الأندية الأدبية في كل من: الطائف – جدة – أبها – القنفذة.
· محاضرات عامة داخل الجامعة ومشاركات في ندوة المنهجية بجامعة الملك سعود.

· أحاديث متفرقة بالراديو والتلفزيون.
· مشاركات في الصحف والمجلات.
· تحكيم عدد من البحوث العلمية لمجلات محكمة داخل المملكة وخارجها.
· تحكيم الإنتاج العلمي لبعض منسوبي الجامعات السعودية بغرض الترقية إلى درجات علمية جامعية.
· مناقشة بعض الرسائل الجامعية للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه في جامعات: الملك سعود، الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أم القرى، وجامعة البحرين وغيرها.
· تصحيح بعض البحوث والكتب التي أقرّ نشرها المجلس العلمي بالجامعة.
· مشاركة لجنة التعيينات بالجامعة في مقابلات المتقدمين لوظائف أكاديمية بقسم اللغة العربية.
· محاضرة بعنوان: "الدرس النحوي بعد كتاب سيبويه"، بجامعة المنصورة، أكتوبر ٢٠٠٠م.
· محاضرة بعنوان: "غريب القرآن"، بجامعة المنصورة، أكتوبر ٢٠٠١م.
· محاضرة بعنوان: "اللغة العربية والتحديات المعاصرة"، جامعة المنصورة، فبراير ٢٠٠٣م.

المحاضرات والندوات/

المؤتمر العالمي الأول لنشر اللغة العربية بكراتشي بالباكستان (١٩٩٠م).
· ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، (١٩٩٥م).

· مؤتمر "قضايا اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين"، بجامعة ماليزيا الإسلامية (١٩٩٦م).

· دورة خبراء تعليم اللغة العربية التي نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة (١٩٩٦م).

· مؤتمر المستشرقين الخامس والثلاثون المنعقد في بودابست بالمجر (١٩٩٧م).

· المؤتمر السنوي الرابع لجمعية لسان العرب بالقاهرة (١٩٩٧م).

· المؤتمر السنوي الخامس لجمعية لسان العرب بالقاهرة (١٩٩٨م).

· المؤتمر السنوي السادس لجمعية لسان العرب بالقاهرة (١٩٩٩م).

· المؤتمر الأول للتراث الشعبي بالعين في الإمارات العربية المتحدة (١٩٩٩م).

· ندوة "التداخل المصطلحي في العلوم الإنسانية" بأكادير بالمغرب (١٩٩٩م).

· المؤتمر الثاني للتراث الشعبي بالعين في الإمارات العربية المتحدة (٢٠٠٠م).

· ندوة "اللغة العربية والتعدد اللغوي" بمعهد التعريب – جامعة محمد الخامس بالرباط (٢٠٠٠م).

·ندوة "قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية"، بجامعة مكناس (٢٠٠٠م).

· ندوة "الحياة الأدبية واللغوية في بلاط سيف الدولة الحمداني"، بجامعة حلب (٢٠٠٠م).

· المؤتمر السنوي السابع لجمعية لسان العرب بالقاهرة (٢٠٠٠م).
· المؤتمر السنوي الثامن لجمعية لسان العرب بالقاهرة (٢٠٠١م).
· ندوة مجمع اللغة العربية بدمشق عن المعاجم العربية (٢٠٠١م).
· مؤتمر الفصحى والنحو في ظل المتغيرات المعاصرة – كلية دار العلوم بالقاهرة (٢٥-٢٨ فبراير ٢٠٠١م - ٢-٥ ذي الحجة ١٤٢١هـ).
· المؤتمر الأول لمجمع اللغة العربية بدمشق ٢٧-٣١ أكتوبر ٢٠٠٢م.
· مؤتمر علم اللغة الأول بكلية دار العلوم بالقاهرة "الإعلام واللغة" (١٧-٢٠٠٢/١٢/١٨م
-١٤٢٣/١٠/١٤هـ).
· المؤتمر السنوي الدولي الثاني للعربية والدراسات النحوية (العربية وقرن من الدرس النحوي)، دار العلوم، القاهرة (١٨-٢٠٠٣/٢/١٩م) (١٧-١٤٢٣/١٢/١٨هـ).
· المؤتمر الدولي السنوي العاشر لجمعية لسان العرب بالقاهرة ٢٠٠٣ م (١٧ - ١٩ أكتوبر ٢٠٠٣م الموافق ٢١ - ٢٣ شعبان ١٤٢٤هـ)
·المؤتمر السنوي بمجمع اللغة العربية بدمشق (اللغة في مواجهة المخاطر) في الفترة من ٢٠ - ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٣م الموافق ٢٤-٢٧ شعبان ١٤٢٤هـ

ندوة تأبين العالم اللغوي

الدكتور عوض القوزي (رحمه الله)

د.أحمد الزيلعي	د.مرزوق بن تنباك
عضو مجلس الشورى	أستاذ الأدب العربي القديم في جامعة الملك سعود

ندوة ألقيت في خميسية حمد الجاسر الثقافية في يوم السبت ٦ محرم ١٤٣٥هـ-الموافق ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٣م.

نشرت في مجلة الخميسية، ع٦، شتاء ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

د. مرزوق بن تنباك:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، اللهم اغفر لشيخنا صاحب هذا المنتدى، ولصديقنا وعزيزنا الذي نحن اليوم في تأبينه ونتحدَّث عن بعض الذكريات معه.

كلُّ مَن حضر في هذا الصباح له صلة وعلاقة وموقف مع المرحوم الدكتور عوض القوزي، وإذا كنتُ أنا وزميلي الدكتور أحمد قد بدأنا هنا في هذه المنصة؛ فإنَّ ذلك لا يعني أننا سنقول أكثر مما لديكم. رحم الله أبا محمد. أبدأ بأخي وصديقي الدكتور أحمد الزيلعي ليتفضَّل ويبدأ بذكر ما له صلة بحياة الفقيد في شبابه وفي كهولته وفي صلته به، وأنا سأتحدَّث بعده عن انطباعاتٍ وعن صلاتٍ كانت بيني وبينه عميقة، أرجو من أخي أحمد أن يبدأ مشكورًا.

د. أحمد الزيلعي(١):

بسم الله الرحمن الرحيم، رحم الله عوضًا وجميع أموات المسلمين، وأُحَيِّي زميلي وتلميذي في يومٍ من الأيام سعادة الشيخ عبده بن محمد القوزي شيخ مشائخ الشمل، وأحيِّي أساتذتي وزملائي، وأحيِّي صاحب الدار الصديق معن الجاسر.

---

(١) نشرت قبل الندوة ابتداءًا من (رحل) في صحيفة الرياض، الخميس ٠٣ محرم ١٤٣٥هـ،ع١٦٥٧٢.

رحل عنا قبل بضعة أيامٍ صديق العمر ورفيق الدرب، سيبويه زمانه وعالِم عصره وأوانه، الأستاذ الدكتور عْوَض بن حِمَّد بن علي القوزي[1]، أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك سعود، وأحد أكرم كرام الناس وأجودهم، وأكثرهم بشاشةً وطيب معشر وحسن خُلُق وطهارة نفس.

مضى طاهر الأثْواب لم تبْق روْضةٌ
غداة ثوى إلا اشْتهت أنّها قبْرُ
عليك سلامُ الله وقْفًا فإنني
رأيتُ الكريْم الحُرّ ليس له عُمُر

وُلد عوض القوزي -رحمه الله- ونشأ في بلدة القوز بمحافظة القنفذة، وأنا وُلِدتُّ ببلدة الـحَبِيل، جارة القوز من الشرق، وليس بين البلدتين سوى كيلومترات قليلة ما لبِثَت أن تلاشت في الوقت الحاضر حتى لم يعد يفصل بين البلدتين سوى الطريق الفاصل بين جدَّة وجازان. وليس بيني وبينه فارقٌ كبيرٌ في العمر، إلا أنه سبقني إلى الالتحاق بالمدرسة بثلاث سنوات فقط، هي المدة الزمنية الفاصلة بين تأسيس المدرسة العزيزية بالقوز عام ١٣٧١هـ وتأسيس المدرسة الابتدائية بالـحَبيل عام ١٣٧٣هـ، ورأيتُه -رحمه الله- لأول مرة في مهرجان رياضي اجتماعي نظَّمته مدرسة القوز بمشاركة المدرسة السعودية بالقنفذة، ومدرسة مُنْجية بحلي، ولم تشارك فيه مدرسة الـحَبيل لعدم وجود نشاط غير صَفِّي بها في ذلك الزمن، فكان لمدرسة القوز قَصَب

(١) هكذا سمعنا نطقه من أ.د. أحمد الزيلعي (المحرران).

السبق على سائر المدارس المشاركة، وللتلميذ عوض القوزي ذي الجسم النحيل[1] والصوت الشجيّ نصيبُ الأسد في تجلّيات ذلك المهرجان والفوز بجوائزه، ويومئذٍ عرفتُ أنه الأول على دفعته، وأنه التلميذ المتفوّق في مدرسة القوز، وقد لازمه تفوُّقه طوال سنيِّه الدراسية، منتظمًا في معهد المعلمين الابتدائي بالقنفذة، ومركز الدراسات التكميلية بالطائف، ومنتسبًا في المراحل المتوسطة والثانوية والجامعية، التي اجتازها جميعها بتفوُّق وهو على رأس عمله معلمًا بالمرحلة الابتدائية في أكثر من مدرسة من مدارس تعليم القنفذة، ثم في مكة المكرمة، ومنها إلى الرياض التي كنتُ قد سبقتُه إليها بسنتين للالتحاق بالجامعة منتسبًا أيضًا.

وطوال إقامتنا في الرياض –أنا وعوض- كنا جارَين، ومتلازمَيْن لا نكاد نفترق إلا لنومٍ أو عمل، وكان يجمع بيننا هدفٌ واحدٌ هو الحصول على الشهادة الجامعية والعودة إلى محافظة القنفذة، لنُسهِم مع أهلنا هناك في نهضتها الحديثة التي بدأت بواكيرها تلوح في الأفق، خصوصًا بعد الزيارة الميمونة التي قام بها سمو الأمير أحمد بن عبدالعزيز نائب أمير منطقة مكة المكرمة حينذاك في العام ١٣٩٢هـ، إلا أنَّ قَدَر الله -سبحانه وتعالى- كان فوق كلِّ شيء، إذ ترشَّحَ الدكتور عوض -رحمه الله- معيدًا في قسم اللغة العربية، وترشَّحْتُ أنا معيدًا في قسم التاريخ، وابتدأتْ مرحلة جديدة من حياتنا ودراستنا، دراستنا لمرحلة الماجستير في الجامعة نفسها، ثم الدكتوراه في بريطانيا، حيث كان عوض في

---

(١) في نسخة صحيفة الرياض "الجسم القضيف والأيدي النحيلة".

جامعة أكسفورد وأنا في جامعة درهام إلى الشمال الشرقي من أكسفورد.

وعلى الرغم من بُعد المسافة بيننا فإننا كنا على اتصال شبه يومي عن طريق الهاتف، ولا يمر شهر دون أن نلتقي في لندن بسببٍ أو دون سبب، ثم ازداد تواصلنا والتقاؤنا بعد تأسيس صندوق الطلاب السعوديين في بريطانيا، بجهود مشكورة من صديق الطرفين سعادة الأخ الأستاذ الدكتور مرزوق بن تنباك، الذي كان حينذاك يُحَضِّر لدرجة الدكتوراه في جامعة أدنبره باسكتلندا، وبدأنا في إصدار مجلة «الطالب» الشهرية التي تشكَّلت هيئة تحريرها من كلٍّ من: شخصي الضعيف، والزميلين أ.د. عبدالله المعطاني، ود. محمد بن سليمان الأحمد، برئاسة حبيب الجميع أ.د. عوض القوزي رحمه الله، فازداد تواصلنا، وكثُر ذهابنا إلى لندن ولقاؤنا لجمع مادة المجلة وتحريرها ومراجعتها وإعدادها للطبع، فكان بيننا من المحبة والألفة والإخوانيات شيءٌ كثير، وكان الدكتور عوض القوزي من أكثرنا نشاطًا، ومن أكثرنا تحمُّلًا لأعباء العمل ومشاقِّه في المجلة، دون أدنى درجات المنِّ أو الشكوى.

وحينما تخرَّجتُ قبله بسنتين أُقيمت لي حفلة كبيرة في مدينة درهام، حضرها الملحق التعليمي حينذاك الشيخ عبدالعزيز التركي رحمه الله، وكان عوض من أبرز المشاركين في تلك الحفلة، وألْقى فيها قصيدةً جميلةً من نظمه، ذَكَرَني فيها بعباراتٍ تدلُّ على محبته لزملائه ووفائه لهم، وتلك من شِيَم أبي محمد التي لازمتْهُ حتى وفاته رحمه الله، فقد عايشتُه منذ ما يزيد على أربعين عامًا، فوجدتُه من أكرم الناس، ومن أكثرهم حُسْنَ عشرةً وتسامحًا

وسعةَ صدر، لا يحمل على أحد، ولا يعرف الحقدُ والكراهيةُ إلى نفسه سبيلًا.

أما علمُه فتحدَّثَ عنه كثيرٌ من الزملاء الذين سبقوني في الكتابة عن أبي محمد، فله من التصنيفات والدراسات والبحوث والكتب المحقَّقة شيءٌ كثير، بعضها نُشر وبعضها لم يَرَ النور إلى الآن، وآملُ في أن تُسارع الجهات التي تقدِّر جهود أبي محمد ودقَّته في التحقيق إلى إتمام الأجزاء المتبقِّية من تحقيقه لشرح أبي سعيد السيرافي لكتاب سيبويه، الذي علمتُ أنه انتهى من نسخه، ودرس سبعة من أجزائه التي تزيد على عشرينَ جزءًا[١]، ثم العمل على نشره وفاءً لعوض، وخدمةً للباحثين والدارسين، وإثراءً للمكتبة العربية والمعرفة الإنسانية بهذا السِّفر المهم في بابه.

وللدكتور عوض -رحمه الله- حضور مميَّز في المؤتمرات والندوات المحلية والعربية والعالمية، وهو عضو بارز في عددٍ من الجمعيات والاتحادات العلمية، بما في ذلك عضويته في مجمعَي اللغة العربية بدمشق والقاهرة.

وحينما تعرَّض الدكتور عوض -رحمه الله- للحادث الأليم الذي ذهب ضحيتَه؛ وصلني الخبر في الليلة نفسها وأنا في لندن، فعميتُ عن الإبصار من هول الصدمة وعظم الفاجعة التي لم أصدِّقها، فكنتُ كلما أمشي في لندن أرى فيها ما يذكِّرني بعوض، وبأيامنا التي قضيناها معًا في ديار الغربة بحلوها ومرِّها، فتَنْكَأ

---

(١) نسخت ثلاثة أجزاء وعلق عليها، ونسخ خمسة عشر جزءًا من غير تعليق. (المحرران).

جراحي، وتزيد من آلامي على ما أصابه، وتخنقني العَبْرة أحيانًا على الرغم من أنني عَصِيُّ الدَّمْع.

وحينما عدتُ إلى أرض الوطن، وذهبت إلى جدَّة لزيارته والاطمئنان على حالته الصحية، فوجئتُ بمجرد وصولي إلى المستشفى بما لا يسر، حينما علمتُ لثوانٍ مضيْن قبل دخولي عليه بأنَّ روحه فاضتْ إلى باريها، وأنَّ رفيق الدرب فارقني إلى الأبد، فأمستْ حالي شبيهةً بحال الشاعر مُتمّم بن نُويْرة بعد موت أخيه مالك بن نويرة، الذي رثاه مُتمّم بأجمل ما عرف الشعر العربي من فنِّ الرثاء، حينما يقول:

وكُنّا كندماني جُذيْمة حقْبةً   من الدّهْر حتى قيْل لن يتصدّعا

فلما تفرّقْنا كأني ومالكًا   لطُول اجتماع لم نبتْ ليلةً معًا

رحم الله عوضًا الشهيد رحمة الأبرار، وأسكنه الجنة مع المصطفَين الأخيار، وحشره مع النبيِّين والصديقين والشهداء وحَسُن أولئك رفيقًا، وعظَّم الأجر لأسرته وأهله وجميع أصدقائه وزملائه وتلامذته ومحبِّيه، إنه سميعٌ مجيب.

د. مرزوق بن تنباك:

لي مع الدكتور عوض القوزي صلة ملازَمة منذ أن وطئنا كلية الآداب طالبَيْن إلى أن تفرَّقنا قبل أسبوعين، وما افترقنا إلا -كما يقول الدكتور أحمد- في العمل والنوم، وأشهد عند الله أني لم أعرف رجلًا في سماحة عوض، خُلُقًا وعونًا لمن يطلب منه العون، سواء كان ماديًّا أم معنويًّا، وأكثر ما نحتاجه منه كزملاء العونُ المعنوي، فقد كان سمحًا في تعامله ورفيقًا بمن معه، سافرنا

كثيرًا، ودرسنا معًا، وكانت صلتي به أقرب من صلة الدكتور أحمد الزيلعي على الرغم من أنهما من منطقة واحدة، وعندما كانا هنا في الرياض كنتُ رفيقَهما الثالث، سافرتُ معه في كل المناطق، وآخرها في هذا الصيف، ذهبنا إلى أستراليا ونيوزيلاندا والصين وفيتنام وإندونيسيا، ورجعنا بعد أربعين يومًا، لا أعرف يومًا منها رأيتُ منه حِدَّة، وتعرفون مضنيات السفر، ومع ذلك لم أجده يومًا ثار أو غضب، وما لمستُ منه شيئًا أكرهه أو شيئًا يسوء الصحبة. والأمر الثاني: الجانب العلمي، ومنذ عرفنا عوضًا وهو مميَّز في كل شيء، حتى عندما كنا ندرس في بريطانيا كنا نستعين به في كثيرٍ من الأمور، وأنا سعيد اليوم بهذا الجمع لكن أيضًا أقول كما قال الشاعر:

النَّــاسُ لاَ يُنْصِــفُونَ الحَــيَّ بَيْـنَهُمُ

حَتَّــى إِذَا مَــا تَــوَارَى عَـنْهُمُ نَـدِمُوا

وقد كانت الفاجعة بالنسبة إليَّ كبيرة، وقبل أن أرجع كنا قد رتبنا للسفر إلى الأرجنتين، واتصل بي بالبيت يسألني: هل أنهيتَ إجراءات السفر؟ فأجبته: نعم. وفي الساعة الرابعة يتصل بي الدكتور أحمد من لندن ويخبرني بالحادثة.

والصفات التي يمتاز بها عوض لا أعتقد أنها تكلُّف، هي صفات طبيعية، وأنا عرفتُه قارئًا وحافظًا لكتاب الله، وصوته من أجمل الأصوات في القراءة، وكان يسجِّل أشرطة وعندي بعضها، ونستمتع بسماعها، والدكتور كتبَ عن صَلاته وإمامته، وكان مدرِّسًا في مدرسة تحفيظ القرآن في مكة المكرَّمة، وكان ملتزمًا بالدِّين بكل ما تعنيه الكلمة، ولم يكن متطرفًا بل كان سمحًا

حتى في تعامله، والأشياء الأخرى كنا لا نعرفها كإنفاقه على المحتاجين، وأشياء عرفناها بعد وفاته، فقد وصلتني رسالة بعد وفاته يقول صاحبها إن الدكتور علَّمَه وأنفق عليه طيلة فترة تعليمه، مع أنَّ الدكتورَ عوضًا ليس ذا مالٍ كثير.

والأمر الآخر: الصدق في التعامل، والإخوان يعرفون في القِسم واللجان التي يحصل فيها اختلاف أنَّه يكون له رأيه، وإذا انتهى النقاش وخرجنا برأيٍ يتعارض مع رأيه؛ فلكونه في اللجنة تجده يعمل وكأننا عَمِلْنا برأيه ولا يتعصَّب لرأيه. وهو أكاديمي ملتزم بعمله، وقد ابتعد عن الإعلام، وكان عمله في واقع الحال ثروة كبيرة، وحقق كتاب التعليقة على كتاب سيبويه في ستة أجزاء وهي من أجمل الكتب، وعنده مشروعه الذي لم يكمله وهو شرح السيرافي على كتاب سيبويه، قد تصل إلى عشرين مجلدًا.

فعوض ليس مميَّزًا في الجانب الإنساني فقط، بل هو مميَّزٌ في الجانب العلمي أيضًا، وهو شاعر وله كثيرٌ من الشعر لكن لا ينشره ولا يهتم به، وقد حاولتُ معه مرةً أن ينشر شيئًا من شعره ولكنه رفض. وقد حضرتُ معه عددًا كبيرًا من المؤتمرات، ولا نأتي إلى مؤتمر إلا يمتاز على الحاضرين بإلقائه وبجودة ما يقدِّمه في المؤتمر، ولهذا السبب اختيرَ عضوًا في مجمعَي اللغة العربية بدمشق والقاهرة، وله صلة كبيرة بالجمعيات التي تهتم بالتراث، وهو عضو في جمعية لسان العرب وجمعية خدمة اللغة العربية وغيرهما، وهي جهود مركَّزة وتذهب مذهب العمل الأكاديمي الذي لا يبحث عن الأضواء وإنما يبحث عن الحقيقة والفائدة، وطلاب الدكتور عوض الذين درَّسهم كانوا يتعلقون به تعلقًا عجيبًا، سواء على مستوى البكالوريوس أو الدراسات العليا،

وكانوا يرتبطون به ارتباطَ تعليم، والحقيقة أنَّ كل ما كان يقوم به -رحمه الله- يصبُّ في مصلحة الناس والعلم، وهو لا يهتم بالأمور المادية، لذلك كان ناجحًا بعمله.

أشعر بكثيرٍ من المفاجأة بموته، ونحن جميعًا نشعر بفقده الكبير وبقيمته بعد أن ذهب، فأنا بوصفي زميلًا له لم أشعر بهذا إلا بعد فقده، وكما يقول الجواهري:

فــي ذِمَّــةِ اللــهِ مــا أَلْقَــى ومَــا أَجِــــدُ

أهَــذِهِ صــَخْـــــــــــرَةٌ أَمْ هَــــــــذِهِ كَـــــــــــبِدُ

قَـدْ يَقتُـلُ الحُـزْنُ مَـنْ أَحْبَابُـهُ بَعُـدُوا

عَنْـــهُ فكَيْـــفَ بِمَـــــــنْ أَحْـــــبَابُهُ فُقِــــــــــدُوا

وهو فعلًا ممن يشعر الإنسان بالخسارة الكبيرة في فقدهم، وفي هذا أيضًا أبيات لكثير تنطبق علينا معًا:

تَقُولُ ابْنَةُ الضَّمْرِيِّ مَا لَكَ شَاحِبًا

ولَوْنُكَ مُصْـــفَرٌّ وإنْ لَـــــمْ تَخَــــــــلَّقِ

فقُلْتُ لَــــهَا: لاَ تَعْجَبِــي مَنْ يَمُتْ لَهُ

أَخٌ كأَبِـــي بَـــــدْرٍ وجَـــــدِّكِ يُـــشْـفِــقِ

كأَنَّ أَخَـــــــــــــاهُ في النَّوَائِبِ مَلْجَأٌ

إلَى عَــــــــــلَمٍ مِنْ رُكْنِ قُدْسِ المنطَّـقِ

جَزَى اللهُ خَيْرًا خِنْـدِقًا مِنْ مُكَافِىءٍ

وصَاحِبِ صِدْقٍ ذِي حِفَاظٍ ومصْدَقِ

أَقَامَ قَنَـــاةَ الــــوُدِّ بَيْنِـــي وبَـيْنَـهُ

وفَــــارَقَنِي عَـــنْ شِيــمَةٍ لَمْ تُــــرَنَّقِ

حَلَفْــــتُ عَـــلَى أَنْ قَـدْ أَجَنَّتْكَ حُفْرَةٌ

ببَطْــنِ قَنَـوْنَا لَـوْ نَعـِيشُ فَنـَلْتَــقِي

لأَلْفَيْتَنِـــــي بالـــوُدِّ بَعْـــدَكَ دَائِـــــمًا

عَلَى عَهْــــدِنَا إِذْ نَحْـــنُ لَـــمْ نَتَفَرَّقِ

رحمه الله رحمةً واسعة، وغفر له، وأرجو أن تدعوا له بحسن العاقبة، وأشهد عند الله أني لم أرَ في حياته ما يذمه دينًا ودنيا.

المداخلات:

د. أحمد الضبيب

يقول الشاعر: «الموتُ كأسٌ كلُّ الناس ذائقُه»، وصديقنا الدكتور عوض القوزي عندما نفقده فإننا نفقد جزءًا مهمًّا من ثقافتنا. آخر مرة رأيتُه فيها -رحمه الله- كانت في هذه الدارة، في تلك القاعة، عندما دخلتُ متأخرًا في محاضرة الدكتور خالد الدخيل، وذلك اليوم لأول مرة أتأخر، وقام مرحِّبًا بي، وتحدثنا قليلًا، ولم أكن أعرف أنَّ هذا هو اللقاء الأخير.

تحدَّث الأخَوان الكريمان عن جوانب من شخصيته، ولا أستطيع أن أزيد عليها كثيرًا، لكن الذي يبرُز في شخصية الدكتور

عوض هو هذه الإنسانية البادية على وجهه ولا تفارقه أبدًا، هو إنسان بكل هذا المعنى، ومن أخص هذه الملامح عنايته بأساتذته، فنحن نعرف كيف كان حَفِيًّا بشيخه الأستاذ الدكتور حسن الشاذلي رحمه الله، كنا نأخذ أخباره منه إلى أن توفي الشيخ رحمه الله، ثم نحن نرى منه كثيرًا من التوقير والاحترام، أذكر أني في بعض الأحيان كنتُ أهنِّئه بالعيد، فكان يستنكر ذلك كثيرًا ويكتب إليَّ قائلًا: الحقُّ لك، وأنا خَجِلٌ من أنني لم أكن بدأتُك بالتهنئة. ثم في آخر عيد (هذا العيد الماضي) بدأني بالتهنئة قبل العيد بثلاثة أيام حتى يقطع علي السبق في التهنئة. لقد كان بالفعل حفيًّا وفيًّا، فعندما أُقيمَ حفلُ استقبالي عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية، كان الدكتور عوض كأنه هو المحتفى به بِشْرًا وسعادة، وأصرَّ على أن يلقي كلمة، ثم ألقى قصيدة وهي أكثر مِن ثلاثين بيتًا، والآن سمعتُ أن أباه كان شاعرًا، ولم أكن أعرف أن الدكتور عوضًا يعرفُ الشعر حتى ذلك الوقت. فعوض القوزي أستاذ كبير، وباحث مميَّز، وقد تكلم أخي الدكتور أبو راشد عن جهوده التحقيقية، ولكنَّ له أيضًا أبحاثًا كثيرةً أُلقيت في مؤتمرات وجمعيات، ومن الوفاء له أن تُجمع وتُنشر، وكان في مجمع اللغة العربية من الأعضاء الذين ينفقون وقتًا كبيرًا في مناقشة القضايا التي تُطرح على بساط البحث، وأذكر أنه عندما كنا نناقش المعجم الكبير كانت له مداخلات كثيرة ورائعة، إلى جانب البحوث التي كان يلقيها في المجمع، فلم تكد تمر دورة من دورات المجمع إلا كان له بحثٌ فيها. ومن ميزاته أنه كان مدافعًا عن اللغة العربية وعلى رأس المدافعين عنها، وعضوًا في كثيرٍ من الجمعيات التي تدافع عن اللغة العربية، كجمعية لسان العرب وجمعية حماية اللغة العربية وغيرهما، وكانت له مواقف مشهودة في هذا الشأن، وقد

كنتُ أحيانًا أعابثه في بعض القضايا، ومن ذلك أنني مرةً قلتُ له: يا عوض، أنت أستاذ متمكن من اللغة العربية، وتُحسَب على المدافعين عنها، فكيف ترضى بأن يكون اسمك عَوَض، فكلمة (عَوَض) ليس لها وجود في اللغة، وإنما هي (عِوَض)، وأنت يجب أن تُسمَّى عِوَضًا. فابتسم وقال: هذا اسمي ولا أستطيع تغييره. ثم نظرتُ في الموضوع فوجدتُ أنَّ هذه المادة تحتوي على لفظين: لفظة (عَوْض) التي هي ظرفٌ لِما يُستقبل من الزمان، والتي يُستشهد عليها بقول الأعشى: (رضيع لبانٍ عَوْضُ لا نتفرَّق)، ومعنًى آخر هو اسمٌ من أسماء العرب بـ(عَوْضْ)، ثم بالنظر وجدتُ أنَّ هذا الاسم قد يكون هو الأساس لاسم عَوَض وليس عِوَض؛ لأنَّ هنالك قبيلة تُسمَّى بني عَوْضْ، ويُنسب إليها العَوْضِي، فقلتُ ربما كان أساسُ عَوَض عَوْضًا، ولكن عبقرية اللغة العربية وبخاصة عاميتها تحاول التسهيل، فتضع الفتحة بدلًا من السكون، فصارت عَوَض، كما في حَمْد ثم صارت حَمَدْ، ولأخينا الدكتور عبدالعزيز المانع بحث جميل جدًّا عمَّن سُمِّي حَمْدًا في التراث العربي(١)، فقلتُ إنَّ هذا إما من تأثير العامية وتخلُّصها ومحاولتها البحث عن التيسير، وإما أن يكون هذا اسمًا موجودًا في العربية الفصحى ولكن لم ينقله علماؤنا القدماء إلى معاجمهم، ولكنه شائع في لهجات العرب جميعًا، ولا نستطيع القول في كلمة شائعة في لهجات العربية بعدم وجودها أو عدم وجود أساسٍ لها، فلابد أن يكون لها أساسٌ قديم.

---

(١) ينظر: عبدالعزيز بن ناصر المانع، من اسمه (حمد) من الشعراء والأدباء والعلماء، مجلة العرب، مركز حمد الجاسر الثقافي/ الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، س٤٢، ج٧ و٨، ٨، ١٠.

وعلى كل حال فقد كان عَوض -رحمه الله- من هؤلاء المدافعين عن اللغة العربية الذين نعتزُّ بهم ولا شك، وإن شهادته علامة من علامات السعادة؛ فقد تُوفي شهيدًا، وصُلِّي عليه في مكة المكرمة بحضور مئات الآلاف، ودُفن في ثرى مكة، وهذه من علامات السعادة. نسأل الله أن رحمه رحمةً واسعة، وأن يجمعنا به في مستقر رحمته.

أ. عبدالله شهيل:

لا مزيد على ما تفضَّل به الأستاذان الكبيران بعلمهما وفضلهما، وما تفضَّل به معالي الدكتور أحمد الضبيب، والحقيقة أنَّ الدكتور عوض القوزي كان فقْده خسارة إنسانية ووطنية وعلمية، وبنظري أنَّ تخصُّصه في اللغة التي أصبح من الأعلام فيها كان نتيجة إيمانه القوي بأنَّ اللغة عنوان شخصية الأمة، والأمة التي لا تخدم لغتها ولا تعتني بها ولا تعتز وتتمسك بها تكون بلا عنوان، ومصيرها الموت أو التهميش.

معرفتي بالدكتور عوض -رحمه الله- زمنيًّا ليست طويلة، إلا أنني شعرتُ من خلال المقابلات العابرة واللقاءات القليلة بأنه من أقرب الناس إليَّ وأنَّ له مكانة خاصة في نفسي، ويبدو لي أنَّ هذه المكانة موجودة في مشاعر كل مَن التقاه، ونحن إذ نشكو الفراق فإنَّ ابن عربي يجسِّده بقوله:

لـو وجـدنا إلــى الفـراقِ سـبيلا

لأذقنــا الفــراقَ طعــمَ الفــراقِ

د. إبراهيم أبو أوس الشمسان:

رحم الله الدكتور عوض القوزي، فأنا من الناس الذين صُدموا بموته، ولا أصدِّق أنني سأمرُّ بمكتبه ولا أجده، وكنتُ أجلس معه وأتكلم كلامًا طويلًا، وكلماتي عن الأسماء تعرَّض لها الدكتور أحمد الضبيب، والأسماء تكاد تكون استثمرت الإمكانات التصريفية في العربية، فما يقصر فيه المعجم من إمكانات تصريفية للجذر الواحد نجد أنَّ الأسماء ربما استبقت ذلك بكل الإمكانات، فمثلًا حَمَد وعَوَض أُخرجت على أنها من الصفات مثل حَسَن على وزن «فَعَل»، وللأسماء خصوصيةٌ تُعانِد التصريف، وعَوَض هو المصدر في اللهجات.

أ. محمد القشعمي:

رحم الله الدكتور عوض القوزي، وشكرًا لمركز الشيخ حمد الجاسر، وليته يفرِّغ هذه المراثي والكلام عن الذين رحلوا عنا وأُقيمت لهم مثل هذه المحاضرة حتى لا يضيع الكلام. لقد عرفتُ المرحوم في الخميسية قبل ثماني سنوات، وبحكم رفقة الدكتور مرزوق معه والتباسط في بعض الأحاديث عندما نلتقي يكون هناك شيء من الممازحة واللطف، فوجدتُه رقيقًا لطيفًا، وأهديتُه كتابي فوجدتُه بعد شهرٍ يهديني بعض الأخطاء اللغوية والإملائية ويطلب نسخةً أخرى، وأخذتُ بهذه الملاحظات، وأبدى استعداده لمراجعة أي كتاب، فأعطيتُه كتاب «عشر سنوات مع القلم»، فقال: العنوان لا يتناسب مع المادة. وقبل سنةٍ تقريبًا أنجزتُ كتابًا كان بداياتي مع الكتابة، وكان كتابًا يزيد على خمس مئة صفحة سلمتُه له قبل الحج الماضي، فقال: لا تستعجل عليه.

وبقي عنده لمدة سنة، وسافر مع الدكتور مرزوق، وهاتفتُ الدكتور مرزوقًا بعد عيد الفطر فقال إنه في فيتنام، وقلت له: إنني خَجِل من الدكتور عوض، فهل يمكن أن أقدِّم له شيئًا نظير خدمته؟ فحذَّرني من أن أفعل ذلك لمعرفته بالدكتور عوض.

د. مرزوق بن تنباك:

حول عمل الدكتور عوض الذي لم يُكمَل والذي هو شرح السيرافي على كتاب سيبويه (تقريبًا هو في حدود ٢٠ مجلدًا)؛ فقد تشكلت لجنة برئاسة أبي أوس للنظر في إمكان إكمال هذا العمل. كذلك أشار الدكتور أحمد إلى تعزية مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وأيضًا المجلس العالمي للُّغة العربية وعدد من الهيئات التي كان للدكتور عوض فيها نشاط وعضوية، وكلها أرسل تعزيةً لنا جميعًا.

أ. محمد الأسمري:

في جنوبنا جنوب المملكة العربية السعودية نسمِّي «عِوَض» ونسمِّي «عيضة» ونسمِّي «عُوْضْ»). الدكتور عوض -رحمه الله- من الشخصيات المؤثرة فيمن يلتقي به، وسعدتُ وزملائي كثيرًا بأن نلتقي به ونتلقَّى منه الشيء الكثير. وأريد أن أشير إلى لفتة الوفاء الجميلة التي قام بها الدكتور مرزوق بن تنباك حين فتح بيته للعزاء، وهذه شيمة وقيمة تُحسَب له.

ولعل رثاء الشاعر محمد علي حسن شرارة كان وفاءً لعوض الذي ربَّى شرارة الإبداع في هذا الشهم ربيبًا لمحمد بن

عوض القوزي، فكان القول ما قدحت به شرارة اللوعة في جميل الكلم:

ماذا فعلت وقد أوقدت يا جملُ... نارًا بفعلك، فانقادت لها الحمم(١)

الشيخ عبده محمد القوزي:

نشكر الأستاذ الدكتور مرزوق بن تنباك على مشاعره الفياضة تجاه صديقه الدكتور عوض -رحمه الله- فيما أقامه من مجلس عزاء، والشكر أيضًا لمؤسسة شيخ العرب الشيخ حمد الجاسر ودارة العرب دارة الخالدين التي جمعتنا بهذه القامات التي ما كنت أحلم أن أقف أمامها، هذا فضلٌ أيضًا من أفضال الدكتور عوض، وأنا لستُ من جيله، ولكن الذي رسخ في ذهني من المعلمين هو الدكتور عوض، فقد رسخ في ذهني وأنا طالب في المرحلة الابتدائية أنَّ محاربة العادات والتقاليد القديمة والبالية التي تؤثر في المجتمع كان فارسَها الدكتور عوض رحمه الله؛ لأنه أوجد في مجتمعه تلك الروح التي قضت على كثيرٍ من العادات والتقاليد التي كان يئنُّ منها المجتمع، ومن ذلك فضله في جانب تحديد المهور، وكنتُ أقرأ مَحاضر الاجتماعات وهي بخطِّه فيما يتعلق بالمهور وبناء الصلح وقطع كثيرٍ من العادات. وفي الجوانب الاجتماعية لم أسمع في حياتي أنه تخاصم أو اختلف بخصومةٍ مع أحد، ولم أرَه غاضبًا بل يشارك الناسَ أفراحهم وأحزانهم، وكان بارًّا بأصدقائه وأقاربه ويحرص على زيارتهم دائمًا، ومما عُرف عنه برُّه بأصدقائه وزملائه وأهله، وثمة أمور

(١) هذا مطلع قصيدة الشاعر محمد علي حسن شرارة القوزي التي رثا بها الدكتور القوزي، أورد النص في المنشور كاملًا؛ ولكنا آثرنا نقلها إلى قسم القصائد لإبرازها.(المحرران)

لم نعرفها إلا بعد أن تُوفي ومنها ما كان يُرسله شهريًّا للأفراد والأسر من الفقراء، وعلمتُ أن هناك مَن تعلَّم على نفقته، وينفق على أناسٍ حتى في خارج المملكة، فحقيقةً كان المصاب كبيرًا في الدكتور عوض، رحمه الله تعالى رحمةً واسعة.

كلمات تأبين

رحم الله عوض القوزيّ

أبوأوس إبراهيم الشمسان

في يوم الخميس١٤٣٤/١٢/١٩هـ توفي أستاذنا الجليل الدكتور عوض بن حمد القوزي أستاذ النحو والصرف في قسم اللغة العربية-كلية الآداب-جامعة الملك سعود، وكان قد تعرض لحادث مروريّ أليم وهو في طريق عودته من مدينة القوز إلى جدّة التي نقل إليها وأدخل إلى العناية المركزة في مستشفى الملك فهد حيث توفي بعد أيّام قليلة، رحم الله أستاذنا رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنّاته، وألهم ذويه وزملاءه وطلابه الصبر والسلوان.

كان من بين قلّة من الأساتذة الذين زويت لهم علوم العربية والثقافة الغربية، فقد أنهى دراسة الماجستير في جامعة الملك سعود حيث كتب رسالة عن (المصطلح النحوي-نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري)، ثمّ استكمل دراساته العليا في جامعة أكسفورد فأنهى دراسة الدكتوراه وكتب موازنة بين شروح كتاب سيبويه في القرن الرابع الهجري، ولما عاد للتعليم في القسم واصل اهتمامه بكتاب سيبويه فاستخرج من شرح السيرافي ما كتبه عن الضرورات الشعرية وجعله كتابًا منفصلًا (ما يحتمل الشعر من الضرورة)، وحقق كتاب (التعليقة على كتاب سيبويه) لأبي عليّ الفارسيّ، ومما يتعلق بعنايته بسيبويه ما كتبه من أبحاث (رحلة كتاب سيبويه من البصرة)، و(زعم الخليل في كتاب سيبويه)، و(أقوال العرب في كتاب سيبويه)، و(أثر

كتاب سيبويه في الدرس اللغوي). ووجه بعض طلابه ليدرسوا موضوعات تتعلق بسيبويه فكان منها رسالة الماجستير (المسائل الافتراضية في الكتاب لسيبويه)، ورسالة الدكتوراه (الاستطراد في كتاب سيبويه).

وكان رحمه الله له من السمعة العلمية ما جعلته عضوًا في المجامع والجمعيات اللغوية، شارك في مؤتمرات وندوات داخل المملكة وخارجها، واختير حكمًا لكثير من البحوث والكتب، ناقش رسائل ماجستير ودكتوراه، وأشرف على عدد من طلاب الماجستير والدكتوراه، يشهد له طلابه بفضله وعلمه وكرمه وشدة عنايته بهم والحرص عليهم، وقد رأيت السجل الذي كان يدوّن فيه تواريخ لقائه بالطلاب لمناقشتهم في إعدادهم رسائلهم، ورأيته يكتب تقارير عنهم بخطّ نسخيّ رائع، وأما زملاؤه في القسم والجامعة فمجمعون على الثناء عليه لدماثة خلقه وصدق قوله ومعاونته لهم.

وكان رحمه الله وفيًّا محبًّا لأساتذته وبخاصة المرحوم الأستاذ الدكتور حسن شاذلي فرهود، وآية ذلك تشجيعه لي أن نشترك في كتاب يهدى إليه فكان كتاب (الشاذليات) الذي شاركنا الكتابة فيه الدكتور محمد الباتل الحربيّ، والأستاذ الدكتور تركي بن سهو العتيبي من جامعة الإمام، وكان لي شرف مشاركته غير ندوة ومؤتمر، وما دخلت قسم اللغة العربية إلا عرجت على مكتبه لأجلس إليه وأسمع منه ونناقش هموم العربية التي كان من أشدّ الناس غيرة عليها ومن أكثرهم دفاعًا عنها، ومن أمثلة ما كتب عنها جملة من البحوث منها: (رؤية مستقبلية لتدريس اللغة العربية)، و(الضعف اللغوي – التشخيص والعلاج)، (اللغة

العربية في القرن الحادي والعشرين)، و(رؤية تربوية في مناهج اللغة العربية)، و(إحياء الدخيل على رفات الفصيح)، و(الوعي اللغوي – نشأته وتطوره)، و(العربية الفصحى في مواجهة تحديات العولمة)، و(الضعف اللغوي – أسبابه وعلاجه)، و(الإعلان واللغة)، و(الجهود المبعثرة في خدمة التراث)، و(اللغة والهويَّة)، و(حصار الضَّاد).

رحم الله أبا محمد الذي عرفته بنبل خلقه، وسعة معرفته، وسابغ كرمه، وإنّ العربية بذهابه خسرت أحد أهم سدنتها، فلعل الله ينفع بما خلفه من علم وبمن علّم من طلابه ليواصلوا رسالته التي نذر نفسه لها.

د. عوض القوزي.. تبكيه لغة الضاد

د. عائض الردادي

الإثنين ٢٠١٣/١١/٠٤

إن فقد عالم ليس بالأمر السهل، فهو انقطاع معين يغذي اللغة العربية بما يخدمها في زمن صراع الهويات، ولكن لا راد للقضاء.

اخترمت المنون د. عوض بن حمد القوزي يوم الخميس ١٤٣٤/١٢/١٩هـ الموافق ٢٠١٣/١٠/٢٤م، إثر حادث مروري مؤلم، بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي، وُلد في القنفذة عام ١٣٦١هـ، وبها درس المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، ثم الثانوية في مكة المكرمة، ثم الجامعية في الرياض، ثم الدراسات العليا في جامعة أكسفورد التي حصل منها على الدكتوراه عام ١٤٠٥هـ.

لقد فقدت اللغة العربية بغيابه عالمًا كبيرًا، وأستاذًا جليلًا أغناها بالدراسات والبحوث، وإخال حزنها عليه يفوق حزن أصدقائه الذين ارتسم الحزن على محيا كل واحد منهم، وقد اجتمع جمع منهم للعزاء بالرياض في منزل د.مرزوق بن تنباك، ذاك الذي أرسل تغريدة عن قصيدة في لحظة استشعار في (هانوي)، سألني الصديق د. عوض القوزي من سيكون الأول منا؟ أجبته:

لعمرك ما أدري وإني لأَوْجل... على أيّنا تَغدو المنية أوّل

الآن دريت..

لم أحتمل خبر الفجيعة، وكنت على مسافات بعيدة من الوطن، وكررت قول الجواهري:

قد يقتل الحزنُ من أحبابه بعدوا ...عنه، فكيف بمن أحبابه فُقدوا

كان الفقيد عائدًا من القنفذة بعد زيارة الأهل في العيد، وفي الطريق الذي لا يُحاط بسياج ارتطم جمل سائب بسيارته، فكانت الفاجعة التي صوّرها الشاعر محمد بن علي بن شرارة القوزي في قصيدة مطلعها:

ماذا فعلت وقد أوقدت يا جملُ... نارًا بفعلك، فانقادت لها الحمم

مزّقتَ -يا سائب الصحراء- أفئدةً...أججتَ فيها جراحًا، ليس تلتئم

رحل د. عوض محفوفًا بالحزن، وترك سيرة عطرة وعلمًا يُنتفع به، كان عضوًا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ودمشق، وفي جمعية لسان العرب، وجمعية حماة اللغة العربية، غير أن عمله المميز هو خدمة كتاب سيبويه في اللغة العربية، وهو أول كتاب في العربية وأشهر كتاب فيها، وله عدد من المؤلفات والبحوث تزيد عن ٣٤ كتابًا وبحثًا، أشهرها تحقيقه لكتاب "التعليقة على كتاب سيبويه" في ٦ أجزاء، أما الكتاب الذي كان يعده مشروع العمر فهو كتاب "شرح كتاب سيبويه" لأبي سعيد السيرافي، وقد نسخ المخطوطة كاملةً، وخزّنها في الحاسوب وبدأ التحقيق، ووصل إلى تحقيق خمسة عشر جزءًا[١]، والكتاب

(١) نسخت ثلاثة أجزاء وعلق عليها، ونسخ خمسة عشر جزءًا من غير تعليق. (المحرران).

سيزيد عن عشرين مجلدًا، وقد قال عنه: "إنه لا يماثله كتاب في النحو العربي، وإذا صدر كاملًا سيكون موسوعة نحوية لا تجعل الدارسين يسألون عن معنى ورد في كتاب سيبويه"، وهو مطابق لما قاله الدارسون قبله من أن شرح السيرافي "لم يُسبق إليه ولم يأتِ أحد بمثله"، وكذلك عمل د. عوض لم يتجشم محققٌ قبله إخراج هذا الكتاب[1] الذي نرجو أن يُكمل عمله وبخاصة من جامعة الملك سعود.

لقد عاد د. عوض في بحوثه اللغوية إلى المنابع الأولى، ولذا تميز في دراساته وتحقيقاته وبحوثه التي تناولت في أكثر من ٢٩ بحثًا خدمة العربية، بالرؤية المستقبلية لها، وتشخيص الضعف اللغوي والعلاج، والرؤية التربوية لمناهجها الدراسية، ومواجهة التحديات العالمية، والجهود المبعثرة في التراث، واللغة والهوية، وحصار العناد، وغيرها من البحوث العميقة التي سعت لخدمة العربية في زمن يخجل حينًا بعضُ من ينتسب إليها أن يتحدث بها، إن لم يكن عاجزًا عن الحديث بها، وهو يجيد اللغة الإنجليزية، ويعرف اللغتين الألمانية والفارسية.

إن فقد عالم ليس بالأمر السهل، فهو انقطاع معين يغذي اللغة العربية بما يخدمها في زمن صراع الهويات، ولكن لا راد للقضاء، وقد بقيت دراساته صدقةً جاريةً وعمرًا لا ينتهي ما بقي من ينطق العربية، رحمه الله.

---

(١) بل سبق إلى ذلك فقد حقق أجزاء منه طلاب في جامعة الأزهر في رسائل علمية، وأصدرت دار الكتب عددًا من أجزائه محققة.

عوض القوزي.. إلى رحمة الله

محمد بن عبدالرزاق القشعمي

تعرض الأستاذ الدكتور عوض بن حمد القوزي لحادث سير مع نهاية إجازة عيد الحج، وهو قادم بطريق البر من بلدته القوز إلى جدة، حيث اصطدمت مركبتهم بجمل سائب لم يتبينوه في طريقهم ليلا، وهو طريق الجنوب الساحلي الممتد من القنفذة لجدة، والغريب أن هذا الطريق رغم أنه مزدوج لم يُحم بسياج يمنع المواشي من اجتيازه كغيره من الطرق السريعة.

عرفت الأستاذ القوزي -رحمه الله- عن قرب منذ عشر سنوات بمشاركته الدائمة في خميسية الشيخ حمد الجاسر الثقافية، وفي لقاءات متفرقة مع بعض الأدباء في دار المفردات للنشر بضيافة الشاعر الصديق عبدالرحيم الأحمدي، وفي لقاءات أخرى في مجلس الأستاذ الدكتور مرزوق بن تنباك زميله وصديقه ورفيقه الأثير المقرب إلى نفسه.

وترافقنا عند حضور اجتماع جمعية لسان العرب في القاهرة عام ٢٠٠٦م، التي استضيف فيها الأستاذ الدكتور عبدالمحسن بن فراج القحطاني، لقد كان نعم الرفيق في سفره وحضره، يتمتع بروح خفيفة مرحة، وبطلاقة وبشاشة بالوجه، وصدق وجد في المناقشة والحوار الهادئ.

قدمت له قبل بضع سنوات نسخةً من كتابي (الفكر والرقيب) بطبعته الأولى، وفاجأني بعد أيام معيدًا الكتاب بعد

تصويب بعض الأخطاء اللغوية، ومطالبًا بنسخة أخرى، وفعلًا أخذت بتعديلاته في الطبعات اللاحقة، وعند إعدادي لكتاب جديد أسميته (بداياتهم مع الكتابة)؛ طلب مني -بأريحيته المعتادة- أن يطلع عليه قبل الطبع، وفعلا عرضت عليه المسودة، فأعادها بعد أشهر رغم مشاغله الأكاديمية وغيرها، بعد أن راجعها لغويًّا، وأخضعها لما هو متبع في البحوث الأكاديمية المتعارف عليها في التوثيق، وثبت المراجع والمصادر وغيرها، وقد طلبت منه برجاء أن يقدم له، ولكنه اعتذر بلباقة بأنه لم يتخصص بالأدب العربي، ولكنه معنيٌّ باللغة العربية من نحو وصرف ونحوها، وقال إن لكل فن فرسانه، ولهذا أنصحك بأساتذة الأدب العربي، فهم الأقدر والأجود، وفعلا عرضته على الدكتور معجب الزهراني، فاستجاب مشكورًا، والكتاب سيرى النور قريبا.

والأستاذ الدكتور عوض من مواليد مدينة القوز بمنطقة القنفذة عام ١٣٦٣هـ، بدأ كغيره من أبناء الأرياف في صغره مزارعًا وراعيًا للأغنام، والتحق بالتعليم متأخرًا، وسريعًا ما حصل على الدكتوراه في النحو والصرف واللغة من جامعة أكسفورد بإنجلترا عام ١٩٨٥م، والتحق من وقتها كعضو هيئة تدريس بجامعة الملك سعود بالرياض.

وهو إلى جانب عمله له مشاركات فاعلة في المجامع والجمعيات والمؤتمرات، أذكر منها:

- عضوية مجمعي اللغة العربية بالقاهرة ودمشق.
- عضوية جمعيات عدة منها: لسان العرب، وحماة اللغة العربية، والجمعية اللغوية السعودية.

• ومشاركاته في الكثير من المؤتمرات الأدبية والثقافية محليا وخارجيا عربيا وإسلاميا.

• وله مؤلفات في مجال اللغة أذكر منها:

- ما يحتمل الشعر من الضرورة لأبي سعيد السيرافي (تحقيق).
- التعليقة على كتاب سيبويه لأبي علي الفارسي (٦ أجزاء) (تحقيق).
- معاني القراءات لأبي منصور الأزهري (تحقيق بالاشتراك) (٣ أجزاء).

لقد بلغ من لطفه وحسن معشره ودماثة أخلاقه أن يمازحني في بعض المواقف والاستراحات، وكان يذكر بعض الطرف والمواقف المزعجة، التي تدل أحيانا على سطحية وقلة ثقافة البعض، ومنها أن أحد طلابه في الدراسات العليا سأله: لماذا ينتهي اسمك بالقوز؟ فرد عليه: نسبة إلى بلدي! فقال له محاوره: وأين القوز؟ فأجابه: بمنطقة القنفذة؟ والعجيب أن سائله أبدى استغرابه بعدم معرفته أو سماعه باسم القنفذة!!

وغيرها من القصص والمواقف التي لا يحسن ذكرها في هذا الوقت.

هذا وقد أحسن مركز حمد الجاسر الثقافي صنعًا بإبلاغ رواده بما تعرض له للدعاء له، كما علمت بمتابعة صديقه الأثير مرزوق بن تنباك لحالته وزياراته له رغم بعد الشقة.

رائد القوم لا يكذبهم

(في ذمة الله يا دكتور/عوض بن حمد القوزي)

الشيخ/عبده بن محمد بن أحمد القوزي

لا نختلف جميعًا على أن توحيد هذه البلاد على يدي مؤسسها العظيم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- هي القيمة العليا في حياتنا المعاصرة، بعد عقيدة التوحيد التي نتمثلها في جميع مناحي حياتنا، ثم يأتي التعليم معززًا للوحدة الوطنية وباعثًا لأمتنا من الوهدة التي كانت تعيشها.

ولقد كان للتعليم رواد في مجتمعاتهم ومناطقهم، عَبَر الكثير منهم مراحل الحياة بآثار متفاوتة بين الخفوت والموات، ومحافظة القنفذة عامةً ومركز القوز خاصةً كان لها في الريادة رائد لم يكذبها أبدا، بل كان صادقًا كل الصدق منذ بدايات أوليات حياته، إنه الأستاذ الدكتور عوض بن حمد بن علي القوزي، أستاذ النحو والصرف بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض، غفر الله له وأنزل عليه شآبيب رحمته، فهو منذ تخرجه معلمًا كانت ريادته هي المحرك له، فكان نشاطه الاجتماعي يتعدى دور المعلم إلى المصلح، التفت إلى ما يعانيه مجتمعه من عادات وتقاليد بالية، فانصرف بصبره ودماثة خلقه المعروفة عنه وروحه المتسامحة مع أفراد مجتمعه لوضعهم على الطريق الصحيح للحياة العصرية التي تعدهم لها حكومتهم الرشيدة، بنشر التعليم والتنمية الاجتماعية، فكان عونا لهم بعد الله في تهذيب تلك العادات والتقاليد، لنبذ ما يعوق مسيرة مجتمعه، ونشر الألفة والتراحم

بينهم، دون أن يشغله ذلك عن أهدافه وغاياته في مواصلة تعليمه، لا تفوته سانحة إلا اهتبلها، حتى إنني لا أكاد أراه في مجتمعنا الصغير حتى يشرع في مواصلة مشواره مرةً أخرى.

يأسرني جمال خطه[١]، وأنا أقرأ تلك الأسطر التي تحمل وقائع اجتماعات القبيلة التي هو عرابها، لمناقشة بعض تقاليدها البالية، وتقرير لبنود جديدة تحل محل تلك التقاليد، وتزرع في مجتمعه آمالًا بحياة جديدة تتفق وبشائر النهضة المباركة.

ويستمر سعيه في مواصلة تعليمه، الذي يبعث في أبناء مجتمعه روح الإصرار على الاحتذاء برائدهم، الذي فتح لهم آفاق العصر بسعيه الحثيث للعلم، دون أن تعيقه المسافات، فكان ذلك المغترب الحاضر في النفوس يجوب آفاق المملكة (الطائف-مكة المكرمة-الرياض)، ثم يتجاوزها إلى أعرق الجامعات حيث جامعة أكسفورد ببريطانيا، ليحصل فيها على شهادة الدكتوراه، ثم يبدأ حياةً حافلةً بالعلم والعمل، بجامعته التي احتضنت جهاده العلمي تعليمًا وإنتاجًا علميًّا ثرًّا.

وتمضي به سنوات العمل في الرياض، وهو جواب للمسافات بينها وبين محافظته ومدينته وأهله، والآفاق التي يذرعها خارج المملكة للمشاركات العلمية وخدمة أشرف لغة يتصدى خلالها بصبره المعهود وجَلَده على البحث والاستقصاء لأمهات كتب التراث في لغة الضاد، التي تحاشاها كبار المحققين من مستشرقين وعرب، مصطحبا سيبويه وأبي علي الفارسي

---

(١) انظر الملحقين ١، ٢.

وغيرهم من أعلام اللغة، دون أن ينسى أهله ومحافظته الذين يزهون بأن يكون رائدهم هو شيخ النحويين في عصرنا.

وبعد... لقد رحل رائدنا إلى رحاب ربه، بعد أن ضرب لنا المثل الأسمى في حب وطنه ومجتمعه، والعمل بصدق وإصرار في سبيل تحقيق أهدافه في إصلاح مجتمعه ونيل أرفع المقامات.

لم تتقاصر همته يومًا، حتى وهو شيخ النحاة العرب، بل كانت أعلى وأرفع، لم يكن رائد أهله في مدينته فقط، بل أصبح رائد أمته في إعلاء شأن لسان العرب، وتلك هي الريادة التي تقاصرت عنها الهمم.

رحمك الله يا رائدنا، لقد أعليت من شأن مجتمعك ووطنك الذي أصبح بفضلك وأمثالك من صناع أمجاد العرب لا من أطرافها.

صبرا أيها المحبون على الفراق الممض، فهي سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا، ورحماك ربنا بخادم لغة الفرقان، اللهم تقبله في مراتب الشهداء والصالحين، وأبدله دارًا خيرًا من داره ورفقةَ خيرٍ في عليين.

عوض القوزي! وداعا أعز الرجال[١]

محمد بن ناصر الأسمري

حينما تكون الفجيعة في فقد إنسان له قامة وقيمة؛ يكون الألم أشد مضاضة على النفس.

فقد عالمنا العربي من أسبوع عالـمًا فذًّا في صون لسان العرب، وأستاذًا جامعيًّا معلمًا ثري العطاء.

ذاك هو الصديق الأستاذ عوض بن حمد القوزي غفر الله له، عضو مجمعي اللغة العربية في دمشق والقاهرة.

بل إن وطني فقد رجلًا نادر المثال كما قال رمز الوفاء الأستاذ الدكتور حمزة المزيني في مقاله في صحيفة الشرق قبل الفقد بيوم.

كُثُرٌ من قادة الفضيلة والوفاء أطروا الراحل الكبير بما هو أهل له من الثناء، لأنه عالم ومعلم له من سمات التواضع والجدية في مسار مهنية التعليم والبحث العلمي مقام ريادة وإنتاج.

عرفتُه من سنوات، وأحببت فيه روح العلمية والمنهجية الصارمة، وكراهة الكذب والتدليس، والحب للإبداع بحثًا وتدريسًا وإدارةَ تعليم، ثم محاورًا ومحاضرًا في منتديات داخل الوطن وخارجه.

---

(١) نشر في "جسور"، مركز حمد الجاسر الثقافي، ع٤١محرم١٤٣٥هـ، ص١٢.

كان حلو الكلام جادًّا ومداعبًا، إمامًا لنا في صلاة العشاء، ثلة من الرفقة الجميلة في داره، رفيق مراحل عمره الدكتور مرزوق بن تنباك شيخ العشيرة والمقام علمًا ونبضًا بالوطنية والوفاء.

ثم رفيقًا في مراسلات هاتفية أو مكالمات لتبادل الأفكار والرؤى، وكان للتراث المكي التهامي والسروي مجالات وسجالات، نتفق ونختلف، لكننا دوما نأتلف.

شكوت إليه كبر حجم مكتبتي، وهلعي كيف أصنع بما بات مكررًا، فأشار علي أن أتبرع بها لمؤسسة أكاديمية في القنفذة، فكان ذلك أن حملَتْ ناقلةٌ جزءًا من كياني إلى هناك، ولم يسمح أن أدفع أجرة الشاحنة.

كلانا كان مولعًا بالتراث الشعبي، من نشيد النشيج في الطرق الجبلي واللحن الشجي، لأصوات المنشدين والمولشين وبعض كلمات اللهجات السروية والتهامية.

عوض ربما العوض فيه الاحتساب والدعاء أن رحمه الله ويغفر له، بكيته كثيرًا وأنا أصارع أوجاع قلبي الصحية يوم قيل مات الرفيق الحبيب، وما نفع البكاء أيها الراحل العزيز.

كان الوجع بالفقد كبيرًا، لكنني لا أجد سوى استعادة ما كتب الراحل أستاذي غازي القصيبي -رحمه الله- من شعر رثاء ليكون لروحيهما عزاء، فوداعا يا أعز الرجال عوض القوزي.

يا أعز الرجال! ماذا تقـول؟ أطويلٌ هذا الأسى أم يطول؟
وليالي الفـــراقِ كيف تراها وشعـــاع الصباح فيها قتيل؟

يا أعز الرجال! يعرف قلبي أن حمل الفراق عبْءٌ ثقيـل
ولياليه موحشـــات شكـول وأماسيه رنة وعويـــــــل
يا أعز الرجال! أمرٌ مطاعٌ نضب الدمع وارتوى المنديل
يا أعز الرجال! انتصف الليل كلانا في صبحه مشغـــول

عوض القوزي وداعًا.. وشكرًا للأوفياء ومحمد شرارة[1]

محمد بن ناصر الأسمري

فقدت الأوساط العلمية في عالمنا العربي عالمًا فذًا، هو الأستاذ الدكتور عوض بن حمد القوزي - غفر الله له، وهو من كان صنو الراحل الكبير حمد الجاسر - غفر الله له؛ إذ شغل كل منهما عضوية مجمعي اللغة العربية في القاهرة ودمشق. وهما مواطنان سعوديان، يفخر بهما الوطن، كما كان الفخر بأمثالهما من خيرة من عملوا في سبيل العلم ومنهجياته في شتى العلوم والفنون. من يطلع على سيرته في جامعة الملك سعود التي عمل بها يجد صورة العالم الجاد في البحث والتحقيق العلمي، وتعدد مجلدات الكتب التراثية التي عمل على تحقيقها ونشرها، وما زال في مكتبته وحواسيبه كمٌّ هائل؛ وعسى الله أن يقيض من مراكز البحث العلمي من يكمل ما بقي. حان أجل الزميل والرفيق الصديق عوض وهو عائد من بلدته القوز، حين صدم سائقه بعيرًا سادرًا في الظلام، وقضى الله أجلًا كان محتومًا. عرفته منذ سنوات، وأحببت فيه الروح العلمية والمنهجية الصارمة، وكراهة الكذب والتدليس، وحب الإبداع بحثًا وتدريسًا وإدارة تعليم، ثم محاورًا ومحاضرًا في منتديات داخل المملكة وخارجها. كان حلو الكلام، جادًا ومداعبًا، ثم رفيقًا في مراسلات هاتفية أو مكالمات لتبادل الأفكار والرؤى، وكان للتراث المكي التهامي والسروي مجالات وسجالات، نتفق ونختلف، لكننا دومًا نأتلف. ستبقى

(١) نشر في صحيفة الجزيرة السبت ٠٥ محرم ١٤٣٥ العدد ١٥٠١٧.

ذكرى الراحل عوض في ساحات الفكر الإنساني طويلًا، وفي ذاكرة أجيال من أمتنا تعرف لأهل الفضل فضلهم. وفي ظني أن من طالباته وطلابه محليًا وعالميًا من قد يقدم أضواءً على ما قدم من علم ورصانة بحث. الفَقْد والحزن خفَّف من وطأتهما الوفاء الجميل من زملاء الفقيد في الجامعة ورفاق العلم والتعلم، الذين توافدوا على منزل الزميل الشهم والصديق الوفي الدكتور مرزوق بن تنباك حين أقام العزاء في الرياض يومَين، لكن غياب جامعة الملك سعود إدارة وكليات أمرٌ معيب؛ فلا عزاء ولا نعي[1]، والحال متصل مع الصحافة التي لم تُشِر بوفاء لرجل شرَّف أمته ووطنه بعلمه وبحوثه في محافل العلم في العالم. لكن لعل رثاء الشاعر محمد علي حسن شرارة كان حاملًا هموم الطيور في جزيرة أم القماري في ميناء القنفذة البحري، فكان وفاء لعوض الذي ربى شرارة الإبداع في هذا الشهم ربيبًا لمحمد بن عوض القوزي، فكان القول ما قدحت به شرارة اللوعة في جميل الكلم:

ماذا فعلت وقد أوقدت يا جملُ... نارًا بفعلك، فانقادت لها الحمم[2]

أيها الراحل القريب البعيد لن نشاطر أحبابك الحزن، لكنا نتقبل العزاء لك وفيك مع أهلك أهلنا عشيرة وصليبة، مع أخويك

---

(١) نظم قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود ندوة تأبين للقوزي في يوم ١٣/ ١١/ ٢٠١٣م. وقد توافد الزملاء إلى بيت الدكتور مرزوق للعزاء. (المحرران)

(٢) هذا مطلع قصيدة الشاعر محمد علي حسن شرارة القوزي التي رثا بها الدكتور القوزي، أورد النص في المنشور كاملًا؛ ولكنا آثرنا نقلها إلى قسم القصائد لإبرازها.(المحرران)

علي، وبلغيث، وأخواتك: زهراء والوافية، وسلطانة، وبنيك: محمد، وعلي، وأحمد، وعبدالله، ودقاقة، وزهراء، وعائشة وفاطمة، وأمل، وحنان، ووفاء، ومنى، وحليلتك. رحمة الله عليك.

رحم الله الدكتور عوض القوزي أحد روّاد اللغة العربية[(١)]

عبدالله بن حمد الحقيل

في يوم الخميس الموافق ١٩-١٢-١٤٣٤هـ تلقيت رسالة من مركز حمد الجاسر الثقافي ينعي فيها الصديق الدكتور عوض القوزي حيث تعرض لحادث سير وهو قادم بطريق البر من بلدته إلى جدة، ولقد أحدث نبأ وفاته ردة فعل من الحزن والألم لدى أصدقائه ومحبيه، إذ كانت له منزلة كبيرة في القلوب لما يتمتع به من أخلاق عالية وسجايا حميدة.

كان الفقيد أحد علماء النحو والصرف بجامعة الملك سعود وقد عرفته عن قرب من خلال المشاركة الدائمة في خميسية الشيخ حمد الجاسر الثقافية وغيرها من الندوات وعضو في جمعية اللغة العربية وترافقنا في حضور الكثير من المناسبات اللغوية والثقافية فكان نعم الرفيق وكثيرًا ما كنا نتناقش في قضايا اللغة العربية بحوار علمي مفيد وهو عضو في عدة جمعيات علمية ولغوية وصدرت له كتب عدة في مجال اللغة العربية مثل معاني القراءات لأبي منصور الأزهري والتعليقية على كتاب سيبويه، وما يحتمل الشعر من الضرورة للسيرافي وغيرها من البحوث والمؤلفات.. وكان بحكم تخصصه اللغوي يشد المستمع

(١) نشر في صحيفة الجزيرة، الأربعاء ٢٥ ذو الحجة ١٤٣٤هـ، العدد١٥٠٠٧. ونشر في "جسور"، مركز حمد الجاسر الثقافي، ع١٤محرم١٤٣٥هـ، ص٦.

إليه لقدرته على الإقناع، وهو دليل على استيعابه النحو والصرف.

لقد كان رحمه الله إلى جانب جهوده العلمية متحدثًا لبقًا ملمًا بشتّى قضايا اللغة العربية ونحوها وصرفها.

نرجو الله أن يجزيه خير الجزاء على ما قدم للعلم ولأمته. ولقد قال ابن مسعود رضي الله عنه عنوان صحيفة الميت ثناء الناس عليه. رحمه الله وجعل في عقبه الخير والبركة وأسكنه فسيح جناته. وكل نفس ذائقة الموت. ولقد قال الإمام الشافعي:

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسًا إذا حكم القضاء

ويقول الشاعر ابن عثيمين:

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب

إذا حط ذا من نعشه ذاك يركب

عوض القوزي

«النحوي» الذي رحل ولم يكمل حلمه![1]

محمد المرزوقي

قدم نادي الرياض الأدبي الثقافي ضمن فعاليات احتفاله باليوم العالمي للغة العربية بالشراكة مع مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، وبالتعاون مع "الجمعية العلمية السعودية للغة العربية" عدة فعاليات احتفاء بلغة الضاد في يومها العالمي الثاني، التي جاء ضمنها ندوة عن الدكتور عوض القوزي رحمه الله - شارك فيها الدكتور محمد الربيّع، والدكتور إبراهيم الشمسان، والدكتور محمد خير البقاعي، وأدارها الدكتور عادل العيثان، التي تعد الأمسية الثانية التي قدمها أدبي الرياض احتفاء بالقوزي، بعد أن سبقتها أمسية تأبينية عنه قبل عدة أسابيع.

وفي إطار الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية، الذي احتفلت به عامة المؤسسات الثقافية في المملكة، في مختلف مناطق المملكة ومحافظاتها، احتفلت وزارة الثقافة والإعلام بهذه المناسبة بعدة فعاليات، أقامت خلالها العديد من الفعاليات المنبرية، ومعارض الكتاب، وذلك من خلال الأندية الأدبية في المملكة، ومن خلال ٨٤ مكتبة في مختلف مناطق المملكة، التي

---

(١) نشر في صحيفة الرياض، الاثنين ٢٠ صفر ١٤٣٥ هـ - ٢٣ ديسمبر ٢٠١٣م - العدد ١٦٦١٨.

جاء ضمنها الندوة التكريمية للراحل الدكتور محمد بن أحمد الرشيد ـ رحمه الله ـ حيث اقترح المشاركون في الندوة أن يكرم في كل عام خلال الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية رائدا من روادها الذين أسهموا في خدمة علومها المختلفة، إذ أكد الدكتور ناصر الرشيد، خلال مشاركته في الندوة على أهمية تكريم أصحاب الإسهامات الرائدة في خدمة اللغة العربية، مقترحا الدكتور عوض بن حمد القوزي الشخصية المكرمة للعام المقبل.

وعن القوزي، أقام ـ أيضا ـ المقهى الثقافي بمحافظة بارق، مساء أمس الأول أمسية ثقافية تكريمية للقوزي، الذي، وصفه المشاركون في الأمسية بأنه علم أثرى المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات القيمة في علوم اللغة العربية وفنونها المختلفة، عطفا على مسيرته العلمية والأكاديمية والبحثية الرائدة في مجال اللغة العربية وآدابها، إذ كان له إسهاماته من خلال العديد من العضويات التي كان في مقدمتها: عضو مجمع اللغة العربية بدمشق؛ عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ عضو جمعية لسان العرب بالقاهرة؛ عضو جمعية حماة اللغة العربية بالقاهرة؛ ممثل الجمعية اللغوية بالمملكة ودول الخليج العربية؛ عضو الجمعية اللغوية السعودية؛ عضو الفريق الاستشاري لإنشاء قسم اللغة العربية بجامعة سيراليون؛ عضو المجلس العالمي للغة العربية بلبنان.

وقد نشر الراحل عددا من الأبحاث العلمية المحكمة، التي جاء ضمنها: الثقافة اللغوية مسؤولية من؟! اللغة العربية ووسائل الإعلام المعاصرة؛ معجم المصطلحات النحوية؛ جهود الخليل؛ أسئلة مجامع اللغة العربية؛ الثقافة المعاصرة والنحو؛ المجمع

والمجتمع؛ إعلام الإعلام بما للغة من مقام؛ التعليم في عهد الملك عبدالعزيز؛ أخلاق النحاة؛ أثر التلفاز في التنشئة اللغوية.

كما أصدر القوزي أربعة كتب جاء أولها بعنوان (المصطلح النحوي: نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري) وكتاب (ما يحتمل الشعر من الضرورة) لأبي سعيد السيرافي، محقق في جزء واحد، وإصدار بعنوان (التعليقة على كتاب سيبويه) لأبي على الفارسي، حققه في ستة أجزاء، وكتاب (معاني القراءات) لأبي منصور الأزهري، حققه مع آخرين في ثلاثة أجزاء.

وقد واصل القوزي اشتغاله بالعديد من المؤلفات في علوم اللغة العربية، إما بالتأليف وإما بالتحقيق، فقد كان - رحمه الله - خلال السنوات الماضية يشتغل بتحقيق (شرح كتاب سيبويه) لأبي سعيد السيرافي، الذي توقع القوزي أن يربو هذا الإصدار على العشرين مجلدًا، الذي قطع معه الراحل أشواطا متقدمة تجاوزت خمسة عشر جزءًا[١].. ليظل السؤال معلقا: ماذا سبق الأجل من إنجاز لهذا المشروع العلمي؟

---

(١) نسخت ثلاثة أجزاء وعلق عليها، ونسخ خمسة عشر جزءًا من غير تعليق. (المحرران).

الدكتور عوض القوزي عالم فذ(١)

معن بن حمد الجاسر

لقد كان وقع وفاة أخينا الدكتور عوض القوزي بالغًا، فقد خسرنا أخًا عزيزيًا وعالمًا جليلًا وإنسانًا يتسم بالتواضع ودماثة الخلق.

وقد تأثّر محبّوه – وما أكثرهم – بهذه الفاجعة، فكتبوا فيه المراثي، وفتح الدكتور مرزوق بن تنباك بيته للمعزين، وطالب البعض بأن تخصص ندوة علمية عن الفقيد، فأبدى الدكتور مرزوق بن تنباك والدكتور أحمد الزيلعي استعدادهما للتحدث عن فقيدنا الراحل في سبتية حمد الجاسر الثقافية يوم السبت السادس من المحرّم ١٤٣٥هـ، حيث يسلّط المحاضران الضوء على سيرته ومسيرته العلمية المتمثلة بجهوده في خدمة اللغة العربية على وجه العموم، والنحو على وجه الخصوص؛ إذ منحه جُلّ وقته واهتماماته فأصدر فيه المؤلفات وحقق العديد من الكتب والمخطوطات، وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية.

أسأل الله للفقيد الرحمة والمغفرة والدرجة الرفيعة في الجنة، وأن يجبر مصيبة أهله ومصيبتنا فيه.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

---

(١) نشر في "جسور"، مركز حمد الجاسر الثقافي، ع١٤محرم١٤٣٥هـ، ص٥.

عوض القوزي فقدان تسيل له دمعة القلب

أ.د. صالح زيّاد الغامدي
أستاذ النقد الأدبي الحديث
قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود

كان الدكتور عوض القوزي رحمه الله، شخصية تفيض بإحساس الأب في قسمنا على الطلاب والأساتذة والموظفين على حد سواء. وكان لأبوته رحمه الله ملامح عديدة أولها الحنان والحنو والتعاطف مع الجميع، فأنت حين تجلس إليه أو تحادثه تشعر بعلاقة تمتد بينكما وتشعر بمودة تجاهه مختلجة بالإكبار له وتوقيره، ولن تجد حاجزًا يحول بينك وبين أن تفضض له، فتتحدث عما يهمك أو ما يستعصي حله عليك من أمورك الشخصية أو من أمور عملك الأكاديمي. وحين يتحدث إليك فإن حديثه يرفعك إلى شعور مختلف لا أدري أهي رفعة الروح وسموها، أم هو جلال الحكمة وعمق التجربة والخبرة، أم هو ذاك الوجه المضيء لرجل يناهز الثمانين من العمر.

لم أكد أمر مرة من أمام باب مكتبه وهو مفتوح إلا وجدت بعض الطلاب يجلسون إليه، يقلون حينًا ويكثرون حينًا آخر، وفي الحالين تشعر بالمودة والاحترام في وجوههم وعيونهم تجاهه. وهو حبيب إليهم قريب من أفئدتهم، ولذلك فإنهم يسألونه في أمور تتعلق بالمقررات التي يدرِّسها لهم، ويسألونه في مسائل اللغة أو في مسائل التراث اللغوي بعامة، ويسألون خارج هذه المقررات وخارج علوم اللغة. وقد يكون سؤالهم شكوى من أستاذ تفنن في

التضييق عليهم، أو فَهِم أستاذيته بمعنى التحكم في طلابه، أو لم يقبل لأحدهم عذرًا، أو فهم فعلًا أو قولًا من آخر فهمًا مجحفًا بالطالب. وهنا فليس للطلاب إلا أبوهم الذي لا يدخر أي جهد في حل مشكلاتهم والغضب من أجلها.

وأتذكر ولا أنسى، ومن أين لذاكرتي أن تنسى تلك اللحظات الثمينة التي تشاركت فيها معه عليه رحمة الله، العمل في لجنة أو في مهمة من مهام العمل الجامعي؟! ففي إحدى اللجان التي عملنا سويًا فيها كنت رئيسا للجنة، وتقدم إلينا أحد طلاب المنح من نيجيريا يبدي رغبته في تغيير أحد أعضاء لجنة معينة لامتحانه. وبدا لي أننا إذا استجبنا له فسنفتح بابًا لكل من أراد أن يغير ممتحنيه. لكن فقيدنا غفر الله له، كان له رأي آخر، ووقف في صف الطالب منتصرًا لرغبته، ولا أزال أتصور الجدِّيَّة والانفعال اللذين اختلج بهما كلامه وموقفه في المسألة. وعبثًا كنت أحاول إقناعه، وكان الزميل والزميلة اللذان يشاركاننا في اللجنة، مثلما كنت، نشعر بالإجلال له ولا نملك إلا الاستجابة له.

ولقد ظفرت منه في إحدى الجلسات التي جمعتنا فيها إحدى نزهات القسم التي اعتاد تنظيمها في استراحات خارج الجامعة، بحكاية طويلة للفتى القوزي وهو يصارع الحياة منذ طفولته وحتى تخرجه من الجامعة. ولله كم شدني إلى سيرته، وكم دلَّل لي عبرها عما اعترض سبيله هو وأبناء جيله من المصاعب، وكم قاسوا من العناء! ولكنه وأمثاله كانوا مثالًا ناصعًا على الإرادة الصلبة والعزيمة النافذة والطموح الذي لا حدود له. ولم يكن رحمه الله مدعيًا ما لا حقيقة له، ولم يكن متجملًا بالزور، أو مخيِّلًا لمستمعيه مثالية فارغة أو بطولة كاذبة وهو يتحدث عن

حياته. وهذه الصفات الأخيرة منزلق في حكاية الأشخاص لسيرهم لا ينجو منه إلا القليلون، ولقد كان من هؤلاء فقيدنا القوزي جبر الله مصابنا على فقده.

كان مصابنا في الدكتور فاجعًا، وإنها لفجيعة قاسية يعرفها حق المعرفة من أحبه وعرفه عن قرب، ولذلك فليس أحد من الذكور والإناث في قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود لم يصعقه خبر الحادث ثم خبر الوفاة. وقد كنت في آخر أيام الدوام حريصًا على إرسال بعض بحوث مجلة كلية الآداب إلى المحكمين قبل حلول إجازة العيد، فأرسلت إليه ما كان معيَّنا لتحكيمه، وبعد أيام جاءني الرد منه معتذرًا بسبب سفره وخشيته من التأخر في الرد. وقد عدت عند سماعي خبر الحادث إلى قراءة الرسالة من دون وعي، يا إلهي! يا للقدر النافذ! آمنت ربي بأنك حق، وأن الموت حق، والحياة ما شاء الله! وليرحم الله فقيدنا ويسكنه فسيح جنانه ويلهم أهله وأصدقاءه وتلاميذه ومحبيه الصبر والسلوان.

وأخيرًا ترجل الفارس

أ.د. أحمد مطر العطية

نعم ترجل فارسنا منذ أيام معدودات، وترجل عن صهوة جواده الذي أسرجه منذ ما يزيد عن نصف قرن، ليجاهد في ميادين العلم والفكر يصل الليل بالنهار في طلب المعرفة وإنتاجها ونشرها، وخلف لنا بعد ترجله ورحلته الطويلة ثروة علمية رائعة من كتب قيمة وأبحاث متنوعة.

نعم ترجل الفارس الدكتور عوض حمد القوزي الأستاذ الألمعي والعلم الفذ والمفكر الحر فقد فُجِع ذووه ورفاقه وطلابه بوفاته إثر حادث مروري مؤلم، فلبى نداء ربه رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه جزاء الصالحين الطيبين.

أمضى الدكتور عوض حياته مع أصول علم اللغة والنحو، والأصول هي فقار العلم، فقد نذر نفسه للعناية بتراث أمته، فأخرج لنا كتبًا تراثية أغنت المكتبة العربية، ككتاب التعليقة على كتاب سيبويه للفارسي، وكتاب ما يحتمل الشعر من الضرورة للسيرافي، وغيرهما، لقد عاش رحمه الله وفيًا للأصول، متطلعًا للآفاق.

كانت حياته حافلة بالعلم والعمل، فحبس نفسه في محراب الفكر والبحث أستاذًا وباحثًا وعضوًا في مجامع وجمعيات لغوية.

وظل طيلة حياته سادنًا للغة العربية، يحرسها، ويصونها، ويدافع عنها بكل ما أوتي من قوة واقتدار، كان شجرة وارفة

الظل، دانية القطوف، تنحني تواضعًا لكثرة ما تنوء بحمله من جنيّ الثمار وأطايبيه، كان رحمه الله يتمتع بخلق رفيع، وتواضع جم، كان أنموذج الرجل البسيط، المتواضع الذي يرفعه علمه وأخلاقه السامية، ولا يعكر ذلك ادعاء أو غرور.

عرفت الدكتور عوض عن كثب فكان مكتبه في قسم اللغة العربية على خطوات قليلة من مكتبي، أعرج عليه باكرًا، ألقي عليه تحية الصباح، فيرد بأحسن منها، بوجه مشرق بشوش، وثغر باسم وضاح، وكلام ألذّ من جني النحل، وكنت أحيانًا أقتحم عليه مكتبه وأجلس معه نتجاذب أطراف الحديث، وكان كله عن اللغة العربية وهمومها، وطلابها الذين يعبر عنهم دائمًا بأبنائي عطفًا عليهم، وإشفاقًا، وأسمع منه رحمه الله حديث العالم الجليل الذي يفكر في دقائق العلم وأسراره.

تشرفت بالعمل معه ومع أستاذنا الدكتور مرزوق بن تنباك – أمد الله في عمره- في إعداد موسوعة القيم ومكارم الأخلاق باحثًا ومحكمًا، وكان الدكتور مرزوق الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي، وكان المرحوم الدكتور عوض مدير المشروع، وكنت آنذاك كثيرًا ما أناقشه في بعض قضايا الموسوعة الفكرية والبحثية، فلا أجد فيه إلا رحابة الصدر، وسعة الأفق، والفكر الثاقب، والعلم الغزير، مع صدق الناصح وحنو الصديق الحميم.

كان وايم الله رضي الخلق، سمح المعاملة، رفيقًا بمن كان يتعامل معه، فإن أخطأ طالب قابله بالحلم، وإن تعثر مجدٌّ مد له يد العون، وإن برز آخر أثنى عليه وشجعه.

وكان يبحث دائمًا كمن يبحث في العلم عن ضالة له عزيزة، وينقب في الأماكن هنا وهناك وكما يقول أحدهم: إنه كمن ألم به وجع ظل يبحث في فراشه عن وضع يريحه، حتى وجد الراحة الكبرى بإذن الله تعالى.

رحمك الله يا أبا محمد لقد رحلت عنا وما رحلت ذكراك العطرة فستظل في قلوبنا وجوانحنا رمزًا للعلم والعطاء، والبذل والأخلاق السامية، ستظل ذكراك في قلوب محبيك ومريديك وتلامذتك – وما أكثرهم !- نبراسًا يهتدي به السارون في طريق العلم والفكر والبحث.

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾[الفجر]

صدق الله العظيم

قصائد

عوض القوزي سيبويه زمانه(١)

محمد علي حسن شرارة القوزي

ماذا فعـــــلتَ؟ وقد أوقدتَ يا جملُ
نارًا بفعــلكَ فانقـــــادت لها الحممُ
مزَّقتَ يا ســـائبَ الصحراءِ أفئدةً
أجَّجتَ فيهـــا جراحـــــًا ليس تلتئمُ
لو كنتَ تعـلم ما ألفـــــــيتَ من عملٍ
لاجتاحكَ الذلُّ والتشـــــريدُ والندمُ
حمَّلتَنا الحـــزنَ أوزارًا مضـــــاعفةً
أسقيتَنا المرَّ في كاســـــاتِهِ الســقمُ
كان المصابُ بأرضِ الليث في دلجٍ
على الحبيبِ فـزلَّتْ في الثرى قـدمُ
فاضتْ له القـــوزُ(٢) أتراحًا وهاجَ لها
دمعُ الرياضِ وفي أحـــــداقِهِ الألمُ

---

(١) صحيفة البندر الإليكترونية.
(٢) القوز بلدة تهامية من مراكز محافظة القنفذة في منطقة مكة المكرمة، لها في تاريخ الوطن مواقف عز ونضال في مقاومة الظلم والطغيان التركي، حين أُسر البطلان طامي بن شعيب المحتمي وبخروش بن علاس الزهراني، وقتلوهما في تركيا قهرًا وعدوانًا.(عن: محمد بن ناصر الأسمري).

إلاكَ أنــتَ وإنَّ النفـــس في هـــولٍ

جاءَ المصابُ وكـادَ القـلبُ ينقسمُ

كلُّ المصــائبِ قد كـفلَ الزمـانُ بها

إلا مصــــــــابَك قد شقيــتْ به الأممُ

عوضٌ له العـــــــلمُ في أبهى تحـلَّته

حقًّا هو المجدُ قد رقصتْ له القممُ

وإنما البدرُ مستلـــــقٍ بهـــــــــامتِهِ

والكونُ يسعَدُ حين يــــــراهُ يبتسمُ

أمَا ترى النحوَ قد أعيتْهُ قــارعةٌ

مما أصـــــــابكَ فاستـرقى له القـلمُ

يا ربُّ لطفَك مـــا جفَّتْ محـاجرُنا

نبكي الفـقيدَ ويبـــكي العـــلمُ والكــلمُ

حملوا الحـبيبَ وبيتُ اللهِ مجلسُه

نِعْمَ الجـــوارُ جــــوارٌ حـفَّه الحـــــرم

لله درُّك مـا كان العـــزاءُ سـوى

فيضٍ من الناس إذ شهدوا لمن قدِموا

نورٌ تدفَّقَ في (البطحاء)[1] مشـرقةً

حارت له الـشمسُ بالأقمارِ والنُّجُـــــمُ

كأنمَّا (العدلُ)[2] قد سُرَّتْ بمقدمه

أثرت له المسك وانسابت له النعـــــمُ

يتوقَّف الشعـــر حيرانـًا وحُقَّ له

ما أنصف الشعرُ مَن سيقت له الهممُ

(١) بطحاء قريش.
(٢) مقبرة العدل.

رثاء الزميل/ عوض بن حمد القوزي

أ.د.فضل بن عمّار العمّاري

أحقًّا مُتّ يـــا عوض ولم تَقــــبَل بما عَرضـوا
أحقًّا بِتَّ فـــي منفًى بلا قيد وما انتـــــفضوا
أحقًّا خَرَّت الذكـــرى وراح الأمس يغـــــتَمِض
أحقًّا جاءنا خـــبر بأن الـــــموت يعترض
أهذا كلـــــه حُلُم أم ان الحُلـــــم مُفتَرض
وهل صرنا وهل صرنا نريـد الحُلم يُقـــــتَرض
ألم تعلم بأن الحـــــبَّ في الدنيا سينقرض
وأن الحُلم كـــالرؤيا فـــــلا أمسٌ ولا عِوَض
وصار الكل أشـــجانًا كأنا كلـــــــنا مرَض
وصــــار الكل حيرانًا كأنهمُ بذاك رَضُــــــوا
وبات الكلّ أحـــــزانًا فما ناموا وما غمَـــــضوا
كأنهمُ بهـــــم عَقِمت نسـاء الأرض فانقـــبضـوا
ويسأل بعضنا بعـــضًا متى كانوا هـــــنا رَبَضوا
وهل كانوا على علـــم بأنهمُ هناك قَضـــــــوا

وذاك الصوت لا صوت فكل الصَّحب قد رَكضـــوا
رضينا الحــقَّ والأقــ دارُ ما شــاءت لها عَرَض
لهم في الخُـلد روحات وهم فيها لها نـــهضوا
وأصحـــاب له خُدَنٌ وأصـــحاب حبَّه فَرَضوا
فمن أسمـــاك أبدالًا لك الجـــنات مرتبض
فإن ترحل فما رحـــلت شواطئ ما لـــها فُرَض
عميق الحبّ يجمعـــنا وكـــلٌ للرَّدى غَرَض
فلا قرّت عـــيون النا س إن هم ساء ما افترضـوا
فيا حــبًّا ويـا ذكرى تركتَ الـــقلبَ ينقبـــض
تركت الروح في ألـم تنادي منَ أتَـوا ومضُـــوا
فواحزناه يا عــوضٌ ويا ويلاه يا عـــوض
فودِّع صاحبًا يلقـــى رِفاقًا عنه ما عَرَضـــوا

يعزُّ علينا فراقُ مثله(١)

أ.علي الخويلدي

بسم الله الرحمن الرحيم،، اللهم صلِّ على محمد وآله،،

"فصبرٌ جميل"،، إنا لله وإنا إليه راجعون،، حسبنا الله، ونعم الوكيل،،

إلهي، أنتَ وهبتَنا هذا الشيخ الجليل؛ وقارًا لنا، ونصرةً لمظلومنا، وسلوةً لنفوسنا، وسبيلا صالحًا لك ولمرضاتك. ربنا، وبعدَ أن آنستَنا به، وعقدتَ قلوبَنا بشخصه وجمالِ ما أجريتَ على يديه من المكرمات، سلبتَهُ منَّا واسترجعتَهُ إليك، في ساعة غفلةٍ منَّا، لم يسعِفنا خطْفُها أن نصرِّحَ له بما انغرسَ في نفوسنا من امتنانٍ لفيضِ كرمه، ولا أن نعترفَ له بما ارتوت به قلوبنا من عذْبِ وِرْدِه وصافي شِرْبِه.

اللهمَّ، فكما آنستَنا بقربه، فآنسه بقربك، وكما فرَّجتَ عنا وكفيتَنا كُرَبًا جِساما بشخصه ونصرته، ففرِّج عنه الكُرَبَ الجسام بذاتك ونصرتك، يا عزيزُ يا كريم:

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن]

إلهي، وعوِّضنا عنه خيرَ العِوَض، وأرضِنا في صبرنا بخير المثوبة وأكرم الأجر. وامسح على قلوبنا كي نقوى على الصبر، وألهمنا منه بالصبر الجميل والشكر الوافر والرضا الذي توصلنا به لعتبات جنانك، واغسلنا بذلك من الذنوب والخطايا والآثام، ما ظهر منها وما بطن. واجعل ذلك كلّه كرامةً لروح فقيدنا الغالي، وعملا صالحًا تخلِّده به بجوار نبيِّك محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وجوارَ من أنعمتَ عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

---

(١) ألقيت في ندوة تأبين الدكتور عوض القوزي في قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود. https://news.ksu.edu.sa/ar/node/99833

يعزُّ علينا فراقُ مثله؛ ولكنْ، ليس أمامَنا إلا التحلِّي بالصبر الجميل، وأن نردِّدَ قولَهُ تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة]

أيـا بـدر يَـتِّم بـالأُفولِ مسـائيا
ويـا شـمسَ صـبحي اغربـي عـن سـمائيا

أيا قبحها دنيا، تعمِّرُ مَن طغى
وتُهلـك مَـن للخيـر كـان مناديـا

على فقدِ طودٍ للشهامةِ، شامخٍ
سأجزع في ليلي، وأبكي نهاريا

تـذكّرني الأيـامُ نهـرا وردتُـهُ
مـن الخلـق عـذبا مـن نميـرك صـافيا

لقد كُنتَ صنديدا قويا بمن عدا
رؤوفـا رحيمـا بالضـعيف محاميـا

نظيـفَ النوايـا، أبـيضَ القلـب، صـادقا
أبًـا حانيـا، بـرًّا، ودودًا، محابيـا

حـديثك ميسـورٌ، ونطقـك عِبـرةٌ
وذكـرك ميمـونٌ، مـن السـوء خاليـا

ووجهـك بشـرٌ، والتقـاؤك بهجـةٌ
لَكالشـمس إشـراقا، وكالصـبح زاهيـا

أيا شارعَ اللؤمِ الغَدُورَ بصحبه

ولا لجليــل القــدرِ كُنــتَ مراعيــا ؟!!

قرحــتَ جفونــا، واعتصــرتَ حشاشــةً

وأورثتَنــا رزءًا مــدى الــدهر باقيًــا

أيـا عِدتي فـي كـلّ خطـبٍ ألـمَّ بـي

رويدكَ، لا تترك مكانك خاويا!

أترحـلُ، أنـتَ المسـتجارَ بكربنـا،

لتورثَنــا كربــا بفقــدك قاســيا ؟!

ألا ليـتَ شـعري، كيـف تمضــي مكفَّنًـا

بقبـرك، مفضـوخا مـن الهـام قاضـيا ؟!

لـك اللـه ! هـل تـدمى بطـودك هامـةٌ

يبجّلهــا مَــن كــان فــي النَّــاسِ عاليــا ؟!

فقـدنا عـلًا لـم يـألف النـاس مثلـه

فريــدا، ســما فــي منبــرِ العلــم راقيــا

سقى اللـه تربـا ضـمّ حصـنا مـن التقـى

زكــيَّ الخبايــا، صــادقَ الوعــدِ وافيــا

لقــد قتلتنـــي بالتحسّــر غصّــتي
رحلــتَ ولــم تعـرف مـن الـودِّ مـا بيـا
أيـا حـاملَي زنـدي أطـيلا وقوفَنـا
علــى قبــره، أجــري الـدموعَ السـواقيا
لعـلّ تـرابَ القبـرِ يسـمع صـيحتي
فيخرجـــه حيـــا مـــن القبـــر ثانيـــه
وعـلَّ المعفّـى بـالتراب يقـوم مـن
مراقـــدة المـــوتى، مجيبـــا نـــدائيا
فيســمع منـــي نــدبتي وتـــأوُّهي
ويجمــل منـــه الصـــفح رفقـــا بحاليـــا
أناجيـــه علّـــي بالمناجـــاة بـــالغٌ
لمسـمعه كـم كـان فـي الـنفس سـاميا
خـذاني رويـدا واحملانـي هنيئـة
لقـــد هـــدّ أركـــاني انكســـارُ سِـــناديا
خليلــيَّ مُـرّا بـي إلـى عنـد بابـه
أجـــدِّدُ حزنــــي مســـتثيرا خياليـــا

وأضـرب فـي أوتـار شـوقي لطلّـةٍ

تمـــزّقَ منهـــا فـــي اشـــتياقٍ فؤاديـــا

ســـأندبه قلبـــا حنونـــا ودافئـــا

وأندبـــه صـــبحا إلـــى الخيـــرِ داعيـــا

ســأندب دومــا، مــا وقفــتُ ببابــه

كـــريمَ المحيّـــا، ضـــمَّه القبـــرُ ثاويـــا

فيا ربِّ صبّرني على رَوْعِ فقده

لقــد كـــان لـــي قلبـــا رؤوفـــا وراعيـــا

ويـــا ربنـــا اجبُـــر كســـرنا بفراقـــه

وأســـكنه فـــي جنّـــاتِ عـــدنكَ راضـــيا

وأجـزِلْ لمـن يبكيـه منـك التعازيـا

إلهـــي تقبّـــل قربـــةً لـــك شـــيخنا

وَكُـنْ جـارَهُ يـومَ القيامـةِ ناصـرًا

ونصِـّـبْ لــه فــي مرصــد الحشــر واليــا

شهادات

ما إنْ لعوض من عوض

أبوأوس إبراهيم الشمسان

قسم اللغة العربية-كلية الآداب

جامعة الملك سعود

في عام ١٤٠٥هـ كنت عائدًا من البعثة، وحديث عهد بقسم اللغة العربية، صادفت رجلًا يخرج من باب القسم، لست أذكر على وجه اليقين أينا بدأ أخاه بالسلام والتحية، كل ما أذكره أنني سلمت عليه سلام منكر، وسلّم علي سلام عارف، فقلت له بشيء من الاستحياء: "إني ما عرفتك"، فسمّى نفسه وقال: "من الآن ستعرفني"، مضت الأيام فإذا به يكون مسؤولًا عن الجدول الدراسيّ ويكلفني بتدريس علم الصرف، فراجعته في ذلك؛ إذ كانت أعمالي في الدراسات العليا ذات جانب نحويّ لا صرفيّ، وأحسست أن علم الصرف يحتاج مني إلى فضل إعداد وتهيئة أشفقت منها، ولكنه بلطف شديد وبحكمة وبراعة أقنعني بأني أهل لتعليم المقرر فانكفأت على كتاب شرح الشافية للرضي والممتع لابن عصفور وغيرهما فكان لي ما أردت.

كان رحمه الله كريمًا، حريصًا على إظهار محبته للناس ولمن حوله، لست أنسى أنّه حثّ زوجته لزيارة زوجتي أمّ أوس حين علم أنّ من يعرفنها من زوجات بعض الزملاء بالجامعة

سيزرنها، جاءت تدفع عربية ابنتها الصغيرة وعرفت بنفسها، وقد أكبرت أم أوس هذا وفرحت به فرحًا عظيمًا.

وكان لطيفًا دمث الخلق؛ إذ لم أسمعه رفع صوته في نقاش أو جدال، ولا عاتب على موقف، أذكر أنه تقدم في مجلس القسم بمشروع لمركز البحوث عن جمع أقوال العرب الواردة عند سيبويه فعارضت هذا مبينًا علة الاعتراض في ذلك الوقت، تقبل رحمه الله ولم أذكره يومًا أشار إليه، له قدرة عظيمة على قهر الغضب وسورة الانفعال، ولست تقصده بأمر يستطيعه إلا بادر إلى تلبيته، أذكر أننا كنا بحاجة إلى السيرة الذاتية لزميلنا الدكتور محمد الباتل الحربي شفاه الله وعافاه، كنا نريدها لنشر كتابه(الشاهد الشعري في النحو العربي)، أردت أخذ سيرته من ملفه في القسم ولكني لم أجد له ملفًّا، وتذكرت أن القسم طبع كتابًا يضم سير أعضاء هيأة التدريس كان أعده زميلنا الدكتور سعود دخيل الرحيلي، بحثت عن الكتاب في مكتبي؛ ولكني فشلت في العثور عليه، انطلقت إلى أبي محمد وشرحت له الأمر، فتذكر الكتاب ووعد بالبحث عنه، وبعد يوم رأيته يدخل عليّ وهو يحمل الكتاب.

وكان رحمه الله جريئًا مبادرًا فلم أره حضر ندوة أو مؤتمرًا إلا انتهز الفرصة للمشاركة والمداخلة والتعليق بما يليق، كنا في جاكرتا في جلسة الافتتاح للمؤتمر وعرضت جزءًا من بحثي الذي شاركت فيه، فلما انتهى وقت عرض المشاركين طلب الكلمة فبدأ بالحديث عن عملي منطلقًا بذكاء من أمر مهم كنت عرضت له وهو صورة كاركاتير تبين طالب وظيفة وهو يتقدم للعمل في دول مختلفة وكل دولة تسأل عن إتقان المتقدم للغتها ففي بريطانيا

يسألون عن إتقانه للإنجليزية وفي فرنسا يسألونه عن إتقانه للفرنسية وأما في بلادنا فيسألونه عن إتقانه لغير لغة البلاد عن اللغة الإنجليزية، وكان تكلم عن هذا الأمر بكلام لا مزيد عليه، لم أره متلعثمًا أو مترددًا، وما أُرْتِجَ عليه يومًا.

اعتمد قسم اللغة العربية اعتمادًا كبيرًا على الدكتور عوض في تدريس المقررات لطلبة المرحلة الجامعية والدراسات العليا والإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه، وكان عضوًا في عدد من اللجان العلمية المختلفة.

وكان له من السمعة العلمية ما جعل الجامعات تستعين به في مناقشة الرسائل والحكم على البحوث والنظر في ترقيات أعضاء هيأة التدريس، وتعدت سمعته العلمية المحيط المحلي فصار عضوًا في المجامع اللغوية العربية، ولست أنسى مشاركاتنا في المؤتمرات الصيفية في أندونيسيا وكان يقول لي إن اهتمام أندونيسيا باللغة العربية ينبغي أن ينال منا الدعم والتشجيع، ولا أقل من الحضور والمشاركة بالبحوث.

وبرحيل الدكتور عوض فقد القسم والجامعة والأمة العربية والإسلامية أحد أخلص رجال العربية المدافعين عنها الداعمين لنشرها.

لست أنسى كلمة أستاذنا الدكتور منصور الحازمي في معرض حديثه عن طلاب قسم اللغة العربية؛ إذ قال: عوض ومرزوق جاءانا جاهزين، وكان على حق فقد عمل عوض في التعليم قبل الالتحاق بالقسم فكان التعليم صاقلا مهاراته اللغوية موسعًا لمداركه، كان أخي أبومحمد عوض بن حمد القوزي وصاحبه

مرزوق بن صنيتان بن تنباك أخوين متلازمين جمع بينهما العلم والعمل، حين كنت في السنة الثالثة في الكلية كانا في السنة الثانية، ولم يكن لي معرفة بطلاب تلك السنة فكنا منصرفين إلى ما يشغلنا من أمر الدرس والتحصيل ولم يكن ثمة من الأسباب ما يجمع طلاب القسم ليتعارفوا، ولكني كنت ألمحه يدخل الفصل أو يخرج منه بكل وقار.

اسمه الذي اشتهر به:

عرفناه باسم عَوَض بفتح العين والواو، وهو اسم مصدر من الفعل (عاض) كما تستعمله العامة في نجد، ومن أقوالهم المشهورة (العَوَض ولا القطيعة)، وهو بخلاف اسم المصدر بالعربية الفصيحة (عِوَض) بكسر العين، وفتح الواو، جاء في معجم العين: "العِوَضُ معروفٍ يُقَالُ: عِضْتُه عِياضًا وعَوْضًا والاسم: العِوَضُ والمستعملُ التَّعويضُ عوّضتُه من هِبَته خيرًا". وعرفنا اسم والده (حَمَد) بفتح الحاء والميم، وكان هذا يشكل عليّ بعض الإشكال؛ لأن الاسم ليس من أسماء الجنوب بل هو من أسماء نجد، ولكن لم يخطر بالبال أن أسأله عن ذلك، والاسم (حَمَد) منقول من الوصف على (فَعَل) من الحمد. أو هو مصدر الفعل حمِد أي (حمْد)؛ ولكن حُرّكت عينه تخفيفًا. أو أخذ من أحمد بحذف الهمزة ونقل الحركة مثل حَمَر من أحمر وخضر من أخضر. وتبين من كلمة أستاذنا الدكتور أحمد الزيلعيّ في تأبين الدكتور القوزي رحمه الله أنّ اسمه هو (عْوَض)، أي عِوَض، كما ينطق بالجنوب من الجزيرة العربية، وأما اسم والده فهو (حِمَّد) بكسر الحاء وتشديد الميم وفتحها، أي (حُمَّد) على بناء فُعَّل جمع حامد، قال الشاعر الشعبي:

وِانْ بَصَمْ شاعرْ هَلَ القوزْ حِمَّدْ بَصَمْنا كِلَّنا

أهم كتبه المنشورة:

كان من بين قلّة من الأساتذة الذين زويت لهم علوم العربية والثقافة الغربية، فقد أنهى دراسة الماجستير في جامعة الملك سعود، ثمّ استكمل دراساته العليا في جامعة أكسفورد فأنهى دراسة الدكتوراه وكتب موازنة بين شروح كتاب سيبويه في القرن الرابع الهجري، وسأقف القارئ وقفة قصيرة على أهم أعماله:

١-المصطلح النحوي-نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري:

وهو في الأصل رسالة الماجستير التي أعدها في قسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة الملك سعود، أشرف على الرسالة أستاذنا الدكتور حسن شاذلي فرهود رحمه الله. وطبعت الكتاب في طبعته الأولى عمادة شؤون المكتبات في عام ١٤٠١هـ الموافق لعام ١٩٨١م، وجاء الكتاب بكشافاته في ٢٣٥ صفحة من القطع الكبير، صدّر كتابه بكلمة شكر لكل من أعانه على عمله وخصّ بذلك أستاذه المشرف وأستاذيه الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالرحمن الشامخ والأستاذ الدكتور منصور بن إبراهيم الحازمي. وكتب الكتاب في ثلاثة فصول، أما الفصل الأول فهو (المصطلح النحوي قبل الكتاب) أي قبل كتاب سيبويه، عالج في هذا الفصل في التمهيد أصل اللغة بعامة وتشعبها إلى لغات، ثم عقد عنوانات تناولت اصطلاحات النحو العربي، ومفهوم المصطلح النحوي، ونحو أبي الأسود الدؤلي واصطلاحاته،

والمصطلحات النحوية عند تلاميذ أبي الأسود والتهيئة لظهور المصطلحات النحوية، والأبواب والاصطلاحات النحوية في مرحلة التهيئة. وأما الفصل الثاني من الكتاب فكان عنوانه (المصطلح النحوي في كتاب سيبويه) وعالج فيه أولا المصطلح النحوي عند الخليل ثم المصطلح النحوي عند سيبويه وأردف ذلك بتناول طريقة سيبويه في عرض المصطلحات النحوية، وختم الفصل بكلام عن مصطلحات الكتاب بين البقاء والفناء، أي مصطلحات كتاب سيبويه ما بقي منها متوارثًا عند النحويين وما ترك إلى غيره من المصطلحات. وأما الفصل الثالث فكان عن (المصطلح النحوي بين البصريين والكوفيين) عرض فيه صور الخلاف في المصطلحات النحوية، وعرض لمصطلحات كوفية في مقابل المصطلحات البصرية، ووقوف عند مصطلحات بصرية رفضها الكوفيون ومصطلحات كوفية رفضها البصريون.

٢- ما يحتمل الشعر من الضرورة:

قال الدكتور عوض رحمه الله في مقدمة تحقيق هذا الكتاب "العمل الذي أقدمه اليوم وُصلة من عمل أبي سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه، هذا العمل يعد كتابًا مستقلًا في داخل الكتاب الأم الذي وصفه ياقوت بأنه يقع في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني، فما جاراه فيه أحد، ولا سبقه إلى تمامه إنسان"، وشرح بداية اتصاله بعمل أبي سعيد في شرح الكتاب لسيبويه، وكان أن سبق إلى نشر عمل السيرافي هذا الدكتور رمضان عبد التواب، ولكن الدكتور عوض وجد من مخطوطات الكتاب ما لم يطلع عليه الدكتور رمضان الذي نصحه بنشره. ويقع الكتاب في

٣٣٣صفحة، بدأت بمقدمة المؤلف عن تعريف الضرورة الشعرية، وتلا ذلك عرض أقسام الضرورة وجعلت في ستة أقسام، الأول الزيادة مثل زيادة واو الإلحاق في قافية بيت زهير بن أبي سلمى:

صحا القلبُ من سلمى وقد كاد لا يسلو

وأقفر من سلمى التعانيق فالثقلُ

"فتلحق آخر الثقل واوًا إتباعًا لضمة لام الثقل"، وجاء في الحاشية تعليق المحقق "في (ي) وفي (كتاب ضرورة الشعر/٣٥): فالثقلو" وهذا أبين لمراد المؤلف من الضرورة. وأما القسم الثاني فهو الحذف مثل قول الأعشى:

لعمرُك ما طول هذا الزمنْ   على المرء إلا عناء مُعَنْ

"أراد: معنًّى، فحذف الياء وإحدى النونين".

وأما القسم الثالث فالبدل، مثل قول جرير بن عبدالله البجلي:

قد كاد يذهب بالدنيا ولذتها   موالئُ ككباش العُوس سُحّاحُ

"فهمز الياء من (موالي) لاستقامة البيت".

وأما القسم الرابع فالتقديم والتأخير، والمقصود به تقديم ما حقه التأخير بالمعنى لا اللفظ، إذ يجعل ما حقه كونه فاعلا مفعولا، وما حقه كونه مفعولا فاعلا، مثل قول ابن مقبل:

ولا تهيّبُني المَوماةُ أركبها   إذا تجاوبت الأصداء بالسحر

"أراد: ولا أتهيّب الموماةَ".

وأما الخامس فتغيير الإعراب، مثل قول المغيرة بن حبناء التميمي:

سأترك منزلي لبني تميم وألحق بالحجاز فأستريحا

"فالوجه في هذا الرفع، وذلك أن قوله (سأترك) هو مرفوع موجب وما بعده معطوف عليه، داخل في معناه، فحكمه أن يكون جاريًا على لفظه". وأما السادس فتأنيث المذكر وتذكير المؤنث، مثل قول عمر بن أبي ربيعة:

فكان مجنّي دون من كنت أتقي
ثلاث شخوص كاعبان ومُعصرُ

"فحذف الهاء (من ثلاثة) وكان ينبغي له (أنْ يقول): ثلاثة شخوص، من قبل أن الشخص مذكر، ولكنه ذهب به مذهب النسوة، لأنهن كن ثلاث نسوة".

٣- التعليقة على كتاب سيبويه:

وهو كتاب لأبي علي الحسن بن احمد بن عبدالغفار الفارسيّ(ت٣٧٧هـ)، حققه الدكتور القوزي وصدر الجزء الأول منه في طبعته الأولى سنة ١٤١٠هـ الموافق ١٩٩٠م، وبين محقق الكتاب أن هذه التعليقة دون شرح السيرافي للكتاب إذ هو مستقص لمفرداته أما التعليقة فهي وقوف عند مواطن من الكتاب أحسها الفارسي غامضة تحتاج إلى فضل تعليق، وتخيل المحقق أن كتاب سيبويه يقرأ على الفارسي وهو يعلق هنا وهناك بما يراه مظنة غموض لا يناله عقول طلابه، ومن أجل ذلك كان الاختصار منهجه في هذا الكتاب؛ ولكنه اختصار ربما وهب غموضًا على غموض فقد يجيئ القارئ إلى الرجوع إلى كتاب

سيبويه نفسه، وبين المحقق أن الفارسي ربما نقل نص سيبويه وعلق عليه ولكن القارئ لا يخرج بعد ذلك بشيء. قال المحقق الدكتور عوض القوزي: "ومن أجل ذلك كان عليّ وأنا أقدم التعليقة، أن أردف أفكارها بتوضيح من شرح السيرافيّ أو الرمانيّ، وقد أضطر إلى نقل عبارة سيبويه نفسها ليتضح المقصود من تعليق الفارسيّ".

٤- معاني القراءات:

وهو كتاب لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) صاحب تهذيب اللغة، حققه الدكتور عوض القوزي بالاشتراك مع الدكتور عيد مصطفى درويش، ونشرت الطبعة الأولى منه سنة ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩١م. تحدث المحققان عن طريقة الأزهري فقالا "بدأ أبو منصور كتابه بمقدمة ذكر فيها فضائل القرآن الكريم، ثم سنده إلى القراء السبعة، وبعد المقدمة أخذ يستعرض سور القرآن الكريم سورة بعد أخرى بترتيب المصحف الشريف المعهود لدينا، فذكر مواضع الخلاف بين القراء... إن عرض أبي منصور عرض مريح لنفس القارئ؛ لأنه عرض متتابع مألوف، عرض ميسور للقارئ غير المتخصص في علمي القراءات واللغة العربية، ذلك القارئ الذي يريد –مع عدم تخصصه- أن يفهم اختلاف القراء في القراءة: فيم اختلفوا؟ ولماذا اختلفوا؟". ولم يغفل المحققان عن عيوب الكتاب كما لم يغفلا عن محاسنه.

وحققت هذا الكتاب بعنوان مختلف هو (القراءات وعلل النحويين فيها) الدكتورة نوال بنت إبراهيم الحلوة، ونشرته سنة ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩١م.

٥- الشاذليات:

كان من أكثر طلاب أستاذنا الدكتور حسن شاذلي فرهود حبًّا له ووفاءًا، وكان ممن اقترح في مجلس القسم أن يكتب كتاب يهدى إليه، ولكن هذه الدعوة لم تصادف القبول، وأحزنه هذا كثيرًا حتى اقترحت عليه أن نكتب الكتاب نحن ومن أراد مشاركتنا هذا فأعجبه الأمر إعجابًا شديدًا، وشجعني على أن أمضي في تنفيذه.

شارك بترجمة ضافية عن أستاذنا وكتب بحثين في هذا الكتاب هما "تيسير تعليم النحو"، و"الياء المحذوفة في القرآن الكريم"، وشاركنا الكتابة فيه زميلنا الدكتور محمد الباتل الحربيّ، والأستاذ الدكتور تركي بن سهو العتيبي من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

صنعت للكتاب مقدمة وتوليت صفّه على الحاسوب، وكنا عازمين على نشره على حسابنا الخاص، ولكن الدكتور الرائع سليمان بن عبدالله العقيل، وكان عميد الكلية في ذلك الوقت، كفانا المؤونة؛ إذ وجه الكتاب إلى مطابع الجامعة، وطبع في مطابع الجامعة في عام ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠٠٧م.

وهكذا خرج كتاب (الشاذليات) ليراه أستاذنا حسن وهو على قيد الحياة ولا أنسى فرحه به، كنت كلما زرت أستاذنا الشاذلي يسألني عن أخبار عوض ثم يبدأ بالثناء عليه.

كتب مخطوطة:

حدثني رحمه الله عن تحقيقه لشرح السيرافيّ لكتاب سيبويه، وأسفه الشديد أنه لم يجد من يرعى هذا العمل الضخم، وقد أنسيت قوله عن عدد ما أنجز من تحقيق هذا السفر العظيم، ولعل كلية الآداب تنهض بمهمة نشره إن شاء الله. ولا أعلم إن كان ثمة كتب مخطوطة أخرى.

بحوث مختلفة:

لما عاد الدكتور عوض القوزي من البعثة للتعليم في القسم واصل اهتمامه بكتاب سيبويه فاستخرج من شرح السيرافي ما كتبه عن الضرورات الشعرية وجعله كتابًا منفصلًا، وحقق كتاب (التعليقة على كتاب سيبويه) لأبي عليّ الفارسيّ، ومما يتعلق بعنايته بسيبويه ما كتبه من أبحاث (رحلة كتاب سيبويه من البصرة)، و(زعم الخليل في كتاب سيبويه)، و(أقوال العرب في كتاب سيبويه)، و(أثر كتاب سيبويه في الدرس اللغوي). ووجه بعض طلابه ليدرسوا موضوعات تتعلق بسيبويه فكان منها رسالة الماجستير (المسائل الافتراضية في الكتاب لسيبويه) لظافر بن سالم بن مشبب الشهري، ورسالة الدكتوراه (الاستطراد في كتاب سيبويه) لمحمد بن سليمان الخزيم.

وكان رحمه الله له من السمعة العلمية ما جعلته عضوًا في المجامع والجمعيات اللغوية، شارك في مؤتمرات وندوات داخل المملكة وخارجها، واختير حكمًا لكثير من البحوث والكتب، ناقش رسائل ماجستير ودكتوراه، وأشرف على عدد من طلاب الماجستير والدكتوراه، يشهد له طلابه بفضله وعلمه وكرمه وشدة عنايته بهم والحرص عليهم، وقد رأيت السجل الذي كان

يدوّن فيه تواريخ لقائه بالطلاب لمناقشتهم في إعدادهم رسائلهم، ورأيته يكتب تقارير عنهم بخطٍّ نسخيّ رائع.

وأما زملاؤه في القسم والجامعة فمجمعون على الثناء عليه لدماثة خلقه وصدق قوله ومعاونته لهم. وكان لي شرف مشاركته غير ندوة ومؤتمر، وما دخلت قسم اللغة العربية إلا عرجت على مكتبه لأجلس إليه وأسمع منه ونناقش هموم العربية التي كان من أشدّ الناس غيرة عليها ومن أكثرهم دفاعًا عنها، ومن أمثلة ما كتب عنها جملة من البحوث منها: (رؤية مستقبلية لتدريس اللغة العربية)، و(الضعف اللغوي – التشخيص والعلاج)، (اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين)، و(رؤية تربوية في مناهج اللغة العربية)، و(إحياء الدخيل على رفات الفصيح)، و(الوعي اللغوي – نشأته وتطوره)، و(العربية الفصحى في مواجهة تحديات العولمة)، و(الضعف اللغوي – أسبابه وعلاجه)، و(الإعلان واللغة)، و(الجهود المبعثرة في خدمة التراث)،و(اللغة والهويَّة)، و(حصار الضَّاد).

كان هذا أبا محمد الذي عرفته بنبل خلقه، وسعة معرفته، وسابغ كرمه، وإنّ العربية بذهابه خسرت أحد أهم سدنتها، فلعل الله ينفع بما خلفه من علم وبمن علّم من طلابه ليواصلوا رسالته التي نذر نفسه لها. وغفر الله لأبي محمد ورحمه رحمة واسعة فما إنْ لعوض من عوض.

كلمة يحسها الوجدان ولا يعبر عنها اللسان

١٤٣٥/٥/٨هـ

مرزوق بن تنباك

وفاته في شهر ذي الحجة ١٢/١٩/ ١٤٣٤هـ

عرفت الناس من شرق وغرب

فوا أسفي على من قد عرفت

لقد مــاتوا ومــــاتوا ثـم مــــاتوا

ونقض العهد والميثاق موت

عليـهم قـد بكيـت ولست أبكـــي

على زمـن بصحبتهم أضعت

صدق الدكتور زكي مبارك إن الموت هو نقض العهد الأبدي الدائم الذي لا يبقى بعده عهد ولا وعد ولا صداقة ولا صلة إلا من جانب واحد على أحسن الحالات، جانب لا تموت فيه حياة الذاهب وحده بل تموت فيه ذكريات وصلات ومعاملات وحيوات أناس عاشوا مع من يموت وقدر لهم أن يعيشوا بعده، رزية الميت وفقدانه تكون النهاية المريحة له والرحلة الأبدية التي لا يعلم أحد كيف تكون وعلى ما تنتهي، ولكنها لا تكون كذلك لمن تركهم خلفه بكل ما يحملون من عواطف حية بذكره، تبقى ذكريات ومشاعر وأحاسيس، لا تموت بموته ولا تنقطع بانقطاع

الصلة به، تبقى علائق وروابط جمة لا يمكن أن يمحوها الموت أو الفراق، تبقى في مكانتها الطبيعية التي كانت لها عندما كان طرفاها يعيشان معا، يقطع الموت طرفا من خيط تلك العلاقات والذكريات فيتساقط خرزها متواليا ومتتابعا في انحداره من الطرف الذي لم تعد يداه قادرتين على الإمساك به، إلى الذي بقي ممسكا بسلك الحياة المقابل، يقوم حاجز كثيف بين من اخترمته المنون ومن بقي بعده قابضا بالطرف الآخر من خيط الحياة القصير. كل حبة تسقط من سلك الذكريات تحدث رنة أسى في نفس الحي الذي لا زالت يداه قادرتين على الإمساك بالحبل الذي لم ينقطع نَفَسُ صاحبه، كل لحظة فيها لا تترك لطرف الحياة أن يعيش في فسحة من طرف الموت، يبقى الموت وشبح الفراق ممسكا بمن تأخر بحكم القدر لا برغبة الانتظار.

لا يهم نوع الصلة التي تربط الحي في الدنيا بمن ذهب إلى الحياة الأخرى، قد تكون صلة الرحم أكثر وأقرب حميمية، أو هي ما يعتقد الناس أنها أقوى، ولكن غير تلك الصلة صلات شتى منها ما يكون أقوى وأكثر ارتباطا بالمتوفى مثل صلة العلم أو صلة العمل وصلة الزمالة أو التوافق النفسي. هذه الأبيات من الشعر التي بدأ بها هذا المقال تعبر عن كل تلك الصلات التي لا تقف عند رابطة واحدة بل تتعدد بها الصلات والروابط، ويتسع فيها حزن الفقد. وقد ملئت الصحائف في التاريخ البشري بفيض هائل من العواطف الملتهبة بالحزن، منها ما كان نثرا ومنها ما كان شعرا ومنها ما كان رثاء لأقرباء ومنها ما كان لرثاء لأصدقاء، وأعظم من كل ذلك ما كان رثاء للقيم والخصال الحميدة التي تموت بموت حاملها وتنتهي بنهايته، وقد كان حظ العربي

من كل ذلك حظا وافرا في كل صور الرثاء لمن ترك الحياة بغير رضاه، ومن بقي فيها في مهلة من الأجل المقدر لكل حي.

عندما أكتب هذه المقدمة القصيرة عن أنواع الصلات، ومراثي الأموات فلأنني أعيش بعض تلك الصلات التي كانت سببا في رثاء من رثى وسببا في بكاء من بكى، فقد رحل صديق حميم وزميل تربطني به كل الصلات التي يتحدث عنها زكي مبارك، هو الأستاذ الدكتور عوض بن حمد القوزي ذلك أنه زميل عمل ورفيق درب ورجل علم وفضل وكرم وحسن خلق حصل بيني وبينه توافق نفسي لا مثيل له، بدأت صلتنا في أول يوم في كلية الآداب طالبين فيها قدم من تهامة وقدمت من بلاد مسروح في مرتفعات الحجاز بل قدم من مكة المكرمة، وقدمت من المدينة المنورة، واستمرت هذه الصلة أربعين عاما لم تنقطع، درسنا معا في الرياض وذهبنا للدراسة في رحلة دامت سنوات في الخارج، كانت جامعة أكسفورد المتميزة قد مدت يدها إليه لتضمه إلى فريق الباحثين المتميزين في رحابها، وكنت قد مددت يدي إلى جامعة أدنبره في اسكتلندا، وبين الجامعتين أكثر من خمس مئة ميل فما كان ذلك مانعا من أن تتكرر اللقاءات وتكون لندن هي الواسطة التي نلتقي فيها إذا مللنا اللقاء في أدنبرة أو أكسفورد، كانت الحياة هناك رخاء وكانت حياتنا فيها كذلك.

ألا قاتل الله الحمى من محلة وقاتل دنيانا به كيف ولت

كان الدكتور عوض القوزي مع كوكبة من الأعزاء فضل العماري أحمد الزيلعي عبد الله المعطاني عاصم حمدان عبد الرحمن المطرودي عبد الرزاق سلطان محمد نصيف فواز الدهاس أسامة جستنيه وحسين الذواد، وعشرات غيرهم يملؤون

الحياة بالبهجة والمحبة والصداقة الصادقة، كنا فريق عمل في أندية الطلاب السعوديين، وفي تحرير رسالة الطالب التي أصدرها هذا الفريق، ورأس تحريرها في بعض مراحلها الفقيد الدكتور عوض القوزي مع عون كبير من الجميع الذين عملوا من أجل زملائهم ومن أجل بلادهم في الغربة.

لم نشعر بالاغتراب لأننا محونا هاجس الاغتراب بجد العمل والتكيف مع الناس والحياة والطبيعة وتعايشنا مع الجديد في حياتنا كما يجب التعايش بين الناس، لن أتحدث عن الدراسة وشؤونها لأننا أعطيناها ما تستحق، ولكن سأتحدث عن العلاقة التي لم يعكر صفوها كل ما يلاقيه المرء من صعوبات ومشكلات في الغربة. كان الدكتور عوض القوزي هو الرفيق الملازم في الدراسة، أو العمل أو الرحلة والاقامة، وهو الأديب والرفيق والمرشد في السفر وفي الحضر، قطعنا معا آلاف الأميال وزرنا أكثر بلاد العالم في الشرق والغرب وفي الشمال والجنوب كانت آخرها في الصيف الماضي إلى فيتنام والصين ونيوزيلاندا، ذهبنا في عمل وحضرنا مؤتمرات وندوات وسافرنا للاستجمام والراحة وفي كل ذلك ما يمكن أن يمر من مشكلات وعوائق تحدث في الحل والترحال ولكن لا أعرف يوما أنني رأيته شاكيا أو متذمرا ولا غاضبا، كان يتخذ للأمر عدته ويحتاط بحزم، وما تجاوز ذلك الحزم والاحتياط احتمله بطيب خاطر، كان يحسن التعامل مع الناس بكرم يد وطيب نفس ولا سيما مع عامة الناس الذين لا بد أن تتعامل معهم في السفر مهما كانت الأسباب ومن هؤلاء من يخدمون السياح كموظفي الحجز للطيران والفنادق

والإدلاء والمرشدين يقابلهم ببشاشة وتمتد يده لهم بشيء مما يعملون من أجله فيصيرون أصدقاء لنا يخدموننا ويرشدوننا.

العالم المحقق:

كان الدكتور عوض من العلماء المجيدين البارزين في العلم، ومن القلائل الذين لا يتحدثون عن إنجازهم ولكن عمله وعلمه لم يخف على أهل الاختصاص على معنى (إن ما يعرف الفضل لذوي الفضل ذووه) ولهذا خطبت وده مجامع اللغة العربية مثل مجمع اللغة العربية في دمشق ثم مجمع اللغة العربية في القاهرة مجمع الخالدين ولم يكن عضوا شرفيا فيهما ولكنه عضو متميز قدم في كل دورة من دورات هذه المجامع بحثا في مجال من مجالات المعرفة، ولم يحضر مؤتمرا وما أكثر ما حضر إلا قدم فيه بحثا تدور حوله نقاشات ومحاورات، وترك في نفوس طلابه أثرا لا ينسى جعل بعضهم يختار موضوعات دراستهم عنه وعن أعماله العلمية المتميزة التي تركها بعده إرثا لطلاب العلم والمعرفة، كان زاده الطيب حفظ القرآن وتلاوته بصوت رخيم وتجويد غاية في الدقة، كان في مكة مدرسا في مدارس تحفيظ القرآن فجوده وأحسن تجويده واعتنى به ولم يغفل عنه أو يهمله عندما بعد به التخصص عن حفظ القرآن فحفظه القرآن.

التقوى هاهنا:

طبق الدكتور عوض معنى هذا الأثر في المخبر كما أعرف ذلك وأشهد به، وفي المظهر كما يعرف زملاؤه وكل من رآه واجتمع به، التزم بزي طلبة العلم وسيمائهم، ولكن ذلك لم يمنعه من معاشرة الناس عامة وخاصة ومعايشتهم على ما هم عليه

وذلك بشيء من اللطف وحسن الخلق والتأدب بأدب الإسلام وسماحته وعموم مقاصده، كنا مرة نسير في متنزه جميل رائع وانضم إلينا أحد الزملاء الذي قدم توا من المملكة، ورأى بعض ما يمارس الناس في الغرب من ممارسات وعادات في الأماكن العامة، وفي هذا المتنزه الجميل فأخذ صاحبنا يلعن ويطعن ويصب وابلا من الشتائم على كل من يرى أنه يمارس عادة لا يعرفها في بلاد المسلمين، فلما أطال في شتائمه التفت إليه الدكتور عوض في كل أدب واحترام وقال: يا أخي إن الله لم يأمرك أن تلعن من رأيت أمرك أن تغض الطرف، فإذا رأيت ما لا يجوز النظر إليه فغض الطرف تسلم ويسلم الناس منك ومن لسانك.

إمامة أبي معيط:

كنا في قرية في جنوب بريطانيا قبل أن يفتح العرب والمسلمون بريطانيا كلها كان ارتكاز العرب في لندن أما القرى والأرياف فمن النادر أن تجد فيها عربا وكنا نرتاد مطعما يقدم المأكولات الشرقية، ويديره رجل من القارة الهندية ظهر من سمته أنه مسلم، ولا يخلو مطعم في بريطانيا من ركن يقدم الخمور ومنها هذا المطعم وصاحبه هو الساقي في البار، سأله الدكتور عوض إن كان هناك مكان تقام فيه صلاة الجمعة في هذه القرية فأجاب في الحال نعم إذا كان يوم الجمعة فاحضروا ستجدون المطعم مغلقا وفي خلف البناية مدخل يدخلكم إلى المسجد، ذهبنا مبكرين للصلاة ودخلنا المسجد وهو غرفة صغيرة لا تتسع لأكثر من عشرة أشخاص وجدنا فيها أربعة أفراد وأمامهم صندوق شاي صغير أدركنا أنه المنبر ودخل الإمام يحمل عصا وكتابا سلم وجلس على المنبر (صندوق الشاي) وإذا هو صاحبنا الساقي في

البار، التفتُ إلى عوض لأرى رد فعله، فقال: اسكت فأنت الآن مأمور بالإنصات، قرأ الإمام من الكتاب بلغة عربية سليمة ودعا في الختام أن ينصر الله جيش السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين وإمام المتقين وأمير المؤمنين، فأمنا على دعواته وأقيمت الصلاة.

خرجنا فقال لا تستغرب فقد أم الوليد بن عقبة بن أبي معيط أهل الكوفة وهو سكران وفيهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود وشاورهم بزيادة الصلاة كرما منه وفضلا فرد عليه الصحابي مازلنا معك في زيادة، وإمامنا لا يشرب وإن سقاه وليس من السكارى دعنا نصلي بعد اليوم ظهرا ونلزم البيت.

الإرث العلمي:

عمد الفقيد بعد عودته من البعثة إلى التراث اللغوي وغاص في بحر اللغة وكانت جهوده متميزة فيما ترك من مؤلفات ضخمة، وليس المهم ضخامة ما ترك بل أهمية ما ترك، وإضافة ما نشر إلى المعرفة اللغوية وقد أنجز الكتب بل الموسوعات العلمية التالية:

١- المصطلح النحوي نشأته وتطوره
٢- التعليقة على كتاب سيبويه عدة أجزاء
٣-معاني القراءات (بالاشتراك مع عيد درويش) ٣ أجزاء.
٤- ما يحتمل الشعر من الضرورة
٥- الشاذليات بالاشتراك مع (الشمسان، العتيبي، الحربي).

والأهم من ذلك ليست هذه الكتب بل البحوث العلمية الأكاديمية الأصلية التي وصلت إلى خمسين بحثا، وعشرات المحاضرات

والندوات ومشاركته بعدد كبير من المؤتمرات التي يقدم فيها بحوثا مهمة.

كان الوعد بيننا أن نلتقي في الأرجنتين (بنوس أيرس) ونبقى فيها بضعة أيام ونستأنف الرحلة إلى بعض دول أمريكا الجنوبية التي لم نزرها من قبل، سبقته إلى هناك وجد ليلحق بي كما اتفقنا ولكنه سلك طريقا آخر لا عودة منه ولا نهاية له.

أعقبت وفاته المفاجئة حزنا شديدا في نفوس أصدقائه وزملائه الذين عرفوا علمه وفضله، وكانت بالنسبة لي انقطاع زمن وموت ذكريات عشناها جميعا كلها حلوة ممتعة وانتهت كلمح البصر، أفسد الموت بسرعته وفجاءة قدومه كل ما بيننا من وئام ورفقة عمر لم تكدرها الأيام ولم يتخللها الجفاء الذي لا تخلو منه علاقة أو صداقة، هجم الموت فأفسدها كما قال الغنوي.

لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى ... على يومه علق علي حبيب
فإن تكن الأيام أحسن مـــــرة ... إلي فقد عـادت لهن ذنوب
جمعن النوى حتى إذا اجتمع الهوى
صدعن العصا حتى القناة شعوب

لقد تصدعت الصحبة وانفض السامر وافترق الصديقان إلى غير لقاء بعد أربعين عاما، كأنها ساعات من يوم وقد جاءت بشائر هذا التصدع والفراق على لسان الدكتور الصديق عوض القوزي عفوا دون قصد في لحظة حالمة في هانوي عاصمة فيتنام بعد رحلة في نيوزيلاندا والصين وإندونيسيا دامت أكثر من شهر وكنا فيها في منتهى السعادة، جلسنا في مكان رائع وليلة مقمرة بمنتجع فسيح وجنة من مما أنزل في الأرض فذكرنا أشياء وأشياء وأحداث وأصدقاء مروا من هناك ومن هنا، فند على لسانه: ترى

من منا سيذهب أولًا؟ لم يكن وقع هذه الكلمة سهلا علي ولكنني تجاهلت ما وقع في نفسي من تشاؤم وغيرت الكلام إلى طريق آخر وتمثلت بالبيت المشهور:

لعمرك لا أدري وإني لأوجل   علـى أينـا تعـدو المنية أول

ولم تفارقني هذه الكلمة وصداها حتى جاء خبر الحادث الذي وقع له عندئذ عرفت جواب السؤال الذي سأله وهربت من إجابته في هانوي.

فلما تصدعنا كأني ومالكـــا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
قعيدك أن لا تسمعيني ملامة   ولا تنكئي قرح الفؤاد فيَيْجـعا
وإني وإن هازلتني قد أصابني
من الرزء ما يبكي الحزين المفجعا
(متمم بن نويرة)

كم الذين رثوا الأقرباء والأصحاب والأصدقاء وكم الذين بكوا الأعزاء وتبعوا الجنائز إلى المقابر على رأي غازي القصيبي رحمه الله:

صاحب بعد صاحب بعد صاحب
تتبارى إلى القبور المواكــب

لكن كثيّر عزة في رثائه لصديقه خندق الأسدي هو من أنصف في وصفه وأبدع في وعده أن تبقى العلاقة بين من يخترمه الموت ومن بقي يعالج شؤون الحياة ويكابد نكدها وشقاءها دائمة مستمرة من طرف واحد على الأقل، لا يقطعها الموت والفناء، جسد كثيّر الشاعر صورة نادرة للصداقة بين الحي والميت حين ثوى صديقه في حفرة قد أجنته بوادي قنونا، والغريب أن قنونا

في مرثية كثير هي الوادي الذي احتوى عوضا طفلا وشابا وشيخا، وثوى فيه أيضا كما ثوى خندق الأسدي صاحب كثير:

أقــام قنـــاة الـود بيني وبينـــه   وفارقني عن شيمة لم ترنق
حلفت على أن قد أجننتك حفرة   ببطن قنونا لو نعيش فنلتقي
لألفيتني بالود بعدك دائمـــــا   على عهدنا إذ نحن لم نتفرق

وداعا أيها الصديق وداعا أيها الرفيق وداعا أيها الشهم الكريم:

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
وليست عشيات الحمى برواجع
عليك ولكن خل عينيك تدمعا
(الصمة القشيري)

إي والله لن يرجع شيء ولن يعود، لن أجد من أبثه ما في نفسي ومن أبوح له بسري، وداعا يا أبا محمد فلن نلتقي أبدا، ولن أعلل النفس بلقاء ولو من باب الاحتمال كما فعل الشاعر كثير، فقد تصدعت العصا، وانفض السامر، وانقطع ما بيننا وانتهى، وبقي لك في النفس ما يكنه الوجدان ولم يستطع أن يعبر عنه اللسان، ولكن سأقول قول الغنوي لأخيه ولن تسمع ما أقول ولكنني أعلل به النفس: ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

وإني لباكيـه وإني لصـــادق   عليه وبعض القائلين كذوب
لعمركما إن البعيد لما مضى   وإن الذي يأتـي غدا لقريب

إي والله إنه البعد الأبدي الذي لا عودة منه ولا لقاء بعده.

غفر الله لأبي محمد وأسكنه فسيح جناته وجعله من الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون.

الدكتور: القوزي.. نادر المثال(1)

أ.د. حمزة بن قبلان المزيني

يرقد الصديق الزميل الأستاذ الدكتور عوض بن محمد القوزي، أستاذ النحو في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك سعود، في غيبوبة عميقة منذ أكثر من أسبوع في مستشفى الملك فهد بجدة. وسبب ذلك أنه تعرض لحادث مروري أليم نتيجة لاصطدام السيارة التي كان يستقلها، ولم يكن يسوقها، بجمل سائب اعترض طريقها في الطريق الساحلي الدولي الواصل بين جدة وجازان. وكان الدكتور القوزي راجعا إلى جدة ليستقل منها الطائرة متوجها إلى الرياض بعد قضاء أيام من إجازة العيد في مدينة القوز التي نشأ فيها ويقيم فيها بعض أهله.

وقد أُصيب زملاؤه ومحبوه بألم ممض لتعرض هذا الزميل نادر المثال لهذا الحادث المؤسف، وهو ما أصابهم كذلك بالذهول لما له من مكانة خاصة في نفوسهم.

والأستاذ الدكتور القوزي أحد المتخصصين المتميزين المعروفين على مستوى العالم العربي في النحو، وذلك ما أهَّله لعضوية مجمع اللغة العربية في دمشق منذ سنوات. وتدرَّس بعض كتبه في أقسام اللغة العربية في بعض الجامعات العربية داخل المملكة وخارجها. وأهلتْه لهذه المنزلة أعمالُه الكثيرة في

---

(١) نشرت هذه المادة في صحيفة الشرق المطبوعة العدد رقم (٦٩٠) صفحة (١٣) بتاريخ (٢٤-١٠-٢٠١٣).

البحث والتحقيق التي أصدرها تباعا في خلال الثلاثين سنة الماضية. ومن أبرز تلك الأعمال تحقيقه كتاب شرح السيرافي لكتاب سيبويه. وهو شرح طويل مفصل نشر الدكتور القوزي منه عددا من الأجزاء.

ويعرف طلاب الدكتور القوزي جديته في التدريس وتفانيه في تعليمهم، ويعرف الطلاب الكثيرون الذين أشرف على رسائلهم للماجستير والدكتوراة في القسم عنه دقته في الإشراف وكرمه الفائق في مساعدتهم على إنجاز رسائلهم في الوقت المحدد وبأشكال مُرْضية. كما تعرفه الجامعات السعودية الأخرى من خلال تحكيمه الأبحاثَ التي ترسل إليه للتحكيم تمهيدا لنشرها في مجلاتها، كما تعرفه تلك الجامعات من خلال مشاركاته الكثيرة في مناقشة عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراة التي تنجز فيها.

كما يعرف عنه رؤساء قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك سعود الذين تعاقبوا طوال السنين على رئاسة القسم، وكنت أحدهم، مدى التزامه بالتدريس ومشاركته الفاعلة في نشاطات القسم من غير أن يعتذر عن أية مهمة تسند إليه أو أن يشكو من ثقل بعضها واستنزاف بعضها للوقت والجهود.

عرفت الدكتور القوزي منذ أن عاد إلى قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الملك سعود بعد حصوله على الدكتوراة في النحو من جامعة أكسفورد البريطانية العريقة قبل أكثر من ثلاثين سنة. كما عرفته جارا في سكن جامعة الملك سعود في الدرعية لأكثر من ثلاث عشرة سنة. وكان طوال تلك السنين، ولا يزال،

نعم الزميل ونعم الجار. كان كريما بشوشا لم أره في يوم من الأيام يدخل في مشكل مع أحد من طلابه أو زملائه أو جيرانه. وكان يقدم الجميع على نفسه دائما.

وكنت كثير المناكفة والمزاح معه بسبب اختلاف طبيعة تخصصي في اللسانيات عن تخصصه في النحو. وهما تخصصان لكل واحد منهما نظرته الخاصة إلى طبيعة اللغة وكيفية اشتغالها. وكان أكثر الناس الذين عرفتهم تحملا لمثل تلك المناكفات التي تصل أحيانا إلى مستويات بعيدة من الجذرية. وكان يتعامل مع مناكفاتي الصاخبة أحيانا للنحو والنحويين، وادعائي موت النحو، بروح يصدق عليها وصف «الرياضية» التي تعني أنه لم ير أن الغلبة هي الهدف من النقاش، بل الهدف منها، مهما خرجت عن طورها، ليس إلا تبادل وجهات النظر، وكان يحرص دائما على عدم السماح لها بأن تكون محددا للعلاقة بين المتحاورين أو «المتناكفين»!

ومن الخصال الكريمة التي يعرفها عنه محبوه وزملاؤه كرمُه. ومن ذلك أنه دعا قبل ثلاث سنوات عددا من الزملاء، وكنت أحدهم، إلى مدينته التهامية الصغيرة «القوز». وقد قضينا جميعا أياما ثلاثة في ضيافته وضيافة أقاربه الذين غمرونا بحفاوة يعز نظيرها ولا يمكن أن ننساها.

ومما يجب أن يذكر في هذا السياق جمالُ صوت الدكتور القوزي خاصة حين يقرأ كلاما مكتوبا، أو يقرأ القرآن الكريم. ولا يمكن أن تعرف معنى ما يكرره الزميل الأستاذ إبراهيم طالع في مقالاته دائما من القول عن قراءة القرآن الكريم بـ«ألحان

العرب» إلا حين تسمع الدكتور عوض وهو يصلي بنا أحيانا ويقرأ بصوت شجي ولحن حجازي تهامي يأخذ بمجامع القلوب ليقودها في مراقي الخشوع والجمال. وكم أود أن يكون قد سجل بعضا من قراءاته لتكون نموذجًا يُدرس ليُحتذى وذلك لتنمية الذوق الصوتي الجمالي للغة العربية بعامة وللقرآن الكريم بخاصة بدلا من الحشرجات أو المبالغات التي تصدم آذاننا دائما في كثير من مساجدنا أو عند ادعاء التحدث بالعربية الفصحى.

وليس الدكتور القوزي أول ضحايا ذلك «الطريق الساحلي الدولي»، ولم يكن آخرهم. فمما يرويه الزميل الأستاذ الدكتور مرزوق بن تنباك عن الأستاذ الدكتور القوزي قوله، شاكيا من كثرة الحوادث في ذلك «الطريق الساحلي الدولي»: «لقد أكل هذا الطريق أولادنا». وكان يعني أنه لا تمضي فترة إلا ويتعرض بعض سكان تلك المناطق إلى حوادث في هذا الطريق يفقدون فيها واحدا أو أكثر من أبنائهم. وكان آخرها ما نشرته الصحف خلال هذا الأسبوع والأسبوع الماضي من وفاة وإصابة أكثر من خمسة وعشرين شخصا نتيجة لحوادث في ذلك الطريق.

ومن أهم الأسباب التي تسهم في هذه الحوادث أن هذا الطريق الوحيد المؤدي إلى مناطق تهامة من جدة إلى اليمن ليس محميا بسياج يمنع الحيوانات السائبة، والجمال خاصة، من اعتراض الطريق في الليل وفي النهار. وكان أهل المناطق التي يمر بها الخط قد ظلوا يطالبون طويلا بأن يحمى هذا الخط بسياج يمنع اقتحام تلك الحيوانات لحمى الطريق. لكن أحدا لم يتحرك لتنفيذ تلك المطالبات.

ومما يسهم في ازدحام هذا الطريق خاصة في أيام الإجازات عدم وجود مطار إقليمي في المنطقة. والمطارات الوحيدة التي يستخدمها سكان تلك المنطقة هي مطار الباحة، ومطار الملك عبد العزيز بجدة، ومطار جازان. ويبعد كل واحد عنها ٣٠٠ كيلو متر تقريبا.

وقد طالب سكان المنطقة منذ زمن طويل بإنشاء مطار في مدينة القنفذة التي تعد مركزا لتلك المنطقة. وهي مدينة تاريخية عريقة وإنشاء مطار فيها سوف يعيد لها بعضا من أهميتها التاريخية تلك، بالإضافة إلى أنه سيخفف من الحركة على تلك الطرق البرية الخطرة التي كانت سببا في كثير من الحوادث طوال السنين.

أدعو الله لزميلنا العزيز الأستاذ الدكتور عوض بن محمد القوزي بسرعة الشفاء مما تعرض له، وأن يعيده لأهله وزملائه ومحبيه الكثر سالما معافى.

كلـمة

أ.د.فضل بن عمّار العمّاري

كنا أربعة طلاب في الدراسة التمهيدية لرسالة الماجستير، وكنا جميعًا متأهِّلين، لم ننتقل مباشرة من البكالوريوس إلى الدراسة العليا، بل كنا موظفين ومدرسين، لعلي الأصغر بينهم. وقد هيّأ لي الانقطاع بين المرحلتين فرصة للمراجعة والانكباب على ما سبق أن درسته، فكان أن واكبت الثلاثة في تحصيلهم.

كنا مختلفي الاتجاهات والميول والأمزجة، بل حتى المناطق، وكان صاحبنا، عوض، رحمه الله، نحويًّا، يبدو دائمًا بسمت الشيخ الوقور. كان جادًّا في حديثه، وجلساته، لا يفكر إلا في قضايا النحو ومسائله.

إن ما أسجله من ذكرى كانت معه آنذاك هو أنه أحد اثنين من الزملاء، دون سواهما: هو ومحمد السالم- رحمه الله- ممن كان يستضيف من معه، فيكرمه، وما كانت حالتهما المادية بذاك آنذاك مما يميّزهم عن سواها، ولكنها أريحية في النفس، وطبع لا يمكنه التغلب عليه، وقد ظلت هذه الطبيعة فيه، لا تفارقه، أو يطرأ عليها طارىء طِوال حياته، تغمده الله برحمته.

ثم ابتُعث إلى أكسفورد، ولم يحظ أحدنا بالقبول بها سواه، وقد عرفت جامعة أكسفورد قدره، فأكرمته، فكانت شقته- وحيدًا فيها- مقابل المكتبة، ومجاورًا لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية هناك. وكنا نزوره، وما أحلى تلك الأيام والليالي معه، ونحن نتجول فيها بين ساحات المدينة ورحابها، وكان كرم عوض وأريحيته تدعواننا ألا نفارقه أو نبتعد عنه. واللافت أن هذا الطبع

لم يكن قاصرًا على زملائه ومعارفه، بل كان يستضيف غيره من طالبي العلم في اللغة العربية من غير الناطقين بها، فكانت شقته مزارًا لسواه من الإنجليز، ينهلون من علمه وخبراته. وهنا أسجل نقطتين فقط من فضائله، وهما:

الأولى:
أن عوضًا كان مرجعًا لأساتذته من المستشرقين، فكانوا يثقون- وهم مَن هم حذرًا وحيطة- في علمه، ويجلّونه إلى أبعد الحدود.

الثانية:
أنه ما من أحد في التحقيق إلا اتصل به، واستفاد من علمه، وتجاربه، وتظل طبيعته هي هي لا تتغيّر، يفدون عليه، فيصرف معهم الأوقات الطويلة، توجيهًا وإرشادًا، وعونًا. ويا للغرابة! كان عوض يستقبلهم في شقته، حتى إن أحدهم وآخر معه أقاما عنده- مع تفاوت في الزمن- أشهرًا لا يبرحانه حتى تخرج رسائلهما على الوجه الأكمل.

هذا جانب، أما الجانب الآخر في علاقتي به- رحمه الله- فهو المشاركة في تأسيس صندوق الطلبة السعودي الذي كان الفضل فيه يعود لسعي مرزوق بن تنباك للحصول على تمويل، ولم يكن أحد سوى مرزوق هذا بقادر أبدًا، وهنا يبرز اتجاه عوض الآخر، إنه يخفي بين طيّاته روح الأديب، ومتذوّق الشعر، والحسّ بالكلمة، وهو ما زاد ارتباطي به، وإقبالي عليه. كان أحد أساتذتنا- وهذه ذكريات، أو بعض سيرة، لا بأس من إفشائها- محبًّا للشعر الحديث- آنذاك، شعر التفعيلة- وهو أحد دعاته، ومريديه، وممن يلحّ على الانصراف إليه، وكان ينصب نفسه

علمًا ومرجعًا فيه؛ وهكذا، هو عند الآخرين، وله إسهامات جُلّى في الشعر والأدب عامة، ودرس عوض، بناءً على هذا قصائد من الشعر الحُرّ، فكنت كلما قرأ، أنفجِر ضاحكًا؛ لأنني أعلم أن عوضًا تقليدي، لا رغبة له في هذه الكلمات والأسطر، ويعلم عوض جيّدًا أني أعرف عنه ذلك، فكان إذا قرأ، بدت عيناه المكحّلتان شاخصتين نحوي، إمعانًا في إضحاكي. ويستغرب الأستاذ من هذا السلوك، فأعتذر، وأعتذر، وعوض صامت، يضحك في داخله- وبقية الزملاء معه- وينقضي الدرس- وحمدًا لله- كان الأستاذ- غفر الله له- شفيقًا ودودًا، متسامحًا، إلا أن عوضًا عرف هذه الخصلة فيّ، فكان لا يفتأ يستثيرني، ومع ذلك مرّت تلك المرحلة بسلام.

إن ما أعرفه عن عوض يكاد يكون نزرًا جدًّا، ورسميًّا جدًّا، ولم تكن علاقتي به على قدر ارتباطه المتين بـ أ.د. أحمد زيلعي، أو على مستوى الصلة الوثيقة المتينة بـ أ.د. مرزوق. ولكني أكِنّ له الحبّ والتقدير والاحترام، وكان تلقّي خبر وفاته الفاجع صدمة لي، فكانت نفثات التأبين والعزاء في تلك الأبيات التي رثيته بها.

شارك الفقيد مشاركة فعّالة في نشر مجلة الطالب التي يصدرها الصندوق، وهو يجرّ قلمه الأحمر يمنة ويسرة تصحيحًا وتصويبًا، إذ كان المحرّر اللغوي في المجلة. وكان كثيرًا ما يردّد قصيدتي:

تقابلتما تنهلان وثغراكما كالدّنان

أما إن أنشد هو شيئًا من شعركتبه، فكنت أقول له: خبّئ هذا، ولا تنشره؛ ومع ذلك، كان يظنّ نفسه شاعرًا، ولِم لا، وشعر العلماء متداول معروف، بل مقبول، وهو أحجهم...؟

ولكنه لم يكن جريئًا في اتخاذ القرار الذي يتجاوز السلطة الإعلامية، بينما كان مرزوق يقدِم على هذا، ويجيز، ويوجد الأعذار.

وجاء عوض إلى قسم اللغة العربية، فكان شخصية بارزة، مؤثرة، وهو الوحيد الذي كنت أتجرأ، فأمزح معه- ودعك من مرزوق- أحد المقرّبين لي- فمرزوق لا ينصت أو يبالي- أطال الله في عمره- وكانت الفاجعة، وكان القدر مفرّق الأحباب والأصحاب، فمضى عوض، دون أن تخرج التعليقة التي أفنى عمره في سبيل انتظار إخراجها كاملة على أحسن وجه وأكمله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

خواطر في رحيل شيخنا القَوزي

د.عادل بن معتوق العيثان

عرفته أول مرة في أول لقاء جمعني معه للتشاور في اختيار موضوع للماجستير، وبعد تعيينه مشرفا علي في رسالتي للماجستير بدأت معه العمل، فوجهني إلى أصول التأليف وشرح لي كيفيته، وكان يتيح لي المجال الأكبر في الاعتماد على جهدي الخاص في نقد الآراء وتحليلها حتى لو كانت مخالفة لرأيه ، ولما رآني جادا في البحث اقترح علي فكرة الانتقال إلى قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود فوافقته وبدأت في تقديم أوراق المعاملة ، وكان -رحمه الله- متابعا ومساندا لها مما ذلل جميع العقبات وحقق الغرض المطلوب.

واستمر -رحمه الله -في مساعدتي إلى درجة وصلت إلى الحد الذي دفعه للاتصال بي (وهو عميد لمعهد اللغة العربية) ليحل لي مشكلة علم أنها حصلت لي في تسجيل موضوع الدكتوراه، فاستدعاني إلى مكتبه وأرشدني إلى طريق للحل منطلقا من كونه والدا حريصا على مصلحة ولده، فكان يعاملني معاملة الآباء للأبناء في مثل هذه المشكلة وغيرها.

لقد غير شيخنا القوزي بسلوكه المثالي تلك الصورة النمطية السائدة في أذهان الناس عن المطوع المتعصب أو المقتصر في مساعدته لمن يعرفه؛ فكان توجهه نحو المساعدة متميزا بعدم

التفرقة المستندة إلى دوافع إقليمية أو مذهبية أو عرقية؛ ولهذا كان -رحمه الله- يساعد النجدي والحجازي والجنوبي والشمالي والشرقاوي والسعودي وغير السعودي من الطلاب. وقد رأيت فيه صفة الحلم أو عدم الغضب ممن يخالفه في الرأي ؛ فقد كان توجهي في البحث النحوي توجها منطقيا ناقدا وفاحصا لمسلمات النحويين وإجماعهم وعللهم خلافا لما كان عليه -رحمه الله- من الاحترام للتراث النحوي وعدم الخروج في منهج بحثه عن الأصول المعروفة للنحو التراثي، لكن مع هذا الخلاف بيني وبينه لم يمنعني -رحمه الله- من الجهر بمخالفته حتى فيما كتبته من رأي مخالف له في رسالتي للدكتوراه التي أشرف عليها هو وكانت في (العلة النحوية في مؤلفات أبي علي الفارسي) فلم يطلب مني حذف الرأي المعارض له صراحة من نص الرسالة ولم يتحامل علي أو يكيد لي بسبب ذلك الخلاف الصريح في مقام يملك فيه الاعتراض على وجود ذلك الخلاف الصريح في الرسالة، خلافا لكثير ممن لا يتحلون بذلك السلوك الحميد في مثل هذا الموضع؛ فيغضبوا أو يكيدوا للآخرين إذا نُقدت آراؤهم أو شعروا أنهم لا يملكون ردا علميا على النقد الموجه لهم.

لقد أكبرت فيه تلك الصفات التي دفعتني إلى أن أعبر له عن إعجابي وتقديري له؛ فأهديتُ له بحثا عن (الإفراد والغرائب في الأشباه والنظائر للسيوطي) نشره مركز البحوث بكلية الآداب في جامعة الملك سعود عام ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. على أن هذا الإهداء لا يكفي للوفاء بحقه ومنزلته في نفسي، ولكنه جاء رمزا من العاجز عن تقديم المناسب لتقدير ذلك المستوى من السلوك المثالي.

هذا عن الجانب الخلقي في شخصية شيخنا القوزي، وفي الجانب العلمي تميز -رحمه الله- بتحقيق المتون النحوية المهمة التي لا يستغني عنها الباحثون في النحو التراثي؛ فتفرّد بتحقيق (التعليقة على كتاب سيبويه) للفارسي وأضاف في تحقيقه لها تعليقات مهمة من شرحي السيرافي والرماني لكتاب سيبويه تفيد الباحثين في جوانب عديدة من أهمها المقارنة بين شروح الكتاب والشرح أو التعليق الذي ضمنه الفارسي في تلك التعليقة، والأهم من هذا تلك الالتفاتة منه -رحمه الله- إلى العناية بتحقيق شرح السيرافي؛ الشرح الأكبر لكتاب سيبويه الذي يحتاج إلى صبر وزمن وجهد يشق على الفرد وحده أن يقوم به، وكنت أسأله مرات عديدة عن ذلك الشرح من حيث الانتهاء منه ونشره؛ فكان يجيب: أنا عملته لله لم أطلب به درجة ولا لقبا، ولن أستعجل فيه.

وسألته ذات مرة عن (الدر المصون) للسمين الحلبي؛ هل يكفي عن (البحر المحيط) لأبي حيان؟ فأجاب بالنفي قائلا: في (البحر المحيط) معارف لا توجد في (الدر المصون). فعسى هذه المقولة تدفع المهتمين بالتراث إلى تحقيق جيد ونشرمتقن للبحر المحيط ليرفع عنا كلفة القراءة في النسخة المتداولة الرديئة في خطها وصفّها وفهرسها.

كان شيخنا القوزي مهتما بالتحقيق لتلك المتون المهمة في التراث النحوي، لكنه لم يقصر عمله على التحقيق بل كتب في التراث بحوثا أخرى منها رسالته في الماجستيرعن (المصطلح النحوي) هذا مع بحوث أخرى تناثرت في المجلات العلمية والمجامع اللغوية.

إن هذه الأعمال البحثية لشيخنا الراحل تثير تساؤلات عديدة بشأن منهج المعاصرين في البحث النحوي التراثي، ومن أبرز تلك التساؤلات:

١- ما ملامح المنهج التراثي في البحث النحوي المعاصر؟

٢- أمنهجان في ذلك المنهج العام أم ثلاثة مناهج أم منهج واحد في طريقة البحث التراثي؟

وفي ضوء التساؤل الثاني يمكن أن نفترض أو نرشح ثلاثة اتجاهات أو مناهج في هذا المجال ، هي:

١- اتجاه ناقد يمكن أن يُعد امتدادا لمنهج البحث في النحو الخلافي الذي ظهر في معالجة مسائل الخلاف بين النحويين القدامى ، وفيه ظهر النقد واضحا بطرق استعمل فيها العقل والنقل في حدود المتاح والمقدور عليه ، ويندرج في هذا الاتجاه النقد الموجه للتخطئة والتصويب للتراكيب والأساليب النحوية المعاصرة ، كما يندرج فيه النقد الموجه للتيسير والإصلاح لبعض القواعد والعلل النحوية.

٢- اتجاه محافظ على التراث يغلب عليه الابتعاد عن النقد والتقويم ،يقوم على الجمع والشرح أو التحقيق والتعليق أو التلخيص والاختصار وتنظيم المادة التراثية بالإفادة من الجديد في طريقة التنظيم والتأليف والعرض والفهرسة والتبويب.

٣- اتجاه يجمع بين الاتجاهين الأول والثاني بدرجات متفاوتة في النقد والابتعاد عنه للمحافظة على التراث بالصورة التي وصلت إلينا.

ولأن الدراسة الموضوعية لمناهج النحو التراثي المعاصر تقتضي التحقق أولا من وجود تلك الاتجاهات أو المناهج منسوبة إلى أصحابها المعاصرين ثم تلمس أو استظهار الأغراض المستهدفة لتلك المناهج أو الاتجاهات ومناقشتها للخروج برؤية منطقية وصفية في التقويم والتطوير والإصلاح تتكامل فيها الأغراض والأدوار ولا تتعارض و تكون منطلقا للتعامل الأمثل مع التراث النحوي.

وأقترح أن تدرس هذه الفكرة بتساؤلاتها ومحاورها في الأعمال البحثية التراثية للمعاصرين بما فيها أعمال شيخنا القوزي، كما يمكن تخصيصه - رحمه الله- بالدراسة في أعماله البحثية للخروج بتصور عن منهجه في البحث التراثي، ويمكن أن تعتمد الدراسة الخاصة به تلك الفكرة الآنفة الذكر مع عنوان مناسب من قبيل الآتي:

(القوزي نحويا تراثيا) أو(منهج القوزي في النحو التراثي) أو (منهج النحو التراثي المعاصر: القوزي نموذجا).

آمل أن يجد هذا المقترح طريقه إلى التبني والتنفيذ ولو كان هذا من خلال عرضه على طلاب الدراسات العليا في قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود.

أعتقد أن العمل على تنفيذ تلك الفكرة يكون متمما أو مبرزا للصورة الكاملة لمعالم التفكير النحوي التراثي لدى شيخنا الراحل؛ من حيث عدم الاقتصار على إبراز جوانب التحقيق للمخطوطات في الحديث عن خدمته -رحمه الله- للتراث، بل يتعدى ذلك إلى مجموع أبحاثه الأخرى التي يمكن أن تكون

موضوعا لبحث أو رسالة علمية تتناول ما سبق اقتراحه من تساؤلات ومحاور للدراسة.

أسأل الله أن يكتب معروفه وخلقه وجهده لخدمة العربية في ميزان أعماله يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ويمن علينا بخير خلف لخير سلف إنه السميع المجيب.

أيام لا أنساها مع القوزيّ

صالح بن سليمان الحِجّي

شرفتُ بمعرفة الأستاذ الدكتور عَوَض بن حمد القوزيّ رحمه الله في أواخر سنة ١٣٩٩هـ، حين كان طالبًا في مرحلة الماجستير بكلية الآداب-جامعة الملك سعود، وكنتُ في ذلك الوقت قيّمًا على قسم المخطوطات بمكتبة الجامعة، مما أتاح لي فرصة الالتقاء به خلال ارتياده المكتبة بحثًا عن المخطوطات المتصلة بموضوع دراسته ومجال تخصصه، ويعلم الله كم كنتُ أنا وزملائي الموظفون نشعر بالسعادة في تقديم الخدمة بلا مِنَّةٍ له ولغيره من الباحثين، سواء بتمكينهم من الاطلاع على المخطوطات أو تصويرها لهم أو تهيئة مصادر المعلومات من المراجع والفهارس المطبوعة والفهارس البطاقية المشتملة على البيانات الوصفية والببليوجرافية لما تقتنيه المكتبةُ من المخطوطات.

ومن الوقائع والذكريات المشتركة مع أبي محمد رحمه الله حضوره إلى قسم المخطوطات بتاريخ ١٣٩٩/١١/٨هـ، فبعد اطلاعه على بعض النُّسَخ الخطية طلبَ صورةً عن كتاب (شرح عيون كتاب سيبويه، لهارون بن موسى القرطبيّ) فلُبِّي طلبُه (صورة الطلب وتنفيذه مرفقة)[١]، وقد بيَّن في حينه عزمَه على تحقيق الكتاب ونشره جهدًا علميًا شخصيًا إلى جانب بحثه الرئيسيّ للماجستير؛ ولكنه بعد حينٍ وذلك في ١٤٠٠/٩/٢٠هـ

(١) انظر الملحقين:١، ٣.

أرسَلَ إلينا في قسم المخطوطات كتابًا يحوي الإفادةَ بأنه آثر أن يتيح لزميله الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه فرصة دراسة الكتاب المذكور للحصول بها على الماجستير، والتنويهَ إلى أن "انشغاله بإعداد رسالة الدكتوراه قد صَرَفه عن الاشتغال به، وقد حضر الأستاذ حسن الفقيه إلى قسم المخطوطات بتاريخ ١٤٠٠/١١/١٥هـ حاملًا الكتابَ الذي حرّرَه القوزيّ رحمه الله بخطِّه (صورته مرفقة) وزُوِّد بنسخةٍ مصورة من المخطوطة نفسها بغرض تحقيقها ودراسة حياة المؤلف ضمن رسالة الماجستير في كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

وخلال سفر أبي محمد رحمه الله لدراسة الدكتوراه في بريطانيا ظل على اتصالٍ بقسم المخطوطات فيما بدا له في بحثه من حاجةٍ إلى معلومة أو صورة مخطوطة، كما كان يخصّنا بالزيارة كلما جاء إلى الرياض في إجازةٍ دراسية، ومن ذلك زيارته في ١٤٠٢/٣/٥هـ، قضى ساعاتٍ في الاطلاع والتمحيص ثم أبدى رغبةً نُفِّذت له دون تردُّد بتزويده بصورةٍ عن ستِّ مخطوطات هي (الحجة في القراءات، والمسائل الشيرازيات، والمسائل البغداديات، والمسائل البصريات، والمسائل العسكريات، والمسائل المنثورة)، وجميعها من تأليف أبي عليّ الفارسيّ النحويّ الذي هو محور بحثه لدرجة الدكتوراه (صورة الطلب بخطه مرفقة)، وبعد عودته من بعثته الدراسية بحصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة أكسفورد، والتحاقه بالتدريس في جامعة الملك سعود بالرياض سنحت الفرصة لتعميق العلاقة بيني وبينه رحمه الله؛ فإضافةً إلى استمراره في ارتياد قسم المخطوطات شرُفتُ بزيارته في منزله غير مرة،

وصرنا نلتقي في المنتديات والمناسبات الثقافية، والندوات العلمية، والفعاليات المتصلة بشؤون المخطوطات الإسلامية، داخل البلاد وخارجها، ومن الذكريات العالقة في ذهني لقائي به في شهر شعبان سنة ١٤٢٤هـ خلال مشاركتي في ندوةٍ عن (المخطوطات العربية في إيران) عُقِدت بدمشق، وكان هو قد جاء لحضور المؤتمر السنويّ بمجمع اللغة العربية (اللغة في مواجهة المخاطر)، وقال لي: إنه نمى إلى علمه خبر انعقاد الندوة فاقتطع جزءًا من وقته لحضور بعض فعالياتها، وبعد انتهاء مهمة كُلٍّ منا هناك سعدتُ بصحبته في طائرة العودة إلى الرياض.

إنَّ معرفتي به رحمه الله وما أسفَرَتْ عنه من لقاءاتٍ بيننا وتواصلٍ امتدَّ عقودًا من الزمن جعلني أدرك أنني - ولا أزكي على الله أحدًا - كنتُ أمام شخصيةٍ عظيمة، فذَّة، ليس في جانبها العلميّ فحسب بل في مكنزٍ من الخُلُق الحسن، والتواضعِ الجمّ، والتعاملِ الطيب، والرزانةِ في الحديث، وبعدِ النظر، والإيثارِ على النفْس، وحبِّ الخير للغير، ولو أردت ضرب أمثلةٍ من سيرته رحمه الله لطال المقال. لكنني أقف وقفاتٍ على عجالة:

الوقفة الأولى: أمرٌ يجسِّد الإيثار على النفس حينما تنازل رحمه الله لأحد زملائه الدارسين عن مشروعٍ علميٍّ بدأه وبَذَلَ فيه جهدًا على مدى عشرة أشهر، ألا وهو تحقيق كتاب (شرح عيون كتاب سيبويه، لهارون بن موسى القرطبيّ) الذي تنازل عنه للأستاذ حسن الفقيه ليكون موضوع رسالته لدرجة الماجستير، وأيم الله إن مثل هذا الموقف لا ينطوي على خصلة الإيثار فحسب بل الرغبة الصادقة في تيسير الأمور على الآخرين.

الوقفة الثانية: عُرِفَ عنه رحمه الله حرصُه على الجانب التطبيقيّ في تأهيل تلاميذه وترسيخ المنهج العلميّ الصحيح لديهم في تحقيق المخطوطات وإعداد الدراسات التراثية، وكان يولِي هذا الجانب اهتمامًا أكبر لطلاب الدراسات العليا الذين أشرَفَ على بحوثهم وأطروحاتهم؛ وقد وقفتُ على أمثلةٍ كثيرةٍ تُجسِّد هذه الحقيقة؛ فكم شرُفتُ أنا وزملائي بالمكتبة بتحقيق رغباته بحضوره مع مجموعاتٍ من الطلاب في زياراتٍ استطلاعية لقسم المخطوطات، وكان في كلِّ مرةٍ يؤكد أن الغاية من الزيارات ليس فقط الوقوف الميدانيِّ على الشُّعب التي تُقدِّم الخدمة للباحثين بل بتوسيع دائرة التعريف والتبصير بمظان البحث، وطرق فهرسة المخطوطات، والمفاضلة بين النُّسَخ، وقراءة الخطوط بأنواعها، واستخلاص البيانات من الفهارس، وتأييد كل هذه المعارف بعرض نماذج مختلفة من المخطوطات الأصلية والمصورة مما كُتِبَ وأُلِّف ونُسِخ خلال القرون الهجرية الخالية، وكان آخر لقاءٍ جمعني به مع مجموعة من طلاب الماجستير قبل وفاته بشهور قليلة حيث طلب مني رحمه الله أن أصحبهم في زيارةٍ تفقدية لقسم المخطوطات بمكتبة الأمير سلمان المركزية بالجامعة ثم أقدِّم محاضرة مختصرة، فلم يكن لي بدٌّ من تلبية الطلب بإعداد المادة بما يناسب المرحلة التمهيدية لطلاب الماجستير، وتضمينها من نماذج المخطوطات والتعليقات عليها ما رجوتُ به أن يشفيَ غليل أستاذي وأستاذهم، وتم اللقاء في القاعة التعليمية بالمبنى الحاليّ للمكتبة المزودة بأجهزة العرض اللازمة، ومما لا أنساه من تلك اللحظات إصراره رحمه الله على الجلوس بين طلابه في المدرَّج ضاربًا بذلك مثالًا للتواضع الجمّ.

الوقفة الثالثة: عُرِفَ عنه أيضًا إدراكُه العميق لقيمة التراث العلميّ الإسلاميّ وشغفه بالمخطوطات العربية، وبذْل ما استطاع لإخراج شيءٍ من درره وعيونه إلى النور؛ تحقيقًا ودراسةً ونشرًا، ولن نعدم البرهان القاطع على ذلك إذا ما نظرنا في قائمة آثاره العلمية التي غذّى بها المكتبةَ المعاصرة، كما يعرف الكثيرون، وخاصةً المختصين بدراسات العربية، معاناتَه في سبيل تحقيق كتاب "شرح كتاب سيبويه" لأبي سعيد السيرافي، والمعاناة التي أعنيها هنا ليست فيما بذله من الجهد المضني بعد شروعه في تحقيق هذا الكتاب إنما في فشل محاولاته الشخصية لدى جهاتٍ علميةٍ عدّة لرعاية هذا المشروع العلميّ الذي وصفه رحمه الله بأنه "سيكون الموسوعة النحوية الأصيلة التي تيسر ما صعب في كتاب سيبويه، وتحل غامضه، وتسهل وعره"، وواصل تلك المعاناة عندما أُحبط في مسعاه فانبرى لهذا العمل، وتوكَّل على ربه ومضى في تحقيق حلمٍ راوده، وأمنيَّةٍ تمناها، ومضت سنواتٌ وسنوات كلّما سألته البوحَ بالبشرى، هز رأسه مبتسمًا وواعدًا بخير، وعبَّر عن هذا بقوله في موجز سيرته الذاتية: "... وقد قطعتُ في تحقيقه شوطًا لا بأس به، وأرجو أن يعينني الله على إتمام تحقيقه ونشره". لكنه رحمه الله مضى إلى ربه قبل أن يُتمَّ مراده، وعسى أن يقيض الله من يخلفه في إنجاز ما تبقى من أجزاء الكتاب، والاحتفاظ بحقه فيما أنجزه، وإخال الجامعة الأم (جامعة الملك سعود) خير من يفي العلماء حقوقهم، وأولى من يتبنى إكمال تحقيق المشروع الذي بدأه أحد أبنائها. بل أحد أعلامها ومصادر فخرها.

في الختام لابد من وقف جريان القلم عن الكتابة اعترافًا منِّي بأنَّ أبا محمد رحمه الله لا تفي حقَّه سطورٌ تُختَزلُ فيها الذكرياتُ، وإذا كانت معرفتي به امتدت عقودًا من الزمن فإني أعدُّها أيامًا لا أنساها ما بقيتُ حيّا، وإذا شعَرتَ يا قلمي بجفاف المِداد فاستعر من دمعة العين مَددا.

اللهم تقبل أستاذي أبا محمد لديك في زمرة الأنبياء والصدِّيقين والشهداء والصالحين.

أعلام في الظل:

عوض القوزي

(١٣٦١-١٤٣٤هـ/١٩٤٢-٢٠١٣م)

محمد بن عبدالرزاق القشعمي

عرفت الأستاذ الدكتور عوض بن حمد بن علي القوزي – رحمه الله – بالقاهرة على هامش معرض الكتاب الدولي بالقاهرة وهو يحضر اجتماعات مجمع اللغة العربية، ثم تكرر اللقاء في مجلس الشيخ حمد الجاسر الأسبوعي (الخميسية)، ومع صديقه وزميله الأستاذ الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك.

دعوته لزيارة مكتبة الملك فهد الوطنية، وبعد تمنع واعتذار وافق. وكانت زيارته بتاريخ ١٤٢٥/٣/٢٩هـ، ورافقته بعد ذلك والصديق مرزوق بن تنباك والدكتور عبدالمحسن القحطاني لحضور مؤتمر لسان العرب في دورته الخامسة عشر بالقاهرة نهاية عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، فوجدت منه كل لطف وبساطة وتواضع، وقد أهديته كتابي (الفكر والرقيب) فأعاده بعد أيام بعد أن قرأه ولاحظ بحكم تخصصه في اللغة العربية بعض الأخطاء فصوبها، وطالبني بتعويضه بنسخة أخرى بعد إعادة طبعه.. وهكذا كان.

لعلي أتذكر شيئًا مما قاله عند التسجيل معه بالمكتبة، رغم إيجازه، ذكر أنه ولد في بلدة القوز بمنطقة القنفذة عام ١٣٦١هـ فدرس الابتدائية بمدرسة الملك عبدالعزيز بالقوز وحصل على

شهادتها عام ١٣٧٦هـ، ثم انتسب للدراسة المتوسطة بالقنفذة وحصل على شهادتها عام ١٣٨٨هـ ودرس المرحلة الثانوية الليلية بمكة وحصل على شهادتها عام ١٣٩١هـ، انتسب بعدها لجامعة الملك سعود (جامعة الرياض) كلية الآداب قسم اللغة العربية وتخرج فيها عام ١٣٩٦/٩٥هـ وحصل على شهادة الماجستير من الجامعة نفسها عام ١٣٩٩هـ، وعلى الدكتوراه من جامعة أكسفورد ببريطانيا عام ١٤٠٥هـ. وعنوان الرسالة (دراسة مقارنة بين شروح كتاب سيبويه في القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي).

أما حياته العملية:

- فقد عمل مدرسًا ثم مديرًا لمدرسة ابتدائية من عام ١٣٨٠-١٣٩٦هـ.
- فمعيدًا بكلية الآداب، جامعة الملك سعود من عام ١٣٩٦ إلى ١٣٩٩هـ.
- فمحاضرًا بكلية الآداب من عام ١٣٩٩ إلى ١٤٠٥هـ.
- فأستاذًا مساعد بكلية الآداب من عام ١٤٠٥ إلى ١٤١٠هـ.
- فأستاذًا من عام ١٤١٠هـ إلى ١٤٢٣هـ.

كما عمل عميدًا لمعهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود – كلية الآداب.

- وقد ترجم له في (موسوعة تاريخ التعليم بالمملكة في مائة عام، ط٢، ١٤٢٣هـ، وقد ذكرت:

حياته العلمية:

تلقى تعليمه بالمدرسة العزيزية الابتدائية في القوز وتخرج منها عام ١٣٧٦هـ ثم تخرج من معهد إعداد المعلمين الابتدائي بالقنفذة عام ١٣٧٩هـ.

ثم من مركز الدراسات التكميلية بالطائف عام ١٣٨٦هـ، ثم من المتوسطة الأولى بالقنفذة عام ١٣٨٨هـ، ثم من ثانوية مكة بمكة المكرمة عام ١٣٩١هـ.

التحق بكلية الآداب (قسم اللغة العربية) جامعة الملك سعود وحصل على البكالوريوس عام ١٣٩٥هـ.

ثم حصل على درجة الماجستير من جامعة الملك سعود عام ١٣٩٩هـ.

ثم درجة الدكتوراه من جامعة أوكسفورد ببريطانيا عام ١٤٠٥هـ.

أما حياته العملية:

عمل معلمًا بمدرسة المخواة عام ١٣٨٠هـ، ثم مديرًا لمدرسة الكدوة الابتدائية بحلي من عام ١٣٨١هـ حتى عام ١٣٨٤هـ، ثم مديرًا لمدرسة العزيزية بالقوز عام ١٣٨٥هـ، ثم معلمًا بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة عام ١٣٨٩هـ، ثم مدرسًا بالمدرسة الخالدية بالرياض عام ١٣٩٢هـ، ثم مدرسًا بالمدرسة الأهلية (التذكارية) بالرياض عام ١٣٩٣هـ، ثم انتقل معيدًا بكلية الآداب، ثم محاضرًا عام ١٤٠٠هـ، ثم أستاذًا مساعدًا ثم مشاركًا ثم أستاذًا من عام ١٤٠٥ حتى عام ١٤٢٣هـ.

عمل برئاسة وعضوية عدد من اللجان والمجامع العلمية والمشاركة في المؤتمرات والندوات.

- وترجم له الأستاذ أحمد سعيد بن سلم في (موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عامًا) بعد استعراض سيرته ذكر أنه: يدرس بالجامعة النحو والصرف، ومعني بكتابة البحوث العلمية فيها، وتذوق الشعر الفصيح ومحاولة كتابته.

وذكر من مؤلفاته حتى عام ١٤١٠هـ ما يلي:

١- المصطلح النحوي.. نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، مطبوعات جامعة الرياض (الملك سعود) عام ١٤٠١هـ ٢٣٥ صفحة، يبحث في نشأة النحو العربي فكرة واصطلاحًا وتتبع المصطلحات اللغوية، كيف نشأت وكيف تطورت، ويحرص على إسناد كل مصطلح إلى صاحبه، ثم يبحث في اختلاف المصطلحات بين مدرستي البصرة والكوفة بوجه خاص بدراسة مصطلحات كتاب سيبويه ودور الكُتّاب في المدرسة النحوية على مر العصور.

٢- ما يحتمل الشعر من الضرورة – لأبي سعيد السيرافي – تحقيق ودراسة، نشر في عام ١٤٠٩هـ ٣٣٣ صفحة، الرياض: مطابع الفرزدق، الكتاب جزء من شرح السيرافي على كتاب سيبويه وهو يمثل وحدة مستقلة من الفكر النحوي متخصص ببحث ما يجوز للشاعر من الزيادات أو النقصان والحذف والتقديم والتأخير، والإبدال، وتغيير وجه من الإعراب إلى وجه آخر عن طريق التشبيه، والتأنيث والتذكير، وتذكير المؤنث، على ألا يكون في ذلك كله رفع منصوب ولا نصب مخفوض ولا لفظ يكون المتكلم به لاحقًا.

وهذا الكتاب يُعَد أقدم مصدر يصل إلينا في موضوعه.

٣- هناك بحوث منشوره في مجلات علمية متخصصة وهي:

أ- رحلة كتاب سيبويه من البصرة، مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

ب- نكتة النكت في سرقة الأعلم الشنتمري – مجلة المجمع العلمي بدمشق.

جـ- الأصول بين الفقهاء والنحاة – مجلة دارة الملك عبدالعزيز.

د- ظاهرة البخل عند النحاة – مجلة العصور.

٤- يعكف الآن (عام ١٤١٠هـ) على مراجعة الطبعة الأولى من كتاب (تعليقة أبي علي الفارسي على كتاب سيبويه) وهو يصدر فيما يقارب ألفي صفحة إن شاء الله تعالى.

• كما ترجم له في (معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية) الدائرة للإعلام، ط٢، ١٤١٣هـ. وأضاف إلى ما سبق: "... التعليقة على كتاب سيبويه (تحقيق) القاهرة: مطبعة الأمانة ١٤١٠هـ، ج١، ١٩٩٠م.

التعليقة على كتاب سيبويه (تحقيق) القاهرة: دارالمعارف، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج(٢-٥).

معاني القراءات (تحقيق مشترك) القاهرة: دار المعارف، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٣ ".

• وترجم له في (دليل الأدباء بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية) ط٢، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م. وأضاف إليه: ".. عضو مجمعي اللغة العربية (دمشق والقاهرة).

عضو جمعيات لسان العرب، حماة اللغة العربية، الجمعية اللغوية السعودية.

الجوائز الأدبية والأوسمة: كرمه الأمين العام لجامعة الدول العربية بترشيح من جمعية لسان العرب لجهوده في خدمة اللغة العربية ضمن عشرة علماء مكرمين من الوطن العربي..".

شارك في كثير من المؤتمرات والندوات، نذكر منها:

١ـ المؤتمر الدولي السابع للغة العربية بجامعة (غاجه مادا) وجامعة (سونان كاليجانما الإسلامية الحكومية بيوغياكرتا بأندونيسيا. وموضوعه: دور اللغة العربية في عملية البناء الحضاري.

٢ـ الندوة الدولية حول تجربة تعليم اللغة العربية في أندونيسيا – مالها وما عليها– المنعقدة بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانق، وموضوع بحثه (اللغة العربية خارج البلاد العربية). ٢٠١١م.

٣ـ مؤتمر مجمع اللغة العربية الدورة (٨٧) لعام ٢٠١٢م، وموضوعه: (مستقبل اللغة العربية)، وموضوع بحثه: أثر وسائل الاتصال الحديثة على مستقبل اللغة العربية. ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٤ـ المؤتمر الدولي (الإسلام ودوره في تطوير الحضارة والسلام العالمي) في الجامعة الشافعية بجاكرتا – إندونيسيا – ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.

٥ـ المؤتمر الدولي الذي نظمته (HERDSA 2013) للتعليم العالي والبحث العلمي بأوكلاند في نيوزيلندا.

إضافة لمؤتمرات ودورات تتعلق باللغة العربية في داخل المملكة وخارجها.
كما نظم دورات تدريبية في عمادة تطوير المهارات بالجامعة للعام الدراسي ٣٢-١٤٣٣هـ.

١- دورة في: تصميم وبناء المقرر الدراسي.
٢- دورة في: التدريس المصغر.
٣- دورة في: التدريس القائم على التخصص والبحوث التربوية.
٤- دورة في: تطوير ملف التدريس.
٥- دورة في: دمج التقنية في التدريس الجامعي.
٦- دورة في: النشر العلمي في الدوريات العالمية.
٧- دورة في: برمجيات تبويب المراجع.
٨- ورشة: استخدام السبورة الذكية – المنعقدة في كلية الآداب.

هذا وقد تعرض لحادث سير أودى بحياته – رحمه الله – وهو في طريقه من بلدته (القوز) إلى جدة، بُعيد عيد الأضحى لعام ١٤٣٤هـ. إذ أعترض طريقهم بعير اصطدمت به سيارتهم فكان هو الضحية.

وقد خصص مركز حمد الجاسر الثقافي إحدى جلساته الأسبوعية (السبتية) لتأبينه بعد شهر من وفاته تحدث فيها أصدقاؤه وزملاؤه وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور مرزوق بن تنباك والأستاذ الدكتور أحمد الزيلعي، مع مشاركة وتعليق محبيه أذكر منهم: الدكاترة: أحمد الضبيب وإبراهيم الشمسان وعبدالعزيز المانع، وكاتب هذه السطور وغيرهم.

وكان قد تزوج مرتين، رزق منهما بـ (٤) أبناء و(٨) بنات.

من إصداراته

كتاب المصطلح النحوي[1]

(المصطلح النحوي) هذا عنوان أحد كتب د. عوض القوزي رحمه الله، وهو بحث ورسالة قدمها لنيل درجة الماجستير، ابتدأها بمقدمة بيَّن فيها سبب اهتمامه بهذه القضية؛ وهو أن مصطلحات العلوم قد تم تدوينها منذ دهور، إلا أن مصطلح النحو لم ينل الاهتمام الواجب له، وكاد مع وعورة الطريق إلى هذه القضية ومع محاولة البعض ثنيه عنها وأن يعدل عنها إلى غيرها كان تشجيع بعض أساتذته هو ما شد أزره، وزاده إصرارًا على إكمال ما بدأ فيه.

ذكر بعد ذلك عددًا من الصعوبات التي وقفت في طريق بحثه وكيف تجاوزها، وبين أنه لم يجد غير رسالة واحدة في ذات الموضوع، وأنها لم تستوف جوانب الموضوع، مما شجعه أكثر على المضي في طريقه.

قسم د. عوض بحثه إلى ثلاثة فصول وخاتمة، كان الفصل الأول بعنوان: (المصطلح النحوي قبل الكتاب)، وقد تحدث فيه عن أصل اللغة وحَدِّها عند العلماء، ثم تحدث عن اصطلاحات النحو العربي ومفهوم المصطلح النحوي، ثم وقف عند نحو أبي الأسود الدؤلي واصطلاحاته، وتحدث عن المصطلحات النحوية عند تلاميذه، وتحدث كذلك عن مرحلة التهيئة لظهور

(١) نشر في "جسور"، مركز حمد الجاسر الثقافي، ع١٤محرم١٤٣٥هـ، ص٥.

المصطلحات النحوية، وعن الأبواب والاصطلاحات النحوية في هذه المرحلة.

وفي الفصل الثاني وهو بعنوان (المصطلح النحوي في كتاب سيبويه) جعل الحديث عن مصطلحات الكتاب، وتعرض فيه بالمناقشة المتأنية لأسلوبه وتبويبه ومصطلحاته، وبين طريقة سيبويه في تأطير مصطلحاته ووضعها، ثم ختم الفصل بالحديث عن هذه المصطلحات من ناحية بقائها وفنائها.

وفي الفصل الثالث الذي عنونه بـ (المصطلح النحوي بين البصريين والكوفيين)، تحدث عن اتخاذ المدرستين كتابَ سيبويه دستورًا لهم، وبين أن خلاف المدرستين كان له آثار حسنة في تقدم العلم ونضجه واستقراره، وأوضح صور الخلاف في المصطلحات النحوية، وتحدث عن مصطلحات البصريين التي رفضها الكوفيون، وعن مصطلحات الكوفيين التي رفضها البصريون.

كتاب "ما يحتمل الشعر من الضرورة"(١)

تأليف أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي

تحقيق وتعليق / د. عوض القوزي رحمه الله

تحدث الدكتور عوض القوزي -رحمه الله- في مقدمة هذا الكتاب عن أنه أثناء فترة دراسته وبحثه في مرحلة الدكتوراه كان قد أُغرم كثيرًا بأعمال أبي سعيد السيرافي، وأُعجب بطريقته في درس النحو واللغة، وقد لاحظ الفقيد -رحمه الله- وهو يدرس شرح السيرافي لكتاب سيبويه أن السيرافي توقف طويلًا عند قضية الضرورة الشعرية، التي تحدث عنها سيبويه في دراسته للنحو حديثًا عامًّا غير قاصدٍ لها ولا متعمقٍ فيها، فاهتم بها السيرافي وكتب فيها كلامًا طويلًا مهمًّا، فلما لاحظ الدكتور عوض القوزي -رحمه الله- هذا؛ عَرَضَ على بعض زملائه فكرة دراسة هذا الموضوع، فشجعوه على تحقيق ذلك وإفراده ببحث مستقل، فعمد إلى المخطوطات لشرح السيرافي، فاستخرج منها كلامه عند تلك القضية، وأفردها بالبحث والتحقيق والاعتناء، ثم خرج لنا بكتاب (ما يحتمل الشعر من الضرورة لأبي سعيد السيرافي).

تحدث في مقدمته عن نُسَخ المخطَوطة، ثم وضع عنوانًا تحدث تحته عن السيرافي باختصار، وتكلم على الضرورة الشعرية، وأوضع المراد بهذا المصطلح ونماذجَ له، ثم أورد بعض الصور

(١)نشر في "جسور"، مركز حمد الجاسر الثقافي، ع١٤محرم١٤٣٥ه، ص٥.

لمخطوطات السيرافي، ثم وضع الكتاب محققًا، وعمل على شرح ما غمض منه والتعليق عليه.

ثم أنهاه بخاتمة لخص فيها حال المصطلح النحوي في القرون الثلاثة الأولى، والتطورات التي طرأت عليه، وأسبابَ التطور، وعلى يد من تطور المصطلح، وعرض لجهود أبي الأسود والخليل وسيبويه في وضع المصطلحات وإقرارها.

وهو بحث قيم فريد جليل القدر، لا ينبغي أن تخلو منه مكتبة طالب العلم والأديب، رحم الله د. عوض القوزي رحمة واسعة.

معاني القراءات[1]
لأبي منصور الأزهري

صدر هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء وهو تصنيف أبي منصور الأزهري محمد بن أحمد المتوفي سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م، وتحقيق الدكتور عيد مصطفى درويش والدكتور عوض القوزي[2]، وأوضح فيه المحققان أن "القرآن الكريم" حظي بما يستحقه من اهتمام، والمكتبة العربية غنية بالصور المختلفة لذلك الاهتمام، فإلى جانب الكتب التي تناولت تفسيره، نجد أخرى تدرس غريبه، وإعرابه، وبلاغته، ومعانيه، ومشكله، وإعجازه، وأحكامه، ووجوه القراءات فيه.

وهذه الدراسات على اختلافها وتنوع مصادرها، لا تغني واحدة منها عن الأخرى، ويجد المهتم بالدراسات القرآنية الحاجة إلى الوقوف على كل عمل له صلة بهذا الكتاب الكريم، وأن يمن الطالع أن ينهض أبو منصور الأزهري صاحب تهذيب اللغة بعمل يتصل بكتاب الله العزيز فكان لقدراته اللغوية، وثقافته الفقهية والأدبية دور بارز في توجيه بعض القراءات، والاحتجاج المبكر لها، إذ لم يقف عند اختلاف القراء، أو عند إعراب بعض

---

(١) نشر في "جسور"، مركز حمد الجاسر الثقافي، ع١٤محرم١٤٣٥هـ، ص٥.
(٢) وحققت هذا الكتاب بعنوان مختلف هو (القراءات وعلل النحويين فيها) الدكتورة نوال بنت إبراهيم الحلوة، ونشرته سنة ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩١م. (المحرران)

الحروف، فقدم عملًا يكشف عن خبرة في لغة القرآن، ومعرفة عميقة بأسراره.

ويهدف هذا الكتاب إلى خدمة كتاب الله، كما هي نفوس المشتغلين به وبالنحو والصرف واللغة التي تتوق كثيرًا لخدمته بما يحسنون من تخصصهم، ومن أجل ذلك كانت التصانيف العديدة للأخفش، والفراء، وأبي عبيدة والزجاج، وأبي على الفارسي، وأبي حيان الأندلسي وغيرهم في سائر العصور، ويشير المحققان إلى أن الاشتغال بالقرآن الكريم بالطريق المباشر وخدمته يطيب النفس، وقد سنحت الفرصة لنفسه أن تهدأ وللبال أن يطمئن بالعثور على مخطوطة في معاني القراءات لأبي منصور الأزهري فسعد بها أيّما سعادة، فهي تلبي رغبة ملحة وأكيدة راودته كثيرًا، ثم إن أبا منصور صاحب تهذيب اللغة عالم جليل القدر بين علماء اللغة بما له من غزارة العلم، وفضل التقديم، ولابد أن يكون كتابه هذا على قدر علمه وسعة باعة في هذا الميدان.

وأشار إلى أن الخرم الذي كان في النسخة التي اطلع عليها هو الذي حال بينها وبين تطلعات المحققين والدارسين من قبله، ويتمثل هذا الخرم أساسًا في موطنين: أولهما في مقدمة المخطوطة، ثانيهما من منتصف سورة يونس إلى منتصف سورة يوسف، وقد سدت الثغرة الأولى بما أدركه المحققان من اعتماد أبي منصور الأزهري على كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد.

التعليقة على كتاب سيبويه[1]

لأبي علي الفارسي

يشير المحقق رحمه الله إلى أن التعليقة ظلت مجهولة أو في حكم المفقود حتى عهد قريب، وما كادت تكشف ضمن قوائم المخطوطات النادرة في تركيا حتى أشرأبت إليها أعناق الباحثين، وتطلع إليها المهتمون بالتراث، وها هي اليوم تظهر كأول شرح متكامل لشروح "الكتاب" في القرن الرابع الهجري.

وتأتي أهمية التعليقة من ناحيتين:

الأولى: ارتباطها بكتاب سيبويه، الكتاب الذي سماه القدامى "قرآن النحو" فهي تشرح غامضه، وتسيّر صعبه، وتذلل لمريديه الطريق لسبر أغواره، في أسلوب يرق حينًا حتى يخيل لغير المتخصصين أن اقتحامه سهلا، ويوغل في الصعوبة حينًا آخر حتى إن أصحاب الصناعة ليشق عليهم ذلك.

والثانية: تتصل بالمؤلف، فهو شيخ أهل القياس في النحو، وأكثر الناس تفردًا بكتاب سيبويه، وكتابه هذا شاهد على طبيعة الدرس النحوي في العصر الذهبي للثقافة العربية.

---

(١) نشر في "جسور"، مركز حمد الجاسر الثقافي، ع١٤محرم١٤٣٥هـ، ص٥.

أبحاث مهداة

التراث الممتوح في شعر سعد مصلوح

قصيدة (سبعون) أنموذجًا

أبوأوس إبراهيم الشمسان

إن أكثر ما يروعك وأنت تقرأ نتاج علامة العربية الأستاذ الدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح امتلاكه ناصية اللغة، وحضور التراث فيها، ما روي منه أو ما تتيحه أنظمة اللغة من اشتقاقات لم يسبق إليها، وتراه يحيي من الألفاظ ما أماته المعاصرون إما لجهلهم إياه أو لاكتفائهم بأقله، حتى ترى أن ما يستعملونه من ألفاظ اللغة أقلها، يتداولون عددًا ضئيلًا إلى جنب معجم زاخر بالألفاظ المعبرة الموحية، واختفت المعبرات عن الفروق الدقيقة الموحية بجوانب من البيان لا يكون إلا بها، تقرأ لسعد مصلوح فتجد رجلًا زويت له معرفة المعاصرين في أعلى درجاتها ولغة القدماء ببيانها وجزالة ألفاظها، تجد بعض القصائد أو بعض بيوتها كأنّ مبدعها العجاج أو رؤبة، فلست تدرك المعاني من غير مؤونة ولا تجد ذلك على طرف الثمام.

خير مثال لامتياح التراث في لغة أستاذنا ديوانه (خطوات على الأعراف) وهو عنوان قصيدة من أهم قصائد الديوان، وكما هو ظاهر في هذا العنوان تبرز كلمة (الأعراف) وهي كلمة وردت في القرآن الكريم في آيتين من سورة الأعراف، قال تعالى ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦]، قال تعالى ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٨]، والأعراف جمع

عُرف، قال ابن سيده "وعُرْفُ الرمل والجبل وكل عَالٍ: ظَهره وأعاليه وَالْجمع أعراف وعِرَفَةٌ ... قَالَ الزّجاج: الْأَعْرَاف أعالي السُّور"(١)ومن هذا الموقع أدرك حقيقة الحياة:

تِلْـكَ الحَيَـاةُ؛ سُـرُورُهَا خُلَـسٌ   تَمْضِـي، وَجَـزْلُ عَطَائِهَـا نُتَـفُ

كَمْ ذَا أَسِـفْتَ، وَكَـمْ نَـدِمْتَ لَهَـا   الآنَ لا نَـــــدَمٌ وَلَا أَسَــــفُ

فَلَقَــدْ عَرَفْــتَ قَــدِيْمَ عَادَتِهَــا   وَجَهِلْتَ أَنَّى تُؤْكَلُ الكَتِفُ

يتألف هذا الديوان من ثلاث مجموعات، الأولى الديوان والثانية أشعار للأطفال والثالثة ضمائم الديوان، معارضات ومساجلات. صدر الديوان في ٢٢٠ صفحة من القطع الصغير عن دار البشير للثقافة والعلوم في مصر عام ١٤٣٨هـ الموافقه ٢٠١٧م.

أول قصائد الديوان (سبعون) قصيدة يؤثرها أستاذنا، كما قال لي، وتشرفت بسماعها منه، مطلعها:

سَــبْعُونَ مَــرَّتْ، وَعُمْــرٌ   مِــنَ اللّهَــاثِ تَقَضَّــى

ويصادف القارئ في البيت الثاني اللفظ (جهامًا)، قال:

سَــبْعُونَ مَــرَّتْ، جَهَامًــا   يَــذْرَعْنَ أُفْقَــكَ رَكْضًــا

و"الْجَهَامُ: السَّحَابُ الَّذِي أَرَاقَ مَاءَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ خَيْرَهُ يَقِلُّ فَلَا يُسْتَشْرَفُ لَهُ"(٢)، و"الرِّيحُ يجفِلُ السَّحابَ الْخَفِيف من الْجَهام، أَي

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٢: ١١٢.

(٢) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١: ٤٩٠.

تَسْتَخِفُّه فَتَمْضي بِهِ"[1]، هكذا رأى الشاعر سنوات عمره السبعين ركضت أفقه ومرّت مرّ السحاب الخفيف الذي تلوي به الريح فكأنها ركضت ركضًا، وهو ركض سحب يذكرنا بما قال إيليا أبو ماضي:

السحـــــب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين[2]

وأمّا (صلِيبًا) في البيت الثالث فليست كما يبدهك معناها المتداول الذي هو رمز من رموز المسيحية؛ بل هي لفظ تراثي يزرعه مصلوح في قصيدته لينشر بعد فوت، قال:

أَحْنَـــتْ صَـــلِيبًا، وَأَذْوَتْ   مَـا كَـانَ بِـالْأَمْسِ غَضًّـا

والحق أن كلمات هذا البيت كلها منتزعة من التراث لا تكاد تجدها في لغة الناس اليوم، فكلمة (أحنت) بالهمزة ليست من الشائع في لغة القدماء فحنى يتعدى مجردًا، وكأن في زيادة هذه الهمزة مزيد فعْلٍ، على أن صاحب متن اللغة أثبتها، قال "أحنى القوس: حناها"[3]. وأما (الصليب) فصفة مشبهة باسم الفاعل مثل (صُلْب)، وهو أيضًا بمعنى مفعول مثل (مصلوب) وهو بهذا مشترك لفظي، قال الزمخشري "شَيْءٌ صُلْبٌ وَصَلِيبٌ وَصُلَّبٌ، وَقَدْ صَلُبَ صَلَابَةً ... وَصُلِبَ اللِّصُّ، وَهُوَ مَصْلُوبٌ وَصَلِيبٌ"[4]، والمعنى الذي استعمله أستاذنا هو الصَّليب بمعنى الصُّلْب. وليست (أذوى) من لغة المحدثين، ولكن المعجم حفظها لنا وأستاذنا يعيد

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، ١١: ٦٢.
(٢) إيليا أبو ماضي، ديوان إيليا أبو ماضي، ٧٦٤.
(٣) أحمد رضا، معجم متن اللغة، ٢: ١٨٥.
(٤) الزمخشري، أساس البلاغة، ١: ٥٥٣.

زراعتها في شعره، "أَذْوى الحَرُّ البقلَ، فَذَوى"(١). و"ذَوَى يَذوي ذَيًّا، وهو أن لا يُصيبَ النباتَ والحشيشَ رِيُّه، أو يضربُه الحَرُّ فيذبُلُ ويضعُفُ"(٢).

ونجد في البيت السابع ثلاثة ألفاظ غريبات، قال:

وَجَلَّحَـــــــتْ بِـــــــدَعِيٍّ يَفْـرِي الحُشَاشَـةَ بُغْضَّـا

قال ابن دريد "وَجَلَّحَ الذِّئْبُ يُجَلِّحُ تَجْلِيحًا إِذا أَقْدَمَ وَصَمَّمَ وَلَمْ يَرْجِعْ. وَكُلُّ مُقْدِمٍ على شَيْءٍ فَقَدْ جَلَّحَ عَلَيْهِ فَهُوَ مُجَلِّحٌ"(٣). والباء للتعدية كهمزة النقل كما في (ذهب به) و(أذهبه)، فهي أقدمت الدعيّ الذي من شأنه أنه مبغض شانئ يفري أو يبقر أو يبعج، كل ذلك معبّر عن الشقّ المؤلم للحُشاشة، "والحُشاشةُ: روحُ القلب. والحُشاشةُ: رَمَقُ بَقيَّة من حياة النفس"(٤). ومن تجري على لسانه أو يخط قلمة (الحشاشة)، ويقفز إلى الذهن مع جملة هذه الأفعال نصّ الجاحظ عن بشّار بن برد الذي هجى واصلًا: "قال واصل بن عطاء عند ذلك: "أَمَا لِهَذَا الأَعْمَى المُلْحِدِ المُشَنَّفِ المُكَنّى بِأَبي مُعاذٍ مَن يقْتُلُه. أَما وَاللهِ لَوْلا أَنَّ الغِيلَةَ سَجِيَّةٌ مِن سَجايا الغالِيَة، لَبَعَثْتُ إِلَيْهِ مَن يَبْعَجُ بَطْنَهُ عَلى مَضْجَعِهِ ... إلخ."(٥). والجاحظ أورد النص مثالًا للبليغ يتجنب لثغته من غير تكلف، فواصل استعمل (يبعج) ليتجنب (يبقر) أو (يفري).

---

(١) الفارابي، معجم ديوان الأدب، ٤: ١٠٩.
(٢) الخليل، العين، ٨: ٢٠٦.
(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة، ١: ٤٤٠.
(٤) الخليل، العين، ٣: ١١.
(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ١: ١٦.

وأعقب هذا ببيت قال فيه:

وَقَرَّطَــــــتْ بِالْعَطَايـــــــا فَحَـــالَ فَيْضُـــكَ غَيْضَـــا

ومن المفارقة العجيبة أن يكون الفعل (قرّط) من مهملات لغة المعاصرين الفصيحة؛ ولكنه على ألسنة العامة، وأستاذنا يعيده إلى سياقه الفصيح، ويعبر به عامة جزيرة العرب عن شدّة إطباق الأسنان على الشيء، يقولون: قَرَّطَ عليه، ومجازًا عن شدّة البخل، وهذا ما متحه الأستاذ من التراث، قال ابن سيده: "وَقَرَطَ الكُرّاثَ، وَقَرّطَهُ: قَطَّعَهُ فِي الْقِدْرِ... وَقَرَّطَ عَلَيْهِ: أعطَاهُ عَطاء قَلِيلا"(١).

وكان من شأن هذا البخل بالتقريط أن صير الفيض غيضًا، وهما لفظان من مثل تراثي سائر لا تجدهما في لغة المحدثين إن وجدتهما إلا في إسار هذا المثل، قال الميداني "غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ: أي قليل من كثير. الغيض: النقصان، والفيض: الزيادة، يُقَال: غاضَ يغِيْضُ غَيْضًا، ومثله فاضَ"(٢). واستعمال أستاذنا الفعل (حال) فعلًا ناسخًا غير مسبوق إليه، ومعنى الفعل يسوّغ هذا الاستعمال، إذ "حَال الشَّيْءُ حَوْلًا وحُؤُولًا، وتَحَوَّلَ تَغَيّرَ، والحائلُ الْمُتَغَيّرُ اللَّوْنِ"(٣).

وقال بعده:

وَأَنْهَـــرَتْ مِـــنْ جِـــراحٍ خَـــزَّتْ وَتِيْنَـــكَ نَفْضَـــا

لا نكاد نسمع أو نقرأ في لغة المحدثين عن الفعل (أنهر) إلّا في خطبة عيد الأضحى التي تصف ذبح الأُضحيّة ذبحًا شرعيًّا وهو

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٦: ٢٦٨.

(٢) الميداني، مجمع الأمثال، ٢: ٦٠.

(٣) ابن سيده، المخصص، ٣: ٣٠١.

نصّ تراثي يتردد ولا يستعمل في لهجة أو لغة فصيحة حديثة؛ ولكن أستاذنا يحييه هنا، جاء في المصباح "وَنَهَرَ الدَّمُ يَنْهَرُ بِفَتْحَتَيْنِ سَالَ بِقُوَّةٍ وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَنْهَرْتُهُ وَفِي الْحَدِيثِ أَنْهِرْ الدَّمَ بِمَا شِئْتَ إلَّا مَا كَانَ مِنْ سِنٍّ أَوْ ظُفْرٍ"(١). ومثله الفعل (خزّ)، جاء في أساس البلاغة "وخززته بسهم واختززته: أصبته وأنفذته، وطعنته فاختززته"(٢). وأما (الوتين) فلا نكاد نصادفه إلّا في تلاوة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦]، و"الوَتين نِياط الْقلب، وَإِذا انْقَطع الوتينُ لم يكن بعده حَيَاة. وَقَالَ أَبُو زيد: الوَتِينُ عِرْقٌ يَسْتَبْطِنُ الصُّلْبَ يجتمعُ إِلَيْهِ البطنُ أجمع، وَإِلَيْهِ تَضْرِبُ العُرُوق"(٣)، و(النفض) الهزّ والتحريك الذي قد يبعثر محتوى، ويطلق العامة في الجزيرة لفظ (النفيض) على السحاب الخفيف الذي نفض أي فقد كثيرًا من مائه، فهو يمر سريعًا ولا يتحرى أن يمطر، والمعنى أن هذه السنين خزّت الوتين فأنهرت منه الدم حتى نفضته أي أفرغته.

وقال في البيت العاشر:

وَسَـــــاوَرَتْكَ ضِـــــئَالٌ نَهْسًـــا، وَنَهْشًـــا، وَعَضَّـــا

وقد يرد على الذهن حديث عمر بن الخطاب الذي جاء فيه (فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلاَةِ)(٤).

على أن بيت النابغة هو المعين:

(١) الفيومي، المصباح المنير، ٢: ٦٢٧.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، ١: ٢٤٣.

(٣) الأزهري، تهذيب اللغة، ١٤: ٢٣١.

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، ٦: ١٨٥.

فَبِــــتُّ كَــــأَنِّي سَــــاوَرَتْنِي ضَــــئِيلَةٌ

مِـنَ الـرُّقْشِ فِــي أَنْيَابِهَــا السُّـمُّ نَــاقِعُ[١]

جاء في (العين): "والضَّئيلةُ: حَيَّةٌ كأنَّها أفْعَى"[٢]، ونجد بعد ما قد تهمله لغة المعاصرين من عناية بالفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة المعاني، فهو يذكر (النهس، والنهش، والعضّ)، جاء في التهذيب "قَالَ اللَّيْث: النَّهْش: دون النَّهْس: وَهُوَ تناولٌ بالفَمِ إِلَّا أَن النَّهْسَ تناولٌ من بَعِيد كنَهْش الحيّة والنَّهْشُ: القَبْضُ على اللَّحْم ونَتْفُه. أَبُو عبيد عَن الْأَصْمَعِي: نهشَتْه الحيَّةُ ونَهَسَتْه إِذا عَضّته"[٣].

وقال في البيت الثاني عشر:

وَلَا تُعَــــــالِجُ حَزْنًــــــا حَتَّـــى تُـــزَالِجَ دَحْضَــا

وارتبطت المعالجة في عصرنا في أكثر استعمالاتها بالأدواء والأمراض أو بمعنى مجازي للدلالة على الإجراء؛ ولكنها في التراث كما يستدعيها أستاذنا في هذا البيت لها دلالة حقيقية حسيّة، قال ابن سيده "وأصل المعالجة والعِلاج المِراس والدِفاع"[٤]. ومعالجة الحَزْن مكابدة صعوده، والحَزْن والحَزْم من الألفاظ التي لا تكاد تقع عليها في لغة المحدثين، قال ابن دريد "الحَزْنُ: الغِلَظُ منَ الأَرْض مثل الحَزْم سَوَاء"[٥]. وأما الفعل (تُزالج) فمضارع

(١) النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، ص٣٣.

(٢) الخليل، العين، ٧: ٥٧.

(٣) الأزهري، تهذيب اللغة، ٦: ٥٤.

(٤) ابن سيده، المخصص، ٣: ٣٥١.

(٥) ابن دريد، جمهرة اللغة، ١: ٥٢٩.

(زالج) وهو من استثماره ما تتيحه اللغة من إمكانات التصريف، لا تجد الفعل (زلج) بمعنى (زلق) مزيدًا بالألف للدلالة على المشاركة في المعجم؛ ولكنَّك تجده في استعماله هنا، وهذا من إثرائه اللغة، و"الدَّحْضُ: الزَلَقُ، يقال: مَزْلَقَةٌ مِدحاضٌ. والدَّحْضُ: الماءُ الذي تكون منه المزْلَقَةُ"(١). والشاعر يبين معاناته في حياته بين مكابدة صعود مرهق ومقاومة دحض مزلق، فهو يُزالج الدحض أي يقاومه ويدافعه، صورتان متناقضتان معنًى مشتركتان في الإرهاق.

وقال في البيت الثالث عشر:

يَــا وَاهِــنَ الْخَطْــوِ! هَوْنَــا   أَيْنًــا تَخُــوضُ وَرَحْضَــا

وفي هذا البيت التفاتة إلى النفس بعد أن بيّن رهقها صعودًا وانزلاقًا فوهْن خطوه أن يعتمد الهو؛ن لأنه بلغ منه الأمر أن صار التعب والعرق كلجة؛ إذ يخوض أيْنًا وهو شدة التعب والنصب، ورحضًا أي عرقًا، قال ابن سيده "ورُحِضَ الرجل رَحْضًا، عرق حَتَّى كَأَنَّهُ غسل جسده"(٢).

وقال في البيت الرابع عشر:

رَاوَدتُّ أَيْسًــــا ولَيْسًــــا   وَجُبْــتَ طُــولًا وَعَرْضَــا

ويقفز إلى الذهن استعمال القرآن للفعل (راود)، قال تعالى ﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٢٣]، وهي مراودة للأيس والليس أي للممكن وغير الممكن أو الموجود وغير

(١) الخليل، العين، ٣: ١٠١.

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم،٣: ١٢٦.

الموجود، وفي هذا البيت تستحيي مماتًا، إذ لا تكاد تجد الأيس والليس في استعمال القدماء بله المحدثين، قال أحمد بن فارس "الْهَمْزَةُ وَالْيَاءُ وَالسِّينُ لَيْسَ أَصْلًا يُقَاسُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِ فِيهِ إِلَّا كَلِمَتَانِ مَا أحسبُهُمَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُمَا لِذِكْرِ الْخَلِيلِ إِيَّاهُمَا. قَالَ الْخَلِيلُ: أَيْسَ كَلِمَةٌ قَدْ أُمِيتَتْ، غَيْرَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: (ائْتِ بِهِ مِنْ حَيْثُ أَيْسَ وَلَيْسَ) لَمْ يُسْتَعْمَلْ أَيْسَ إِلَّا فِي هَذِهِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهَا كَمَعْنَى [حَيْثُ] هُوَ فِي حَالِ الْكَيْنُونَةِ وَالْوُجْدِ وَالْجِدَةِ. وَقَالَ: إِنَّ " لَيْسَ " مَعْنَاهَا لَا أَيْسَ، أَيْ: لَا وُجْدَ. وَالْكَلِمَةُ الْأُخْرَى قَوْلُ الْخَلِيلِ إِنَّ التَّأْيِيسَ الِاسْتِقْلَالُ؛ يُقَالُ: مَا أَيَّسْنَا فُلَانًا، أَيْ: مَا اسْتَقْلَلْنَا مِنْهُ خَيْرًا"(١).

وقال في البيت السادس عشر:

أَهْزَلْـــتَ ظَهْـــرَكَ مِمَّـــا تَـــأْلُوهُ حَثّـــا وَحَضَّـــا

ومعنى (أهزله) أي أذهب شحمه ولحمه من التعب والسفر، ويكنّى بالظهر عن الدوابّ، وبهذا استعمله في هذا البيت، قال الخليل "والظَّهْرُ: الرِّكاب تَحْمِل الأثقالَ في السَّفَر"(٢). وهذا معنى الظهر الوارد في الحديث "وَفِيهِ «فَإِنَّ الـمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أبْقَى» يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا انْقُطِع بِهِ فِي سَفَرِهِ وعَطِبتْ راحلتُه: قَدِ انْبَتَّ، مِنَ البَتِّ: القَطْع"(٣). وأما (يألوه) أي يستطيعه ويطيقه فلا تجده في لغة المحدثين، وهو من النادر في القديم، و(الحثّ) و(الحضّ) بينهما خصوص وعموم وإن كانا بمعنًى، قال ابن سيده

---

(١) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة،١: ١٦٤.

(٢) الخليل، العين، ٤: ٣٧.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١: ٩٢.

"الحَضُّ: ضَربٌ من الحَثّ فِي الَّسيْرِ والسَّوْقِ، وكلِّ شيءٍ. والحَضُّ أَيْضا: أنْ تَحُثَّهُ على شيءٍ لَا سَيْرَ فِيهِ وَلَا سَوْقَ"(١).

وزاد من أسباب إهزال الركاب ما يستطيعه من تقلب ألوان الشراب من عذب وملح ومن تلون الطعام من رطب وحمض، قال في البيت السابع عشر:

والشِّـــرْبَ، عَـــذْبًا وَمِلْحًـــا وَالـــزَّادَ؛ رَطْبًـــا وَحَمْضَـــا

"وَ(الشِّرْبُ) بِالْكَسْرِ الْحَظُّ مِنَ الْمَاءِ"(٢). وبهذا جاء التنزيل، قال تعالى ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[الشعراء: ١٥٥]، ولست تجد هذا الاستعمال اليوم.

وقال في البيت التاسع عشر:

كَـــرُّ العَشِـــيَّاتِ أَنْضَـــى طِرْفًـــا، وَطَرْفًـــا أَقَضَّـــا

ومن ذا يستعمل اليوم (كرّ) أو (العشيّات)، أو (أنضى) بمعنى أهزل، و"(الطِّرْفُ) بِالْكَسْرِ الْكَرِيمُ مِنَ الْخَيْلِ"(٣). وتراه استعمل الجناس بين (الطِّرف) و(الطَّرف) وإن كان القضّ إنما يكون للمضجع أو الفراش؛ ولكنا نجد استعمالًا جديدًا؛ إذ يستعير الطرف الذي لا يعرف الغمض لكر العشيات، فكأنه يقُضّ كما يقضّ المضجع، فقضّ المضجع مجيء إلى فتح الطرف، فهو محروم من الغض أو الإغماض، وهذا قضّ له.

---

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٢: ٤٩٠.

(٢) الرازي، مختار الصحاح، ص ١٦٣.

(٣) الرازي، مختار الصحاح، ص ١٨٩.

وقال في البيت الثاني والعشرين:

وَالعُمْـــرُ وَهْـــيُ جِـــدَارٍ   يُرِيْـــــدُ أَن يَنقَضَّـــــا

وفي هذا البيت نرى العمر الذي تقضى كالجدار الذي أتى عليه الدهر، ويستدعي الشاعر في وصف الجدار الواهي التعبير القرآني، قال تعالى ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾[الكهف: ٧٧].

وقال في البيت الخامس والعشرين:

وَقَـــدْكَ أَنَّ العَـــوَادِيَ   مَـا دَنَّسَـتْ لَـكَ عِرْضَـا

يعزي الشاعر نفسه بهذا البيت وأبيات سبقت بأنّ ما أصابه على شدته وقسوته لم ينل من شرفه، ولا تجد اليوم من يستعمل (قدْك) ولكنّا نراه يحييها في هذا البيت، قال ابن يعيش "وكذلك (قَدْكَ)، و(قَطْكَ) كلّه بمعنَى (حسبُ). وقولهم: (حسبُك ينمِ الناسُ) كأنّ إنسانًا قد كان يُكْثِر الكلام ليلًا، ويَصِيح بحيث يُقْلِق من يسمعه، فقيل له ذلك، أي: اكتفِ واقطعْ من هذا الحديث، فإن تفعلْ ينمِ الناس، ولا يَسْهَروا"(١). وحرَص الشاعر على كسر فاء (العِرض) لخبرته خلط الناس في هذه الكلمة المثلثة (عِرْض وعَرْض، وعُرْض) فيعمّمون ما فتحت الفاء منه، وهذا خطأ شائع، والعِرْض بالكسر من دلالاته ما يراد به الآباء والأجداد وما يفتخر به الإنسان من حسب وشرف، ومن دلالات العَرْض

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٤: ٢٧٦.

بالفتح خلاف الطول ومصدر عَرَض، ومن دلالات العُرض بالضم الناحية[١].

وقال في البيت السادس والعشرين:

مَـــن رَّامَ خَفْضًـــا لِعَـــيْشٍ بِذِلّـــــةٍ سِـــــيمَ خَفْضَـــــا

وخفض العيش استعمال تراثي لا تجده مستعملًا في لغة المحدثين، وهو سَعَتُه ورَغَدُه[٢]، ونجد الشاعر ينزع إلى الجناس مرة أخرى حتى يغير ما عرف في التراث؛ فسيم الخسف يستبدل بها سيم الخفض؛ لأن الخفض الملتبس بالذلة في حقيقته خسف لا خفض، وبهذا يخلق لنا مركبًا جديدًا هو سيم الخفض، فالعيش بذلة هو خسف للعيش. و(سِيم) نفسه ليس من استعمالات المحدثين اليوم. قال ابن الأثير "وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ «مَنْ تَرَك الجِهاد أَلْبَسَه اللهُ الذِّلَّة وسِيمَ الْخَسْفَ» الْخَسْفُ: النُّقْصَانُ والهَوانُ. وَأَصْلُهُ أَنْ تُحْبَس الدَّابَّةُ عَلَى غَيْرِ عَلَفٍ، ثُمَّ استُعِير فوُضِع مَوْضِعَ الهَوَان. وسِيمَ: كُلِّفَ وأُلْزِم"[٣].

وقال في البيت السابع والعشرين:

لَا تَسْـــــتَطِيلَنَّ عَهْــــدًا فَـــالنَّظْمُ قَـــارَبَ فَضَّـــا

وفيه دعوة لاستثمار ما بقي من العمر وهو قليل وأيامه كحبات منظومة يوشك خيطها أن ينبت فتتفرق، ونجد (الفضّ) وهو معنى

---

(١) يُنظر: ابن السيد البطليوسي، المثلث، ص٢٧٧.

(٢) مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس، ١٨: ٣١٨.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢: ٣١.

قديم، وفي البيت طباق بين النظم والفضّ، قال الزمخشري "وخرز فض: منتشر. قال ذو الرمة:

كـأن أدمانهـا والشـمس جانحـة

ودعٌ بأرجائهـــا فــضّ ومنظـــوم"(١)

وقال في البيت الثامن والعشرين:

وَانْشُــرْ شِــرَاعَكَ وَانْقُــضْ غَــزْلَ الـمَعَـــابِثِ نَقْضَـــا

وهذا النقض مستفاد من قوله تعالى﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾ [النحل: ٩٢]، وأما (المعابث) فلا تجدها في لغة القدماء ولا المتأخرين إلا نادرًا(٢)، ولكنها مما يتيحه نظام التصريف العربي، فمن العبث يمكن صياغة المصدر الميمي معبث واسم المرة معبثة وجمعها معابث.
وفي البيت التاسع والعشرين يستعمل (الوَدادة)، قال:

وَدَعْ عِتَـــــابَ خَلِيــــلٍ عَـــنِ الـــوَدَادَةِ أَغْضَـــــى

"والوَدادة، والوِدادة بالكسر والفتح أيضًا وأنشد:

ودِدتٌ وَدَادَةً لَـــوْ أنَّ حَظِّـــي

مِـــنَ الخُـــلّان أن لّا تَصْـــرِمِيني"(٣)

---

(١) الزمخشري، أساس البلاغة،٢: ٢٦.
(٢) ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٦: ١٧٠٨، أبو زهرة، زهرة التفاسير، ١: ٣٠، ٤: ١٩٩٤، ٥: ٢٢٤٩، ٢٤٧٧.
(٣) اللَّبْلِيُّ، تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، ص ١٩٩.

ولست تجد هذا الاستعمال في لغة المحدثين.

وقال في البيت العشرين عن هذا الذي أغضى عن الودادة:

مَرْحَبْتَــــــــهُ فَتَــــــــأبَّى   وَأنْغَــضَ الــرَّأسَ نَغْضَــا

ولا نجد في التراث الفعل (مَرْحَبَ)، غير أن المعجم الوسيط أثبته ولا أعلم مصدره في ذلك "مَرْحَبَ فلَانًا قَالَ لَهُ مرْحَبًا أتيت سَعَة، وَيُقَال مرحبَه اللهُ أنزلهُ فِي سَعَة"(١). وأما الإنغاض فمستفاد من استعمال القرآن، قال تعالى ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ [الإسراء: ٥١]، وتجده استعمل المصدر (نغضًا) لتأكيد الفعل المزيد (أنغض) والقياس (إنغاضًا)؛ ولكن صنيعه طريقة عربية صحيحة متبعة، ومثاله من القرآن قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح: ١٧]، فلم يقل إنباتًا.

وقال في البيت الحادي والعشرين:

وَرِدْ ظَمِيئًــــــا فَتَــــــرْوَى   مِــنْ كَـوْثَرِ العِشْـقِ حَوْضَـا

وأكثر ما يستعمل الماضي (ورد) والمضارع (يرد)؛ ولكنه يستعمل أيضًا الأمر منه (رِدْ)، والوصف الشائع من الظمأ هو (ظمآن)، وهو يأتي بالوصف على بناء (فَعِيل) للمبالغة، ولعله استمده من "فَأَرْوَى الظَّمِيئَةَ وَضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ"(٢). وأما (كوثر) فجاء في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، "وَقد روى ابْن عمر وَأنس بن مَالك عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: (الكَوْثرُ: نهرٌ فِي الجنةِ أَشدُّ بَيَاضًا من

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ٢: ٨٦١.

(٢) البيهقي، معرفة السنن والآثار، ١: ١٩٥.

اللبَن وأَحْلَى من العسلِ على حافتيْهِ قِبابُ الدُّرِّ المجوَّفِ) والكوثرُ فوعلٌ من الكثرةِ، ومعناهُ الخَيرُ الكثير"[1].

وقال في البيتين الثاني والعشرين والثالث والعشرين:

هَـــذَا العَـــرَارُ وَنَجْـــدٌ   أَنْعِـمْ بِنَجْـدِكَ رَوْضَـا

لَـــكَ الشَّـــمِيمُ، وَلَكِـــنْ   حُكْـمُ الصَّرِيمَةِ أَمْضَـى

وهو بهذا يستدعي البيت المشهور:

تمتّع من شميم عرار نجد   فَمَا بعد العشية من عرار[2]

وأما الصريمة فمن دلالاتها "الْأَرْضُ الْمَحْصُودُ زَرْعُهَا"[3]، ولكن ما يفهم من سياق البيت أن العرار وإن أمتع بعرفه سيتصوح ويصرمه ما يصرم النبات، وهذه أيام العمر كالعرار الفواح الذي يأتي عليه يوم فيُصرم، هو يستحيي لنا من دلالاتها ما جاء في مقاييس اللغة وهو الأمر الذي لا رادّ له فهو مبرم مقطوع مصروم؛ "لِأَنَّهُ يَصْرِمُهُ صَرِيمَةً وَيَعْزِمُهُ عَزِيمَةً. وَمِنْ هَذَا قَوْلُكَ: أَجِدَّكَ تَفْعَلُ كَذَا؟ أَيْ أَجَدًّا مِنْكَ، أَصَرِيمَةً مِنْكَ، أَعَزِيمَةً مِنْكَ"[4].

وقال في البيت الرابع والعشرين:

آنَسْـتَ فِـي الطّـورِ نَـارًا   وَسَـارِيَ البَـرْقِ وَمْضَـا

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، ١٠: ١٠٢.

(٢) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ١٢٤٠.

(٣) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ٣: ٣٤٥.

(٤) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ١: ٤٠٧.

وبهذا تذكير برحيل موسى من مدين بأهله بعد انقضاء الأجل حين آنس من جانب الطور نارًا، قال تعالى﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ﴾ [القصص: ٢٩]، "والطُّور: جبل مَعْرُوف، قَالَ قوم: هُوَ اسْم لجبل بِعَيْنِه، وَقَالَ آخَرُونَ: بل كل جبل طُور بالسُّرْيَانيَّة كَذَلِك"(١).

وقال في البيت السادس والعشرين:

أَذِنْــــتُ حِـــينَ التَّنَـــادِي　　رَضًّــــا وُقِيــــتَ وَرَمْضَــــا

والإذن في لغة المحدثين السماح، ولكن من معانيها التراثية التي يجتلبها الشاعر الاستماع، قال الأزهري "يُقَال: أَذِنْتُ للشّيء آذَنُ لَهُ، إِذا اسْتَمَعْتَ لَه"(٢)، وقد يكون العلم "يُقال: قد آذَنْتُه بِكَذَا وَكَذَا، أُوذِنه إيذَانًا، إِذا أَعْلَمْته؛ وَقد أَذِنَ بِهِ يَأْذَن، إِذا عَلِم"(٣). وأما (التنادي) فيستدعي للذهن قوله تعالى﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣]، "«ويوم التنادي» معناه: يَوْمَ يُنَادِي قَومٌ قَوْمًا، ويناديهمُ الآخرُونَ"(٤). وفي الدعاء وردت كلمتا (رضّ) و(رمض)، و"الرَّضُّ دَقُّكَ الشيءَ"(٥). و"الرَّمَضُ: حَرُّ الحِجارة من شِدَّةِ حَرِّ الشمس"(٦). وأما المسموع من التنادي فجاء في قوله في البيت السابع والعشرين:

أَسْــــلِمْ، وَسَــــالِمْ وسَــــلِّمْ　　وَاهْتِــــكْ حِجَابَــــكَ أَيْضَــــا

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة، ٢: ٧٦١.
(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، ١٥: ١٥.
(٣) الأزهري، تهذيب اللغة، ١٥: ١٥.
(٤) الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ٥: ١١٤.
(٥) الخليل، العين، ٧: ٨.
(٦) الخليل، العين، ٧: ٣٩.

والفعل سلم يأتي بكل إمكانات زيادته بحرف استغراقًا لطلب السلامة بل اقتضى الأمر هتك الحجاب. ولكن الشاعر لا يستجيب لما سمع بل يحافظ على عهده، فيقول في البيت الثامن والعشرين:

فَيَـــا، قَـــدِيمَ عُهُـــودِي لَا أَنْقُضَـــنَّكِ عَوْضَـــا

وفي هذا البيت نجد (عوض) التي لا تكاد تجدها سوى في كتب النحو، جاء في (الكافية في علم النحو) "و(قط) للماضي المنفيّ، و(عوض) للمستقبل المنفيّ"(١). قال الجوهري "وعَوْضُ معناه الأبدُ، يضم ويفتح بغير تنوين، وهو للمستقبل من الزمان، كما أنَّ قَطُّ للماضي من الزمان، لأنك تقول عَوْضُ لا أفارقك تريد لا أفارقك أبدًا، كما تقول في الماضي: قَطُّ ما فارقتك. ولا يجوز أن تقول عَوْضُ ما فارقتك كما لا يجوز أن تقول قط ما أفارقك"(٢). وأما فتح الضاد فهو أفصح، قال شيخ زاده "عَوْض بفتح أوّله، وقد يروى بالضمّ وتثليث آخره بالحركات الثلاث، لكن الفتح أفصح لأنّه في الأصل منصوب على الظرفية، فيبقى بعد ذهاب الإعراب على صورة ما كان عليه، وأمّا الكسر فَلِجَرْيِهِ على أصل التقاء الساكنين، ووجه الضمِّ أنّه محمول على (قبلُ). وهو ظرفٌ لاستغراق ما يستقبل من الزمان"(٣).

وأما غيره فقال عنهم في البيت التاسع والعشرين:

وَيَــا كُـــؤُوسَ شُهُـــودِي بُورِكْـتِ مَحْضًـا وَمَخْضَـا

(١) ابن الحاجب، الكافية في علم النحو، ص ٣٧.

(٢) الجوهري، الصحاح، ٣: ١٠٩٣.

(٣) شيخ زاده، شرح قواعد الإعراب، ١: ٨٣.

و"الـمَحْضُ: اللَّبَنُ الخالصُ بلا رَغوة. وكلُّ شيءٍ خَلَصَ حتّى لا يشُوبُه شَيءٌ فهو مَحْضٌ"(١). و"الـمَخِيضُ: ما قد أخذ زبده، والـمَخْضُ: تحريكك المِخْضَ"(٢).

وفي البيت الثلاثين والحادي والثلاثين يبين أنه ترك كل المغريات المخلة بالمروءة المدنسة للعِرض فأمكنه أن يقول بكل وضوح وأن يكشف المستور بأن الوارد لها سيعطى الهبات فيرضى بها:

خَلّـــى، فَلَمَّـــا تَجَلّـــى فَـــضَّ الخِتَـــامَ وَأَفْضَـــى
يَـــا وَاردًا! سَـــوْفَ تُعْطَـــى مِـــنَ الْهِبَـــاتِ فَتَرْضَـــى

هكذا رأينا حضور التراث في هذه القصيدة الرائعة، والتراث حاضر في كل أعمال أستاذنا فهو قد زويت له على نحو مدهش ثقافة التراث ومعارف العصر فصدر عنهما من غير تدافع بل بانسجام معجز.

***

المصادر والمراجع:

ابن الأثير؛ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري:
النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية - بيروت، ١٩٧٩م).

(١) الخليل، العين،٣: ١١١.
(٢) الخليل، العين،٤: ١٨٠.

أحمد بن فارس؛ أحمد بن فارس أبو الحسين بن زكرياء القزويني الرازي:
معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
الأزهري؛ أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي:
تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
البخاري؛ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي:
الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
البطليوسي؛ ابن السيد:
المثلث، تحقيق: صلاح مهدي الفرطوسي دار الرشيد- بغداد، ١٩٨١م)
البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني:
معرفة السنن والآثار، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي الطبعة: الأولى، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، ١٩٩١م.
الثعالبي؛ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف:

الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي:
البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
الجوهري؛ أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي:
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٩٨٧م
ابن الحاجب؛ جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي:
الكافية في علم النحو، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م.
الخطيب؛ عبد الكريم يونس:
التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة. الطبعة: الأولى، ١٩٧٠م.
الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري:
كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م.
ابن دريد؛ أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي:
جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

الرازي؛ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي:
مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٩م.
رضا؛ أحمد:
معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٩٥٨م.-١٩٦٠م.
الزمخشري؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد:
أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
أبو زهرة؛ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد:
زهرة التفاسير، دار الفكر العربي-القاهرة، ١٩٨٧م.
ابن سيده؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي:
المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.
ابن سيده؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي،
المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.
شيخ زاده؛ محمد بن مصطفى القُوجَوي:
شرح قواعد الإعراب، دراسة وتحقيق: إسماعيل إسماعيل مروة، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٩٩٥م.
الفارابي؛ أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين:

معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
الفيومي؛ أبو العباس أحمد بن محمد بن علي:
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت.
اللَّبْلِيُّ؛ أَبُو جَعْفَر شهاب الدين أحْمَد بن يُوسُف بن على بن يُوسُف الفهري المقري اللغوي المالكي:
تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، تحقيق: عبد الملك بن عيضة الثبيتي، رسالة دكتوراه، أم القرى- مكة المكرمة، ١٩٩٧م.
أبو ماضي؛ إيليا:
ديوان إيليا أبو ماضي، دار العودة-بيروت.
مرتضى الزَّبيدي؛ أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني:
تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار):
المعجم الوسيط، دار الدعوة.
المرزوقي؛ أبو على أحمد بن محمد بن الحسن:
شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين، وعبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
الميداني؛ أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري:

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان.
النابغة الذبياني:
ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر-القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
ابن يعيش؛ أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي:
شرح المفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(المنامة)"تؤامة" و(دخان) "بُلبول"

أ.د. فضل بن عمّار العمّاري

الملخص

ما "توأم" و"بلبول" إلا موضعان قيل فيهما ما قيل في أمثالهما؛ لأن تحديد المواضع عامة قديمًا وحديثًا اعتمد على الشعر، وفي الشعر تشابه كثير ومشترك ليس بالقليل. وهنا نرى كلا الموضعين -أو أحدهما- يتنقلان من نجد إلى الإحساء وإلى شمال ساحل العربي.ويبرز "توأم" أو "تؤام" أكثر تنقلًا، فيتجاوز هذه الأنحاء إلى "عُمان". وكان ربط الموضع بمغاصات اللؤلؤ دافعًا إلى استبعاد أي موضع سوى البحرين "أوال"، وهم أنفسهم ذكروا ذلك. ومن ثم، كان في هذا حل الأشكال في التحديد والنسبة، فـ"بلبول": هو جبل (دُخان) في البحرين، و"تؤام" -والنسبة إليه "تؤامي"-: هي (المنامة) بعد تأنيث الاسم "تؤام"، وتبدّلها إلى (منامة)؛ لأنه لا يوجد مغاصات اللؤلؤ إلا هنالك.

شكّل قول المخبل السعدي:

غَشِـيتُ لِلَيلـى دِمْنَـةً لـم تُكَلِّـم

بِبُلْبُـولَ فـالأجْزاعِ أجْـزاعِ تَـوْأَمِ[(١)]

مشـــكلة في التحديد، وراح يتنقل تحديد الموضـــعين: ("توءم" و"بلبول") فيه إلى عدة اتجاهات، هي:

<u>المملكة العربية السعودية</u>

<u>جهة سدير</u>

<u>"توءم"</u>

قال ياقوت: "تَوَم موضـع باليمامة، به روضــة"[(٢)]. كما قال: "تُؤام: موضـع باليمامة"[(٣)]. وقال ابن خميس: "تَوْم: الآن: التُّوَيم"[(٤)].

وقال أيضًا:

---

(١) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: عبدالله بن يوسف الغنيم وعبدالعزيز بن ناصر المانع، جامعة الملك سعود، كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، ومركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠هـ، ١: ٣١٥.

(٢) شـــهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٢: ٦٠.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ٢: ٥٤.

(٤) عبد الله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، مطبعة الفرزدق، الرياض، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١: ٥١٦.

"تقع التُّوَيم في وادي المياه، من سـدير، تحت جلاجل، وفوق عشـيرة جنوبًا عن المجمعة... بحوالي ٢٥ كم"(١). وهو الذي يذكره الهمداني، وما هو إلا تصحيف: "تريم: من ديار تميم"(٢). وهو كذلك، الذي ذكره الأصفهاني: "تُوَمُ: لبني حِمّان، من سعد"(٣)، وكذلك، هو الذي جاء به اللسان، وهو مصحف بالثاء:"ثَـرَم: اسم ثنيّة تقابل موضعًا يقال له: الوشم"(٤).

وهو الذي رسـمه البكري بروايتين: واحدة بضـم التاء، والأخرى بفتحها(٥)؛ وذكره ياقوت هنا: "توم". كما قال: "التُّـؤام: جمع تَوأم"(٦).

وفي هذه يقول أحدهم، وجاء بها، " ترم":

والوشم قد خرجت منه وقابلها

من الثنايا التي لم أقلها تَـرَم(٧)

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٤. وانظر، حاشية، الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي (الرياض: دار اليمامة، ط١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ص ٢٦٢.

(٢) الحسن بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع (الرياض: داغر اليمامة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص ٢٣٩.

(٣) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٢٦٢.

(٤) أبو الفضل، جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور، لسـان العرب (بيروت: دار صادر، د – ت) "ثرم".

(٥) أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، "تؤام"، ١: ٣٢٣.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، "تؤام".

(٧) المصدر نفسه.

وقال الآخر:

يا وقعة بين الرياض من تَوَم[1]

ولا شك أن "(ترم) "في قول الحطيئة إنما هو "توءم" خفّفه الحطيئة، وسهل الهمزة، فجاء: "ترْم":

وأنـت امـرؤ مـن (تَـرْم) تَهـدِم صَـفاتَه

ويَرمـي فـلا يهـدم صَـفاتَك مُرتَـدي[2]

على أن الحطيئة هو القائل في (التويم)، وهذه ليست من ديـاره، وإنمـا لـه علاقـة طفولـة أُولى بهـا فقط، من جهـة أمـه، وولادته هنالك، ثم بقاؤه زمنًا قصيرًا بها:

عفـا تـوءم مـن أهلـه فجُلاجلـه

فـرُدَّت علـى الحـيّ الجميـع جَمائلـه[3]

جهة سدير

"بُلبول"

حدده الهمداني:_"الوشم....بُلبول"[4]. وحدده ياقوت بقوله:

---

(1) ابن منظور، اللسان، "ثرم".

(2) جرول بن أوس الحطيئة، ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان أمين طه (القاهرة: مط مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) ص ١٦٤.

(3) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

(4) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣١٠.

"بُلبول: جبل (بالوشـــم)، من أرض اليمامة...فيه روضـــه...جبل باليمامة"[1].

وفي قول الهمداني تجاوز في التوصـــيف إذ ينســـبه إلى "الوشـــم"، وليس بـه؛ وفي قول يـاقوت تـداخـل بين "الوشـــم" واليمامة، وإن كان اســـم اليمامة أعمّ وأشـــمل، أما "الوشـــم" فأخصّ وأوضح.

لهذا عرّفـه ابن خميس بـأنـه: "جبـل فـارد شـــاخص في صـــحراء الملتهبـة، شـــمال بطن العتك الأعلى... تابع لمنطقة سدير"[2].

وفيه قال عمارة بن عقيل:

سـقى اللـــه بلبـــولًا وجرعـــاءه
أقـام بهـا ابنِـي مَصـــيفًـا ومَربعا[3]

ولكن الجاسر يقول، محاولًا تفسير قول عمارة ذاك الذي أورده الهمداني فقال: "الهمداني صـــريح بأنه في الوشـــم، وتلك بلاد عمارة على ما قال ابن أبي حفصة في هجائه:

وابـــن المُراغـــة حـــابس أعيـــاره   بالوشـم منزلـةِ الـذليل الصـاغر

ولكن لا يُعرف الآن في الوشم جبل بهذا الاسم. وقد يكون

---

(1) ياقوت، معجم ما استعجم، "بلبول".

(2) ابن خميس، معجم اليمـامـة، ج١، ص ٣٥. وانظر، يـاقوت، معجم البلـدان، "(روضـــــة) بلبـــــول"، "المجزل". وانظر، حمد الجاسر، المنطقة الشرقية (الرياض: دار اليمامة، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ج١، ص ص٢٤٢ـ٢٤٣.

(3) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣١٠.

مسمى الوشم- قديمًا يمتدّ إلى جبل بلبول الواقع شرق الفقء (سدير) أو أن بعض المتقدمين خلط بين الموضعين ويحدث هذا عند تحديد المواضع كثيرًا"[1].

وبلاد عِمارة، وبلاد جدّه جرير، حقيقة هي "الوشم"، ولكن ابن عِمارة توفي في "بلبول" في (سدير). وإنما كان القدماء يخلطون حقيقة بين "الوشم" وما والاها من الشمال كـ"بلبول" هنا.

وفيه قال جرير:

تيمية قمشى قالت لنسوتها

ياليت للتَّيم أيرًا مثل بلبول[2]

وقال الراجز:

يا طالَ ما عارضها بلبولُ

وهي تزول وهو ما يزول[3]

وفيه قال النميري، والرواية الصحيحة، "سَورتي":

---

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج١، ٢٤٣. وانظر، محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ط٢،١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ج٤، ص٨٧.

(2) جرير بن عطية بن الخطفى، ديوان جرير، تحقيق: محمد إسماعيل الصاوي (بيروت: دار مكتبة الحياة، د – ت) ص٤١٧.

(3) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس (القاهرة: مطبعة الخيرية، ط١، ١٣٠٦هـ) "بلل".

لـو رأتنــي غاديـا فــي (صُـورتـي)

بــين بلبــول فحــزم المنتقــل[1]

وقال الآخر:

كـــأن بقايـــاهم صـــبيحةَ غـــيِّهم

بروضــة بلبــول نعــام مشــرَّد[2]

ولا داعي لطرح أكثر من احتمال، كما فعل الجاسر في توجيه قول النميري وهذا القول الأخير[3]، فالشاعران يتحدثان عن غزو، وهذا الموضع "بلبول" هو الموضع الذي تتوجه هاتان الغزوتان إليه، ولاسيما أنه موصوف "فيه روضة"، فهذا خاصٌّ به، وليس بسواه، وهو كذلك محدّد ذلك التحديد الذي لا يخرجه عن اليمامة.

عُمان

"تؤام"

على ساحل الخليج العربي

قال البكري: "توأم: قصبة عمان...ما يلي عمان من البحر، يسمى: توأمًا، وما يلي منها البر يسمي: صحارًا"[4].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، "بلبول".

(2) المصدر نفسه، "(روضة) بلبول". وهو في: رودولف غاير، الصبح المنير (بيانه: مطبعة آدولف هولزهوسن، ١٩٢٧م) ص٢٦٦، لأعشى باهلة.

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج١، ص٢٤٣.

(4) البكري، معجم ما استعجم، "تؤام". وانظر، ياقوت، معجم البلدان، "صحار"؛ ابن

وقال ياقوت:"تُؤام: اسم قصبة عُمان مما يلي الساحل، وصُحار قصبتها مما يلي الجبل، يُنسب إليها الدرّ... قرية بعمان"[1].

ووضّح القاموس المحيط بُعدها نوعًا ما عن "صحار"، فقال:"تُؤام: واد، على عشرين فرسخًا من قصبة عُمَان"[2].

إذن، هناك جهة تحمل الاسم نفسه بعُمان، وبها "تؤام/ "توءم". على أن نضع في الاعتبار أن هذه الجهة من عُمَان لا تصلح لاستخراج اللؤلؤ. ومن هنا قال ياقوت: "عُمَان لا لؤلؤ بها "[3].

وهذا الذي في "عُمَان"، على الساحل، هو الذي جاء في قول جرير:

وعبد القيس قد رجعوا خزايا
وأهل عُمان قد لاقوا غراما
مشوا من واسط حتى تناهت
فلولهم وقد وردوا تُؤاما

منظور، اللسان، "صحر".

(1) ياقوت، معجم البلدان، "تُؤام".

(2) مجدالدين، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (القاهرة: مط مصطفى الحلبي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) "التؤأم".

(3) ياقوت، معجم البلدان"، "تؤام".

وهذه هي "تؤام" بـــ "عُمان"، أي: في جهة "صحار"، "مما يلي الساحل" ، جاء في الديوان:

"تؤام: ماء لبني سامة بعُمان"[١].

أو هي "واد"، كما قال القاموس المحيط. و"الجبل" المذكور ، فيما يخصّ "صـــحار"، في قول ياقوت السابق: "صُـــحار قصـــبتها مما يلي الجبل" يعني به (حجر الغربي) بعُمَان. وعلى الرغم من قول ياقوت أيضًا:

" يُنسب إليها الدّرّ"،

فهو قد أوضح أن هذه نسبة، وأن:

"عُمَان لا لؤلؤ بها".

بل صـــرّح، كما ســنرى، بأن هذا غلط، وأن: "الذي بالبحرين...هو الذي يُنسب إليه اللؤلؤ".

الإمارات العربية المتحدة

تؤام"

قال ياقوت: "حبرير: جبل من ناحية (البحرين)، بتُؤام"[٢].

ويقول الجاسـر: "يظهر أن هذا الجبل في جهات بلاد (أبوظبي) المعروفة قديمًا باسم (تؤام)" [٣].

---

(١) ابن عطية، ديوان جرير،ج٢، ص٧٨٠.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، "حبرير".

(٣) الجاسر، المنطقة الشرقية،ج٢، ص٤٧١.

وليســـت جبـال "حِفيت" التي تحفّ بـالبريمي من الغرب والجنوب هي "حبرير" قديمًـا، كمـا يقول الجـاســـر: "أمـا تؤام البحرين فتعرف الآن باســـم البريمي، واحة فيها مدينة العين في إمارة (أبوظبي) ويَلُبّ بتلك الواحة من الغرب والجنوب سلسلة جبال تُدعى الآن (حقّيت)، وأرى هذه الجبال هي ما يُعرف قديمًا باسم حِبرير"[1].

ثم قوله أيضًـــا: "أما تؤام البحرين، فتعرف الآن باســـم: الُبَريمي، واحة فيها مدينة العين، في إمارة أبوظبي"[2].

فـــ (البريمي) أصلًا ليست من بلاد البحرين، وإنما هي حَدّ بين منطقة البحرين وعُمَان، وهي أرض داخلية برية زراعية، بعيدة عن الســـاحل، فلا هي تصـــلح لتجارة اللؤلؤ، ولا لاســـتخراجه. ولقد عرفنا "تؤام" جهة "صُـــحار"، وهنالك يذكرون "الجبل": "تُؤام: اســـم قصـــبة عُمان مما يلي الســـاحل، وصُـحار قصـبتها مما يلي الجبل"، فــــ"الجبل" في هذا القول خاصة هو (حجر الغربي) بعُمَان.

<u>المملكة العربية السعودية – المنطقة الشرقية</u>

<u>شِقّ البحرين</u>

<u>"بُلبول"</u>

(1) محمد بن موسى الحازمي، الأماكن، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، ١٤١٥هـ) ج١، حاشية ص ص٢١٢–٢١٣.

(2) المصدر نفسه، حاشية، ص٤١٢. وانظر، المنطقة الشرقية، ج١، ص ص٢٢٨–٢٢٩؛ ج٢، ص٤٧١.

يقول البكري: "بُلْبُول: موضع من شِقّ البحرين"[١]. أي:

(١) شمال منطقة الجبيل:

يقول الجاسر، أخذًا بقول البكري: "بلبول: موضع بالبحرين (المنطقة الشرقية) لا يزال معروفا، يقع شمال منطقة الجبيل، بينها وبين رأس المشعاب، والاسم يطلق الآن على منطقة فيها رأس من البر داخل في البحري يدعى: دوحة بلبول.. وكان للبلبول هذا- أزمان الغوص على اللؤلؤ- شأن، بحيث كانت تقام فيه سوق، وكان منتجعًا للبادية، ويقع جبل مُنيفة على جانبه الشرقي الجنوبي... إن بلبول هذا هو الوارد في شعر المخبل السعدي ؛ لأنه يقع في بلاد بني سعد، في منطقة السودة، على ساحل البحر، بمقابلة جزيرة (أبوعلي) وله خور واسع، غزير الماء؛ ولهذا كانت سفن الغوص الكبيرة ترسو فيه، وبقربه مياه يردها الناس، ولكنها ليست عذبة"[٢].

وليكن هذا صوابًا- وهو غير صائب – فأين "توءم "؟ ذلك أن الجاسر لا يجد "توءم " في هذه المنطقة أبدًا، بل بعيدًا جدًّا، فهو يراها: "البريمي"، فكيف يجتمع هذا في الأطلال؟ والبكري وياقوت متفقان على أن "توءم": بالبحرين (القديمة)، وهو: "مغاص للؤلؤ" ومغاصات اللؤلؤ تتركز في جهات البحرين (الحديثة) وشمالي قطر، في وسط البحر، بعيدًا عن الساحل، وليس سواحل الجبيل ومشعاب. أما السوق التجارية، وشهرة الموضع – إن كان صحيحًا- فلا يعنيان كونه مغاصًا.

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، "بلبول".

(٢) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج١، ص ٢٤١.

إضافة إلى أن أطلال المخبل لم تتجاوز شرق الدهناء.

ثم إن الجاسـر، يورد خبرًا يقول: "الباشـا لما رجع من الأحسـاء، بعد عجزه عن الاسـتيلاء على (الكوت)، أقام في بلبول، وإن بعض أهل الأحساء هربوا إلى جزيرة بلبول"(١).

ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يهرب أهل الأحسـاء إلى "بلبول"– الذي ليس جزيرة –من وجه قائد قادم من الكويت، وهم – بحسـب الخبر – هربوا إلى جزيرة في البحر، أي: إن "بلبول " قريب جدًّا من الأحساء، في جهة قريبة من البحر، أي: جهة العقير.

أضافة إلى أن شمال (الجبيل) ليس من مغاصات اللؤلؤ.

(٢) غرب الأحساء:

وإذا كان"شِقّ البحرين" يعنيِ كذلك، غرب الأحساء، فيما يصـالي (جودة)، فإنه يصـح أن يكون "تَوءم "/ "توم"، وكذلك "بلبول "هناك، فيما يخص قول المخبل، فهذه دياره، وكما قال البكري: "بلبول: موضع من شِقّ البحرين، قال المخبل أولًا:

غشـيت لليلـى دمنـه لـم تكلـم

ببلبـول فـالأجراع أجـراع تـوءم

وقد زال هذان الاسـمان من الوجود. والدليل على وجود "تؤام"، قول القائل:

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٤٢.

يجتني ثامـــــــــر جُدّاده

بـين فُـرادى تَـرْم أو تـؤام[1]

و"الجُدّاد": صـغار الطلْح، وأرض غرب الأحسـاء ملائمة لنبات "الطلح"، فـــ "ترم" و "تؤام": موضعان فيها، هو هنا – كما يبدو – يصف ثورًا وحشيًا، والثور الوحشي لا يتنقل بالقرب من الســاحل، وإنما بعيدًا في الصــحراء والرمال أي: شـــرق الدهناء. فإذا ما عرفنا موقع "تؤام" في شـعر المخبل، بدا لنا أن "بلبول" لا يعدو كونه منبسـطًا رمليًّا حِذاء "تؤام"، وليس جبلًا، أي: غرب الأحســاء، في منطقة (جودة) ورمالها، أي: شـــرق "الدهناء". ومن المحتمل أن الشاعر استبدل "بلبول" بـــ"ترم" لإقامة الوزن، ويســاعد على الأخذ بهذا الرأي وصـف المنطقة بـأنهـا كثبـان رمليـة في قول الشـــاعر "الأجراع"، ولو كـان المقصـــود جهات (ســدير)، لقال "الأجزاع"، أي: منعطفات الأودية.

(٣) شمال شرق الأحساء

يذكر ابن بليهد أن موقع "بلبول" من "البحرين": في شمال شـرق الأحسـاء: "باق بهذا الاسـم: ماء قريب العقير... يقال له: بلبول"[2].

وهـذا هو الأقرب إلى الصـــواب، وهـذا بعض "شِـــقّ" البحرين" أيضًا، إلا أن هذا ليس من ديار المخبل.

---

(١) ياقوت، معجم البلدان،"جُدّاد".

(٢) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج٤، ص٨٧.

وبعد، فإن تعبير "شِقّ البحرين" لو أنه لا يعني إلا (السودة) فقط، لما صَحّ أن يكون "توءم/ توم": "مغاص اللؤلؤ"، ثم يكون (البريمي)، كما رأى الجاسر.

ولكن أين هو "توءم" وقد عرفنا "بلبول" بـ"شِق البحرين"؟؟

مملكة البحرين

"توءم"

يقول الهمداني:"البحرين: مدينتها العظمى هجر... وأوال: جزيرة..."[١].

يقول البكري: "توأم:... وقيل: توءم... موضع بالبحرين، وهو مغاص للؤلؤ...وبتوأم مغاص للؤلؤ"[٢].

يقول ياقوت: "تَرْم: اسم قديم لمدينة أوال، بالبحرين"[٣].

فـ"توءم" أو"تؤام" التي حددوها "بالبحرين"، ووصفوها بأنها "مغاص للؤلؤ"، أو بها "مغاص للؤلؤ" لا ريب أنها "أوال"، على عموم النسبة، أو هي كما قال البكري: "موضع بالبحرين، وهو مغاص للؤلؤ"، قريب منها، فهي ميناء. وهذا يشكل شِقًّا من "البحرين"، ألم يقل ياقوت: "أُوال:...بناحية

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ص٢٧٩ـ٢٨٠.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، "توأم".

(٣) ياقوت، معجم البلدان، "أوال".

البحرين"[1].

فـ"أوال" تأتي في "شِقّ البحرين"، وهي بعض منها، وهي التي كان ينسب لها، فيقال: "تؤامية".

كالتؤاميـــــــة إن باشـــــــــرتها

قـرّت العـين وطـاب المضــــطجع[2]

وقد لحظنـا أن "ترم" يـأتي ضـــمن الأســماء المتاحـة لهذين الاسـمين ومنها "توءم"، يقول ياقوت، وهو بصـدد الحديث عن "توءم" بعُمَان، بما يدلّ دلالة قاطعة على أن مغاصات اللؤلؤ في (البحرين الحـديثـة) وهـذه شـــهرتهـا منـذ القـدم بـه: "الـذي بالبحرين...هو الذي يُنسب إليه اللؤلؤ"[3].

و"البحرين" في عرف ياقوت– والقدماء حتى القرن الثامن الهجري– هي البحرين القديمة التي تشـتت الأقوال في نسـبة الموضـعين "توءم" و"بلبول" بها، بينما بيَّنت النسبة أن "أوال" أولى بها؛ وطبيعي أن أيَّ موضـع سـوى "أوال" لا تنطبق عليه الشـروط السـابقة، إذ لابد أن يكون في جهة من البحرين تصـلح مغاصـًا، ومن ثم، فلا شـمال غرب الأحسـاء صـالح لذلك، ولا نواحي الجبيل تصـلح أيضـًا– ولم يُذكر بها "توءم" كذلك– وهم حين يتحـدّثون عن "أوال" يجمعون– وهـذا أمر طبيعي؛ لأن "أوال" جغرافيًّا جزء لا يتجزأ من السـاحل الشـرقي للجزيرة

---

(1) المصدر نفسه.

(2) البكري، معجم ما استعجم، "تؤام".

(3) ياقوت، معجم البلدان، "تؤام".

العربية، وهي سياسيًّا واجتماعيًّا ترتبط بوشائج لا تنفك أبدًا– ولذا، كان التعبير دائمًا، حسبما نقل ياقوت: "أوال، بالبحرين".

والنسبة "التؤامية" واضحة الدلالة على أن المعنيَّ بها "تؤام" "بالبحرين"، و"أوال" هو "شقّ البحرين" كذلك.

وهكذا، اتضح لدينا أن "بلبول" هو الذي ذكره ابن بليهد، وفي مقابله "تؤام"، أي: بـ"أوال".

فإذن، هم حين يتحدثون عن "تؤام" "بالبحرين"، إنما يضمون "أوال" إليها. وهذا يستبعد كليًّا كون أيّ جزء من عُمَان أو (البريمي) من "البحرين"، بل هم حققوا– من جهة أخرى– كون "تؤام" "بعمان".

وإذا علمنا أن (المنامة) بـ"أوال"، بدا لنا أن هذا الاسم لم يأت- كما هو شائع- من كونه اسم مكان للنوم، بل هو "تؤامة"- مغاص اللؤلؤ- الذي تبدّل وتغيّرفأصبح (المنامة)، كما تدلّ عليه النسبة "تؤاميّة" بتأنيث "تؤام".

<u>"حبرير"</u>

عرفنا قولهم: "تَرْم: اسم قديم لمدينة أوال".

وتيقنا – وفق كل المعطيات التاريخية– أنها أيضا "تؤام"، ولكن ياقوتًا يقول: "حِبرير: جبل، من ناحية البحرين، بتؤام"، وسبق أن رأيناه يقول: "أوال:... بناحية البحرين".

فإذن، يجمع التحديد الجغرافي "بناحية البحرين" بين "ترم"– أو "تؤام"– و"حبرير"، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الجبل "بتؤام". واسم "ترم"– "تؤام": "ترم: اسم قديم لمدينة أوال"، وهذا يعني أن الجبل هو جبل "الدخان"

المعروف في "أوال": جزيرة المنامة الآن.

أما قول الجاسر السابق: "أما تؤام البحرين فتعرف الآن باسم البريمي...ويلب بتلك الواحة من الغرب والجنوب سلسلة جبال تُدعى الآن (حِقّيت)، وأرى هذه الجبال هي ما يُعرف قديمًا باسم حبرير"، فقد وضح أن (البريمي) لم توضع في الحسبان، وإنما الحديث عندهم ينصبّ على "صحار" بعُمَان، ومنطقة البحرين، وحيث يكون اللؤلؤ مصدر تجارة واستخراج. وبهذا خرجت "عمان" أن تكون هي أيضًا المعنية بمغاص اللؤلؤ، والدلائل كلها تشير إلى أنها "أوال".

غير أن ياقوتًا يقول: "تؤام: موضع باليمامة، يشترك فيه عبدالقيس، والأزد، وبنو حنيفة "[١].

وهنا خلط بين المجموعات القبلية، كما هو خلط في الأماكن، بغض الطرف عن اختلاف الرسم، فالذي فيه الأحساء، أي: في الشمال الغربي منها، هو: "تؤام"، وكانت عبدالقيس مع بداية الإسلام قد نزحت إلى الأحساء والقطيف، إي: إلى الحاضرة. ولم يعد للأزد ثمة ذكر بها، فديار الأزد "عُمَان"، وحنيفة لم تكن لا بشرقي الجزيرة، ولا بعُمَان، ومنازلها اليمامة، بل إن الجاسر يقول: "الذي في اليمامة ليس من منازل القبائل التي ذكر، بل من منازل تميم"[٢]. أما "تؤام" بـ"أوال"، فإن عبدالقيس لم تدخلها إلا بعد الإسلام. وإنما وَجد العلماء ذكر هذه المواضع، فنسبوا القبائل إليها.

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، "تؤام".

(٢) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج١، ص٢٩٤.

المصادر والمراجع

الأصـــفهاني، الحســـن بن عبد الله، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي (الرياض: دار اليمامة، ط١، ١٣٨٨هـــ/ ١٩٦٨م).

البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما اســتعجم، معجم ما اسـتعجم من أسـماء البلاد والمواضـع، تحقيق: عبدالله بن يوســف الغنيم وعبدالعزيز بن ناصـــر المانع، جامعة الملك سعود، كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها ، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠هـ.

ابن بليهد، محمد بن عبد الله، صـــحيح الأخبار(القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ط٢،١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

الجاســـر، حمد، المنطقة الشـــرقية (الرياض: دار اليمامة، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

جرير، ابن عطية بن الخطفى، ديوان جـــــرير، تحقيق: محمد إسماعيل الصاوي (بيروت: دار مكتبة الحياة، د – ت).

الحـازمي، محمد بن موســـى، الأمـاكن، تحقيق: حمد الجاســـر (الرياض: دار اليمامة، ١٤١٥هـ).

الحطيئـة، جرول بن أوس، ديوان الحطيئـة، تحقيق: نعمـان أمين طـه (القـاهرة: مط مصـــطفى البـابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م).

ابن خميس، عبد اللـه بن محمـد، معجم اليمامة (الرياض: مطبعة

الفرزدق، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

الزبيدي، محمد مرتضى تاج العروس (القاهرة: مطبعة الخيرية، ط١، ١٣٠٦هـ).

الفيروز آبادي، مجدالدين، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (القاهرة: مط مصطفى الحلبي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٧١ههـ/ ١٩٥٢م).

غاير، رودولف، الصبح المنير (بيانه: مطبعة آدولف هولزهوسن، ١٩٢٧م).

ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين بن محمد بن مكرم، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د – ت).

الهمداني، الحسن بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع (الرياض: داغر اليمامة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).

ياقوت، شهاب الدين، أبو عبد الله، بن عبد الله الحموي، معجم البلدان (بيوت: دار صادر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

الجهود النّحويّة لأبي العلاء المعرّي في "عبث الوليد"

أ.د. ناديا حسكور

جامعة حلب

الملخّص:

لأبي العلاء المعري[١] شروح كثيرة لأهم شعراء العصر العباسي هم: أبو تمام والبحتري والمتنبي، وقد سمى الأول «ذكرى حبيب»[٢] والثاني «عبث الوليد» والثالث «معجز أحمد»، والرابع «اللامع في شرح شعر المتنبي». وقد اتبع منهجًا عامًا في هذه الشروح فتميزت بسمات خاصة انفرد بها عمّن سواه. وقد رؤي في البحث أن يدرس منهج المعري وجهوده النحوية في شرح ديوان البحتري[٣] المسمّى بـ"عبث الوليد"[٤] نموذجًا على شروحه تلك، على رغم ما فيه من حزونة الجوانب ودقة المسالك، لأنه يضم ثروة من أحكام اللغة والنحو والصرف والنَّقد والألفاظ الأعجمية.

المقدّمة:

ظهر من دراسة هذا المؤلَّف أن شرح المعري لديوان أبي عبادة كان له جانبان: الأول أشبه بتحقيق دقيق لديوانٍ مخطوطٍ من الشعر، والثاني نقد لغوي ونحوي يعتمد فيه على أصول النحو من سماع وقياس وعلة واحتجاج، ويعرض آراء النحاة

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان ١/٩٤-٩٨.

(٢) الجندي، سليم، الجامع في أخبار أبي العلاء٢/٦٥٠. ورسائل أبي العلاء المعري ص٦٣-٦٤.

(٣) البحتري هو أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري، ولد في منبج (٢٠٦ -٢٨٤ هـ).

(٤) كان سبب وضع الكتاب أن أبا اليمين المسلم بن الحسن بن غياث الكاتب الحلبي النصراني صاحب الديوان في حلب أنفذ إلى المعري نسخة من شعر البحتري فأثبت المعري ما رأى فيها ليعرض عليه ذلك. ينظر: ابن العديم، الإنصاف والتحري ص ٥٤١.

واللغويين، فيرجح بعضها على الآخر معتمدًا الحجج المنطقية والعلل العقلية حينًا، والسليقة الفطرية اللغوية التي كان يمتلكها حينًا آخر.

وكانت للمعري نظرية واضحة المعالم في بحثه تقوم على ما أسميه نظرية الاحتمالات، وذلك في عرضه لما تحتمله القضية التي يبحثها من وجوه يضعّفها جميعًا حتى يبقى وجه واحد يكون هو الراجح عنده.

وقد نزع المعري إلى الاجتهاد في مواضع كثيرة، فانفرد بآراء تخصه معللًا ما يقول بحجج منطقية أو سماعية ترتكز على محفوظاته من الشعر وكلام العرب، أما مذهبه النحوي(١) فيمكن القول فيه إنه كان انتقائيًا، لأن همه كان دراسة المسألة التي يعرضها ليدلي بدلوه فيها، ويبين رأيه، رائده في ذلك منطق سليم، وعلم غزير وثروة لغوية وحافظة يقظة، ثم إنه كان حرًا مستقل التفكير(٢) كثير الاعتداد بعقله المنعتق من إسار التبعية والهوى.

للشعر في كل لغة خصائص ينفرد بها عن النثر فيصبح من المستطاع القول بوجود ما يسمى بلغة الشعر، وقد اتفق النقاد قديمًا وحديثًا على أن للشعر لغته الخاصة التي تختلف عن الكلام

---

(١) رأى إبراهيم مصطفى في بحث له قدمه للمهرجان الألفي للمعري أن أبا العلاء كان كوفي المذهب، وحذا حذوه أمجد طرابلسي وسعيد الأفغاني. ينظر في أصول النحو ص ٢٣٤.

(٢) ودليل مذهبه الانتقائي موافقته البصريين في اشتقاق الفعل من المصدر، رسالة الملائكة ص١٢٥، وموافقته لسيبويه ومخالفة الفراء في كسر حرف المضارعة إذا كان ياء. رسالة الغفران ص ٢٩٠ وموافقة البصريين في جواز حذف نون التثنية تخفيفًا، عبث الوليد ص ١٣٨.وموافقة الكوفيين في جواز حذف حرف الخفض إن دل عليه دليل، عـبث الوليد ص ١٣٣.

العادي، وكذلك فعل علماء اللغة حين نبهوا إلى أن الشعر يختلف عن غيره، وأن له مستواه الخاص وتراكيبه التي تناسب موسيقاه(١).

وقد ارتبط الشعر بالنحو العربي منذ نشأته الأولى، إذ مثّلت النصوص الشعرية أدلة نصية مؤكدة للقواعد النحوية التي بناها النحاة، وهذا أمر يُعدُّ من المسلمات البدهية، إذ كان الشعر مصدرًا مهمًا من مصادر السماع، ومن يراجع كتب النحاة يجد أنهم يكادون يقتصرون عليه في استدلالاتهم النحوية(٢). فقد ظهر الشعر في أصقاع الجزيرة العربية، وتلقاه العرب صافيًا سائغًا مفهوم المرامي والإيحاءات والظلال، من غير الحاجة إلى صوًى تفسره، وتوضح غوامضه، وعندما نشطت حركة التدوين خرج العلماء إلى البادية يجمعون الشعر لحفظه ودراسته، ومع مرور الزمن فقدت النصوص كاشفًا أصيلًا لمحتواها، وتعطلت جوانب من مراميها، لأنها بعدت عن بيئتها التي كونت بنيانها ووجهت معانيها(٣)، مما اقتضى جهودًا جديدة لتقريب الأدب إلى الجمهور، فظهرت فكرة الشروح الشعرية التي كانت ناحلة الخطوط، غامضة القسمات، في بداياتها، لكنها قدمت خدمة كبيرة للإبداع حين قامت بدور الوسيط والناقد بين الأدب والجمهور، وذلك لأن المتلقي حين لا يعاصر العمل الفني في تكوّنه ونشأته يحتاج إلى ذلك الوسيط(٤).

---

(١) محمد حماسة عبد اللطيف، لغة الشعر ص٣٥.
(٢) سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص٥٩-٦٠.
(٣) فخر الدين قباوة، منهج التبريزي في شروحه، ص ٣٠-٤٠.
(٤) محمد تحريشي، أدوات النص ص ٣٢.

ولما حلّ القرن الرابع الهجري، وهو عصر المعري، ظهرت أمامنا اتجاهات بارزة في الشروح الشعرية أبرزها الشروح اللغوية، وذلك حين تسلّم النحاة الشعر، كشروح ابن الأنباري وأبي جعفر النحاس وغيرهما، فإذا النحو في تلك المؤلفات مادة لصيقة بالشعر وشروحه، حتى إن بعض الشروح تحول إلى متون في اللغة والنحو، يصل بين أجزائها أبيات من الشعر. ولعل تصدي المعري لصناعة الشروح يمثل ذروة التطور والنضج في هذا الاتجاه، فإذا اللغة هي الدافع الأول الذي يحمل الشارح على تناول الشعر، فيخضعه لثقافته ومذهبه، ويجعل منه منفسًا لما اختزنه من رصيد لغوي ومعرفي، فتتجلى في الشروح التوجيهات الإعرابية والصرفية وتموج فيها القواعد اللغوية والأصول النحوية والخلافات المذهبية مدعومة بالحجج والأدلة والشواهد، ولعل "عبث الوليد" يمثل صورة صادقة عن هذه النوعية من الشروح، فقد تعقب المعري فيه البحتري أبا عبادة، واستقصى فيه الضرورات الشعرية التي وقع فيها، فحلّلها وفسرها وبين موقف النحوي منها، ثم نقد ذلك الشعر نقدًا لغويًا فيه كثير من التحليلات النحوية والصرفية حتى صار الكتاب بحقٍ يمثل لونًا من ألوان تلقي الشعر عند علماء اللغة.

موقف المعري من الأصول النحوية:

شكّلت الأصول النحوية من سماع وقياس واحتجاج وعلة، مداخل درسية للمعري في شرحه ديوان البحتري، وقد ظهر هذا في بحثه للمسائل الصرفية والنحوية التي عرضت له في شعر البحتري، إذ كان يلزم نفسه بتحليل تلك المسائل الخارجة عن القاعدة وعن معهود النظم، معتمدًا الأصول النحوية سماعًا

وقياسًا، فيقلِّب التراكيب على الوجوه المحتملة حتى يجد لها المخرج، ويقنع القارئ بجوازها، وهذا غريب إذ يكتفي العالم عادة ببيان وجه المخالفة للظاهرة اللغوية، ويبين وجه الصواب فيها فقط، ولعل هذا من لزوم ما لا يلزم الذي دأب المعري فيه شعرًا وبحثًا ودراسةً، ولعل هذا صورة من صور الترف اللغوي المقترن بالقدرة اللغوية، فقد رأى في قول البحتري:

أمّا مصافحةُ الوداعِ فإنَّـــها...ثَقُلتْ فما اسطاعتْ تنوءُ بها يدي

أن التقدير فيه[١]: "فما اسطاعت يدي أن تنوءَ بها فحذف (أن) وحذفها جائز، وإذا حذفها فما بعدها واقع موقع المفعول، كما يُقال: ما اسطعتُ الخروج ولا النهوض، ولا يمتنع أن يجعل الكلام على غير حذف، ويكون قوله: "تنوءُ بها" في موضع الحال، كأنه قال: ما أطاقت يدي، ويكون المفعول في النية. وإذا كانت (أن) وما بعدها في موضع نصب فالحذف حسن، فإذا وقعت موقع رفع فحذفها مكروه، كقولك: حان أن تقوم ويقبح: حان لك تقوم".

إنّ تأمُّل هذا النص يُظهر أن المعري كان دقيقًا في أحكامه واستنتاجاته يعتمد السماع ليصوغ قاعدة مفادها قبح حذف "أن" الناصبة إذا كانت مع الفعل بعدها في تأويل مصدر محله الرفع، وحسن حذفها إذا كانت مع ما بعدها في تأويل مصدر محله النصب، في حين أن النحاة لم يفصلوا في هذا الأمر من هذا الجانب، بل شغلتهم قضية حذف العامل، وهو هنا (أن)، مع بقاء عمله في نصب الفعل، وقد بحثوا كثيرًا في جواز هذا الحذف وعدمه، من هذا قول ابن هشام[٢]: "وإذا رفع الفعل بعد إضمار

(١) المعري، عبث الوليد ص١٠٠.
(٢) ابن هشام، مغني اللبيب ص٨٣٩، ويُنظر سيبويه، الكتاب ١٠٠/٣.

(أن) سهل الأمر، ومع ذلك لا ينقاس، ومنه قوله تعالى:﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾[الزمر:٦٤].

وكثيرًا ما كان المعري يضيف استطرادًا، مما هو من أخطاء العامة فيما يعرض له في شعر البحتري، من هذا ما قاله في لفظ (حِراء) الذي ورد في بيت للبحتري هو:

بِتّها والقرانُ يُصدع منها الـ...هُضْبَ حتى كادت تكون حِراءَ(١)

إذ قال فيه: "كان في النسخة حَراء بفتح الحاء، وذلك غلط، إنما هو: "حِراء" بالكسر، وقال بعض أهل اللغة تُخطئ العامة في "حِراء" على ثلاثة أصناف من الخطأ فيفتحون أوله وهو مكسور ويقصرونه وهو ممدود ويصرفونه وهو غير مصروف"(٢). ونلحظ هنا ارتباط المعري بعصره وأبناء زمانه فهو في تحليله اللغوي لشعر البحتري يعرج على ما يراه عند أبناء عصره من لحن وخروج عن الكلام العربي الفصيح المسموع.

والمعري على الرغم من اعتماده كلام العرب ورأي أهل اللغة لا يمنعه هذا من ردّ بعض آرائهم إذا كانت له رؤية خاصة تستند إلى الحجة والدليل، من هذا ما قاله في بيت البحتري(٣):

بنو الأُطروش لو حضروا لكانوا...أخصَّ مـــودةً وأعمَّ رايـا

إذ علّق على كلمة (الأطروش) فقال: "رأى بعض أهل اللغة أنها كلمة لا أصل لها في العربية، وقد كثرت في كلام العامة جدًا،

---

(١) "بِتَّها" ضمير الغائب فيها يعود لليلة التي باتها والقرآن يُقرأ فيها.
(٢) عبث الوليد ص ٢٤.
(٣) المصدر نفسه ص٢٣٤.

وصّرفوا منها الفعل، فقالوا: طرِش يطرَش. و(أُفْعول) بناء عربي كثير، ويجوز أن يكون من أنكر هذه اللفظة من أهل العلم لم تقع إليه لأن اللغات كثيرة، ولا يمكن أن يحاط بجميع ما لفظت به القبائل، وكان عبد الله بن جعفر ابن درستويهِ يذهب إلى أن كلام العرب لا يمكن أن يدرك جميعَه إلا نبيٌّ". وفي هذا الكلام نظرة علمية ناقدة ترى أن الإحاطة بلهجات القبائل جميعها أمر غير ممكن، وقد أشار عدد من الباحثين المعاصرين إلى النقص الحادث في نظام التقصي والتحري لمرويات العرب من اللغويين والنحاة(١)، وهذا ما سوغ به المعري ادعاء بعض أهل اللغة أن الكلمة غير عربية، لكنه رجّح عربيتها بسند من القياس، فوزن (أطروش): أُفْعولٌ، وهذا الوزن عربي، وليس مستبعدًا أن تكون الكلمة مستخدَمة عند بعض القبائل العربية، استنادا إلى القياس والتعليل المنطقي.

ومن هذا أيضًا أنه رأى في قول البحتري(٢):

ومن أجل طيفك عادَ مُظلمُ ليلِه...أهوى إليه من بياض نهارِهِ

أن كلمة (أهوى) غير مستعملة ويجوز أن يكون أبو عبادة سمعها في شعر أو قاسها على قولهم: هو أحب إليه من غيره، والأصل المعتمد في ذلك أن قولهم: هذا أفعل من هذا ينبغي أن يكون مأخوذًا من فعل الفاعل كقولك: هذا السيف أقطع من هذا، لأنك تقول: قطع السيف... فإن قلت: هذا الرجل أضرب من هذا، وأنت تريد أنه ضُرِب أكثر فهو غير مستعمل؛ لأن (أفعل) منك وفعل

(١) ينظر سعيد الأفغاني، في أصول النحو ص٧٦.وعلي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي ص ٦١.

(٢) عبث الوليد ص ١١٥.

التعجب إنما يبنى[1] من فعل الفاعل لا من فعل ما لم يُسمّ فاعله، فإذا قال: هذا أهوى من فلان، فمعناه أشدّ هوى منه وهو مأخوذ من "هوي الرجلُ"، وأبو عبادة لم يُرِد إلا أخذه من (هُوي)، فأما حمل هذه اللفظة على (أحبَّ) فإن تلك استُعملت في مواضع لم تُستعمل فيها هذه، لأنهم قالوا: حُبَّ إلينا، ولم يأت في ذلك هَويتُ".

وكان المعري يجيز ما سُمع عن العرب من لهجات، وإن لم تكن موضع إجماع، مقتفيًا آراء بعض النحاة على اختلاف مذاهبهم.

من هذا أنه أجاز تسكين العين من الثلاثي إذا كانت عينه من حروف الحلق الستة، وقد جاء هذا في تعليقه على قول البحتري:

---

(١) الصواب أن يقول: يبنيان، لكنها وردت في النص هكذا.

لَقعقعةُ المفتاح في رائد الضحى

أحَبٌّ إليكم من طِعان ذوي الشغْبِ[١]

إذ قال: "وقد جاء (شَغَب) في بعض الكلام، وقد شُهر القول في أن الثلاثي إذا كان أوسطه حرفًا من حروف الحلق الستة أجاز الكوفيون فيه التحريك والإسكان"[٢].

ومن هذا أيضًا أنه رأى في بيت البحتري[٣]:

وما عامك الماضي وإن أفرطَتْ به

عجائبُه إلا أخو عامِ قابـــلِ

تركيبًا وصفيًا تحول إلى تركيب إضافي هو: عامِ قابلِ، لأن الأصل فيه: عامٍ قابلٍ ولكن البحتري "أضاف (عامًا) إلى (قابل) وذلك جائز وهو مجانس لقوله: حَبُّ الحصيد... وإنما الكلام: الحَبُّ الحصيدُ، وقد زعم أبو علي الفارسي أن مثل هذا يُحسب من إضافة الشيء إلى اللفظ[٤].

والمعري، على إجلاله لما سمعه من آراء النحاة المتقدمين، لا يرى بأسًا في نقدهم أو توضيح أقوالهم، من هذا أنه ذكر لسيبويه

---

(١) يقال: رأيته رأدَ الضحى ورائد الضحى، وهو ارتفاعه حين يعلو النهار.

(٢) عبث الوليد ص٤٦.

(٣) عبث الوليد ص٢٠٢.

(٤) ذهب الكوفيون إلى جواز إضافة الشيء إلى نفسه إن اختلف اللفظان، ومنع البصريون ذلك وأولوا الكلام على حذف المضاف إذ اصل الكلام: حبّ الزرع الحصيد. ينظر ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف ٤٣٦/٢.

رأيًا في جواز مدّ المقصور في الضرورة الشعرية فعلّق عليه قائلًا: "والقياس يشهد بأن مدّ المقصور جائز، إذ كانت العرب قد زادت حروف المدّ واللين في مواضع كثيرة". وقد جاء تعليقه هذا على قول البحتري(١):

سيُغنيني الذي أغنــاك عني...فلا فــقرٌ يــدوم ولا غناءُ

فمدُّ المقصور في كلمة (غناء) ليس من الضرورات الشعرية عنده، لأن العرب تجيز هذا في القياس وهو كثير في كلامها(٢).

ومن هذا أيضًا ما رآه في قول البحتري:

وما يعتريني الذي يعتريك... بحقِّ السَّوادِ منَ الأبـخرة

إذ قال في (الأبخرة): "الأشبه أن يكون جمع بُخار وهو الأصل... وحق البخار ألا يُجمع في الأصل، لأنه مصدر فلا يحسن جمعه كما لا يُجمع الهتاف والجوار إلا أنه إذا اختلفت أصنافه جاز أن يُتأول له وجه يُجمع به كما قالوا: دعاء وأدعية"(٣).

إن الفكر اللغوي النقدي الذي تمتع به المعري جعله يخالف أحيانًا أهل اللغة؛ إذا رأى في أحكامهم ما يجانف الصواب، فقد علق على بيت البحتري:

نظرت ورأس العين منيَ مَشرِقٌ...صوامعُها والعاسمية مـغربُ

---

(١) عبث الوليد ص ٢٦.

(٢) هذا الرأي يماثل إحدى حجج الكوفيين إذ قاسوا جواز مدّ المقصور على جواز إشباع الحركات وقد أجاب عنه البصريون بحجج أخرى. يُنظر الإنصاف للأنباري ٢/٤٤٨.

(٣) عبث الوليد ص١٠٦.

فقال: "أهل اللغة يقولون إن الصواب: جئنا من رأس عين، ويكرهون دخول الألف واللام، وهذا شيء يقال وليس مما ينبغي أن يؤخذ به، بل إدخال الألف واللام في هذا الاسم أقيس وأوجب لأن تلك البلدة فيها عين ماء عظيمة... وقول من يقول: رأس عين من العرب يجري مجرى قولهم مرةً: "ابن عباس" فيحذفون الألف واللام، وإنما الأكثر العباس، فإذا سمي الشيء باسمٍ أصلُهُ أن يكون صفة أو شائعًا في الجنس مثل: عينٍ وسالم ونحو ذلك، فهو مظنة دخول الألف واللام، وإن كانوا يجرون في ذلك على العرف فيقولون محمد ولا يقولون المحمد، ويقولون الضحاك فلا يحذفونها إلا في الشعر"[١].

وفي هذا موقف من المعري يرجح فيه جواز دخول الألف واللام على ما جاء عن العرب من الأعلام منقولةً عن المشتق، وإن لم يأت بها السماع، وقد جعل ابن هشام هذه اللام لِلَمْحِ الأصل؛ إذ تشير إلى أصل العلَمِ المنقول عن المشتق، ولكنه ربطها بالسماع، وجعلَها موقوفةً عليه، فإذا جاءت في غير المسموع -كقولنا: اليزيد- كانت من قبيل الضرورات[٢]. وفي رأي المعري وجه مقبول لأنّ (الـ) في الأعلام المشتقة التي لم تُسمع فيها اللام تكون حينئذ كاللام العهدية الذهنية لأنها تدل على معهود ذهني هو معنى العلمية في الكلمة المشتقة.

أما القرآن الكريم، فكان موقف المعري منه هو موقف النحويين واللغويين قبله، إذ كان يعتمد القراءات القرآنية في

---

(١) عبث الوليد ص ٤٤.
(٢) ابن هشام مغني اللبيب ص٧٥.

الاستدلال والترجيح وهو يشرح ذلك في تعليقه على بيت البحتري:

إذا تشاكلتِ الأخلاقُ واقتربتْ...دنتْ مسافةُ بينِ العُجْمِ والعرب

فيقول: "إذا وقعت (بين) في هذا الموضع فالاختيار خفضها، وكذلك تُرفع إذا وقعت في موقع رفع كما جاء في الكتاب العزيز: {لقد تقطّع بينُكم}[النساء: ٩٤]، وأكثر القراء على الرفع ويجوز النصب". ويُفهم من هذا التعليق أن (بين) يجوز فيها الإعراب إذا أُضيفت إلى معرفة كما في البيت والآية، ويجوز فيها البناء على الفتح مع النصب على الظرفية محلًا(١).

فإذا تعددت اللهجات والاحتمالات كان ما جاء به الذكر الحكيم هو الفيصل الذي يرجح وجهًا على آخر، فقد رأى في قول البحتري:

فلعلني ألقى الردى فيريحني...عمّا قليلٍ من جوى البُرَحاء

أن "الأكثر في كلام العرب قولهم: لعلي، وبها جاء القرآن، وربما جاء: لعلني"(٢).

ويحسن في طبع المعري ما يؤدي إلى طرد القياس، وينأى عن التكلف والمبالغة في اجتلاب العلل والاسباب، وهو يكره التصرف في اللغة على غير عادة العرب، ويذم احتذاء القليل والنادر من اللفظ، ويستسيغ في مقابل ذلك ما يطرد في القياس ويوافق الكلام العربي ولذا فقد كانت له في القياس مذاهب جلية

---

(١) عبث الوليد ص ٥٥.

(٢) عبث الوليد ص٢٠.

ومسالك بينة، إذ دعا إلى القياس على المطرد فقال: "ومن بنى على غير المطرد فقد نقض القياس وخالف أصول العربية"(١).

وكان الحمل على الأكثر واحدًا من الأصول التي أنس بها المعري كثيرًا، وكان يستند إليه في الاستدلال على أصول الألفاظ، ففي تعليقه على قول البحتري(٢):

وأيّهم يُعير عليك دمــعًا...وآلِسُ دون أهلِك والدروبُ

قال: "آلس: اسم رومي، وكونه على فاعِل آثر عندي من كونه مضموم اللام؛ لأن الأعجمي إذا عُرّب وجب أن يُحمَل على الأكثر وفاعل في هذا الباب أكثر من غيره"(٣).

ومن أمثلة اهتمامه بالقياس وتقديره له أنه كان يجيز ما يبيحه القياس وإن لم تقله العرب، فالقياس يوجب أن تكون (زعموا) في بعض الأحيان بمعنى (قالوا) ولكن ذلك ليس بمعروف"(٤).

ولم يكتف المعري بالقياس على كلام العرب بل قاس على القواعد التي أصّلها النحاة، وجرى هذا المجرى كثيرًا، من هذا أنه أجاز حذف المفعول الثاني في باب "ظن" قياسًا على جواز حذف الخبر من المبتدأ، فقال: "النحويون يقولون إذا عدّي الظن إلى مفعول واحد لم يكن بد من ذكر المفعول الآخر، وإنما يحملون ذلك على معظم الكلام، وموجب القياس إذا كانوا قد حذفوا خبر

---

(١) عبث الوليد ص ٦٦.
(٢) عبث الوليد ص ٥١.
(٣) الألس: هو الخيانة وقلة العقل.
(٤) عبث الوليد ص ١١٤.

المبتدأ لعلم المخاطب به فلا يمتنع حذف المفعول الثاني من باب (ظننت) لأنها داخلة على المبتدأ والخبر(١).

وقد يعرض ما سمع من الآراء النحوية دون أن يعلّق عليها، من هذا ما رآه في بيت البحتري(٢):

وكيف يسوغ لكم جَحــدُهُ...وطلحتُــكم بعضُ طلْحــاتِهِ

إذ قال: "سكّن اللام في طلْحاته، وإنما الوجه الحركة، وتسكين مثل هذا جائز بلا اختلاف، فبعض الناس يزعم أنه ضرورة شعرية، ومنهم من يرى أنه جائز في الكلام". وهذا يعني أن الإجماع قائم على فتح العين في الجمع لِمَا كانت عينه ساكنة في المفرد، ولكن الخلاف في جواز التسكين في الجمع بوصفه ضرورة شعرية أو هو جواز في سعة الكلام.

وكان للمعري باع كبير في التعليل، وقد صال في هذا الميدان، وجال جولان اللغوي المتمكن، والنحوي العالم ذي البصيرة النافذة والحجة المقنعة، ففي بيت البحتري(٣):

سكنٌ لي إذا نأى نـــاء ليًّا..نًا ومــنعًا فازداد بالبعد بُعدا

قال: "نأى فعل غير مقلوب، و(ناءَ) استعمِل مقلوبًا، لأن وزن (نأى) فَعَلَ، ووزن "ناءَ" في الحقيقة: فَلَعَ لأن الياء جُعلت بعد النون، فاعتلت كما اعتلت ألف (باع)، وهذا داخل في نوع مجيء الشعراء باللغتين في البيت الواحد".

---

(١) عبث الوليد ص٤٦، والكتاب ١٠٧/٤و ١١٣.

(٢) عبث الوليد ص ٦٨.

(٣) عبث الوليد ص ٨٥.

وهو في تعليلاته لا يغمط المعنى حقه، إذ يستند إليه في تحديد رواية البيت أو في ترجيح رأي على آخر، من هذا تعليقه على قول البحتري[(١)]:

والنَّـــيلُ دَينٌ َتسترقّ ُبه...فارتَدْ لنفسك عند من تَدَعُهْ

إذ قال: "تسترقُّ به أي تصير رقيقًا كما يُقال... استنسر البغاث أي صار مثل النسر، وهذا أشبه من أن يكون تسترقّ أي تملك، ومن روى تُسترق على ما لم يُسمَّ فاعله فالمعنى تُستملَك... وظاهر البيت يوجب أن يكون المخاطب مأمورًا بألّا يأخذ النيل إلا من كريمٍ يصلح أن يَتحمّل له يدًا... ولا يمتنع في المعنى أن يكون السامع مأمورًا بألّا يضع الجميل إلا عند مستحقّ".

فالفعل (تسترق) مأخوذ من الرِّقة، وقد جاءت السين والتاء فيه للتصيير والتحول، لأن المعنى يكون: ستغدو بعد النيل من الكريم رقيقًا به عطوفًا عليه حافظًا لجميله ومعروفه، وقد يكون من الرقّ بمعنى المُلك، لأن المستدين سيغدو كالمملوك لمن استدان منه، والأول أرجح.

ومن عمله في التحقيق والضبط مع مراعاة المعنى وجعله موئلًا يلتجئ إليه ليتبين الوجه سليمًا صائبًا معللًا، ما قاله في بيت البحتري:

يُكبّون من فوق القرابيس بالقنا

وبالبيض تلقاهم قيامًا على الرَّكْب

---

(١) عبث الوليد ص ١٣٨.

"كان في النسخة "يَكبون" بفتح الياء، والصواب يُكبون بالضم، مِن "أكبّ"، لأن عجز البيت يدل على ذلك، يريد أنهم يمدون أيديهم بالقنا ويعتمدون في أصوله فيكبون فوق القرابيس. و"أكب" غير متعد، يقال كببته لوجهه وأكب هو"[1]. ويؤخذ على استدلال المعري هنا أن الفعل "أكب" يأتي لازمًا ومتعديًا لأنه يكون بمعنى قلبه وصرعه وبمعنى انقلب[2].

والمعري يعمل عمل المحققين المتقنين، وعمل المعجميين مستندًا إلى عقل راجح تحليلي يصف الظاهرة اللغوية ويحللها ويعللها ويستنتج الحكم عليها، مستدلًا على رأيه بمحفوظاته اللغوية من الكلام العربي المسموع، ومن هذا ما قاله في بيت البحتري:

إنَّ للبين منّةً ما تُــؤدّى...ويـــدًا في تُماضُرٍ بيضاءَ

"كان في النسخة: تَماضُر، بفتح التاء وضم الضاد، وهذا غلط، والمعروف في أسماء النساء تُماضِر، بضم التاء وكسر الضاد... وإذا قيل: (تَماضُر) بفتح التاء فهو مصدر (تَفاعُل)، وإذا ضممت التاء فأصل الاسم فعل مضارع سمي به ما سميت المرأة، وذكر ابن السراج عن قوم من النحويين أنهم جعلوا: تماضر في الأبنية التي أغفلها سيبويه، وهذا وهم لأن تماضر من قول: ماضرتْ تماضر، فإما أن يكون من اللبن الماضر وهو الحامض، فكأنه من

---

(١) عبث الوليد ص٣٦. والقرابيس جمع قرَبوس وهو من السرج، القسم المقوّس المرتفع من الأمام.
(٢) لسان العرب مادة (كبب).

ماضرت الرجل إذا أسقيته، وإما أن يكون من مضر، فكأنه ماضرته إذا ما نسبته لمُضَرَ"[1].

إن المعري في النص السابق يعتمد نظرية الاحتمالات في عرضه وجوه المسألة كافة معتمدًا فكرًا نحويًا قياسيًا يعرض وجوه المسألة مفصلًا ومحللًا ويرد بعد ذلك عن سيبويه ما قيل فيه، من أن وزن تلك الكلمة من الأوزان التي أغفلها، وذلك لأنها تحتمل عنده أكثر من وجه كما أسلف.

وقد يخونه حسن التعليل، كما حدث في مناقشته بيت البحتري[2]:

إنّ القنانيَّ وإنّ الــــندى...تِربا اصطحابٍ وأُخيّا لِدةْ

إذ قال: "فلان لدة فلان وفلانة لدة فلانة يستعملونه في المذكر والمؤنث، يريدون أنهما في سن واحدة... ويقولون: "لِدة" و"لِدون" فيجمعونه بالواو والنون لأنه منقوص. "والمعري يقصد هنا أن الكلمة منقوصة في أحرفها لأنها مصدر "ولد"، وقد حذِفت فاؤها، وهي لهذا تشبه "سنون" في جواز جمعها جمعًا سالمًا، وهذا الكلام فيه نظر، لأن المحذوف من "سنة" هو اللام والمحذوف من "لدة" هو الفاء، أما جمع لدة على "لِدون" فهو شاذ[3].

---

(١) عبث الوليد، ص٢٠.
(٢) عبث الوليد ص٩٢. والقناني منسوب إلى قنان وهم بطن من بني الحارث بن كعب بن مذحج. ينظر ابن الأثير، اللباب ٥/٣.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ولد).

ويقف المعري من الضرورات الشعرية موقف العارف أنها جواز في اللغة الشعرية ولا يرقى ليكون وجهًا جائزًا في حال السعة، ففي تعليقه على قول البحتري:

أنِسَتْ ذا وذاك إحدى وعشرو...ك بغصنٍ من الشباب طيِّبِ

يقول: "قوله: إحدى وعشروك جائز إلا أنه ليس بوجه الكلام، وإنما الواجب أن يقال: إحداك وعشروك إلا أنه حذف المضاف من الكلمة الأولى لمجيئه في الكلمة الثانية، وقبيح أن يقال في الكلام: جاءني غلام وجاريتك، وأنت تريد: جاءني غلامك وجاريتك، لأنك إن نونت غلامًا لم يبق فيه دليل على الإضافة ولا يعلم أنه غلام المخاطب إذا عدم الكاف، وإن جاءت في قولك: وجاريتك. لأنه يكون منكورًا، وإن حذفت تنوين الغلام دخل ذلك في الضرورات"(١). فللغة الشعرية إذًا أحكام خاصة عنده وهو بهذا يقرّ ما كان النحاة قد درسوه تحت عنوان: الضرورة الشعرية(٢).

تلك هي الأصول التي كان المعري يبني عليها قياسه، وهي كفيلة بأن تسلكه في أصحاب القياس من النحويين. لكنْ ثمَّة سؤال لا يزال يلح على المرء وهو: إلى أي مدى استطاع أبو العلاء أن يوفق بين استناده إلى السليقة واعتداده بالقياس(٣)؟

---

(١) عبث الوليد، ص٤٠-٤١.

(٢) درس المعري الضرورات الشعرية التي وجدها في أشعار البحتري وعلق على كثير منها، وهي تحتاج إلى بحث منفرد، لأن جهوده فيها وفي الأوزان العروضية جديرة بدراسة مستقلة.

(٣) ينظر: الحمصي، محمد طاهر، مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، ص ١٩٨.

ويجب ألا يُفهم من السؤال السابق أن هناك تعارضًا قائمًا بين السليقة والقياس، فأحكام السليقة على اللغة بالحسن والجودة أو القبح والرداءة هي نتيجة الانفعال بالمظهر الخارجي للتركيب اللغوي، ويتجلى هذا الانفعال بالإقبال على شكل الكلام أو الإعراض عنه على ضوء قياس داخلي قائم على المقارنة بما اعتيد من اللغة وأُلف منها، وكلما توطدت أواصر الألفة بين المرء والنماذج المثلى للغة، أضحت سليقته أسرع استجابة وأصدق إحساسًا، وإذا صح الكلام السابق لم يكن القياس منفصلًا عن الفطرة والسليقة، ولا خارجًا عن نطاقها، إلا إذا خرج عن أصول اللغة ومذاهبها المألوفة أو حمل على وجه من التعسف والتكلف والتأول البعيد الذي ينأى بالكلام عن روح اللغة.

منهج المعري في الاستدلال:

يعتمد البحث العلمي في دراسة الظواهر الإنسانية لوضع القواعد الضابطة والقواعد المرعية على أساليب منهجية عقلية، وأظهر هذه الأساليب الاستدلال، وهو استخدام الدليل العلمي لاستنباط الحكم أو تثبيته أو تفسيره أو تعليله أو إضعافه أو إبطاله. وهو ينشعب في ميدان الدرس النحوي شعبتين، إحداهما الاستدلال اللغوي وقد استعان به المعري كما أسلفنا حين اعتمد الأصول النحوية من سماع واحتجاج وقياس وتعليل. وأخراهما الاستدلال العقلي الذي اعتمد فيه المعري على محاكمات منطقية عقلية تستند إلى محفوظاته من الكلام العربي وجهود النحويين ودراساتهم، لكنها تبرز موقفه منها في الترجيح والتصويب والتجويز. وقد نثر المعري بين نماذج القياس والتعليل الغفيرة صورًا من أساليب الاستدلال الذهني، كأن يقيس تحليلاته

الإعرابية على تحليلات نحويين آخرين، من هذا ما قاله في بيت البحتري:

يا أبا القاسم اقتسامُ عطاءٍ...ما نــراه أم اقتسام نهابِ؟

"لا ريب أن أبا عبادة لم يرد إلا الاستفهام بهذا البيت إلا أنه حذف، كما قيل(١):

لعمرك ما أدري وإن كنت داريًا...بسبـع رمين الجمر أم بثمانِ

وألف "اقتسام" مكسورة وهي ألف الوصل، ويجوز أن يجعل: "اقتسام عطاء" مبتدأ موجبًا لا مستفهمًا، وقوله: "ما نراه" خبره، ثم يجيء بـ(أم) على ابتداء كلام آخر، فتكون الجملة الأولى مما قاله وهو غير شاكٍّ ثم استفهم لأن شكًّا أدركه. ومن هذا النحو الآية: ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝﴾ [السجدة: ١ – ٢] ثم، قال: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾[السجدة: ٣]، ولم يتقدم استفهام"(٢).

ولا يغيب التحليل الإعرابي عن المعري في تفسيره لشعر البحتري، إذ يعتمده وسيلة توجهها القاعدة النحوية ليستقيم له الكلام ويظهر له المراد، ففي قول البحتري(٣):

ولكنَّني والخالقِ البارئِ الذي...يُزارُ له البيتُ العتيقُ المحجَّبُ

لأمتسكنَّ بالوُدِّ ما ذرّ شارقٌ...وما ناح قُمْريٌّ وما لاح كوكبُ

قال المعري: "جاء هذا الكلام ملتبسًا لأنه بدأ في أول كلامه بـ(لكنّ) ثم جاء بالقسَم في قوله: "لأمتسكنّ"، فإن جعل الكلام

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة، وهو في الكتاب: ٤٨٥/١.
(٢) عبث الوليد، ص ٤١.
(٣) عبث الوليد، ص ٦٦.

محمولًا على اليمين فقد ترك (لكنّ) بغير خبر، إلا أن يضمره، كأن التقدير: ولكنني أقول. وإن جعل (لكنّ) بخبرٍ ظاهرٍ، فخبرها قوله: "لأمتسكنّ" واللام لا تدخل على خبر (لكنّ) إلا في شيء حكاه الفراء: ولكنَّني من حُبِّها لَعميدُ"(١).

وتأمّل هذا النص يُظهر اضطرار المعري إلى تأويل الخبر محذوفًا لطرد القاعدة النحوية، ولتعود الجملة إلى الصيغة المثالية التي بنى النحاة قواعدهم عليها، إذ لا يصح أن يكون خبر (لكن) مقترنًا باللام، إلا فيما هو شاذ، ثم إن جملة "لأمتسكنّ" جواب للقسم ولا تصلح لأن تسد في خبر (لكنّ). ولعل القول بأن جملتي القسم والجواب في محل رفع خبر (لكن) قياسًا على وقوع الجملة الشرطية موقع المفرد في بعض الأحيان، يغنينا عن تقدير خبر محذوف وهو ما لم يذكره المعري.

ويُذكر هنا أن المعري كان من الداعين إلى إصلاح النحو العربي وذلك بثورته على مبدأ التقدير والتأويل وكان يغيظه ما يسمع من تأويلات النحاة وتكلّفاتهم، وتخريجهم بعض الآيات على غير حقيقتها للاستشهاد بها على آرائهم الخاصة، وقد سدد سهامه إلى النحاة الذين أكثروا من التأويل والتقدير، وتعسفوا تخريج كثير من الشواهد لتستقيم مع أصول مذهبهم، من هذا أنه علَّق على قول البحتري:

فليس ينفكّ من شُكرٍ ومن أملٍ...مُكرَّرينَ بيومٍ منهمُ وغــدِ

(١) الشطر في الإنصاف ٢٠٩/١ وأنشد ابن عقيل صدره: يلومونني في حبّ ليلى عواذلي. وقد أجاز الكوفيون مستدلين به دخول اللام على خبر "لكنّ" ومنعه البصريون ورأوا أن البيت شاذ ولا يُعرف له نظير في كلام العرب.

فقال: "ومذهب سيبويه أن "ليس" ها هنا فيها ضمير وهو عنده كقولهم: "ليس خلق الله مثله"، والأشبه بمذاهب الشعراء أن تكون (ليس) ها هنا في معنى (ما) ولا يكون فيها ضمير لأنهم إذا حملوا (ما) على (ليس) في بعض المواضع، جاز أن يحملوا (ليس) عليها"[١]، ومذهب سيبويه يبعد عن مذاهب الشعراء لا سيما أصحاب الطبع الذين يُعربون بالغريزة، وإنما القياس أن يكونوا جعلوا (ليس) في هذا الموضع بمنزلة (ما) فلم يحتاجوا إلى ضميرٍ كما قالوا: ليس الطيب إلا المسك مثلَ قولهم: ما الطيب إلا المسك"[٢]. وقد علق في الموضع ذاته على تقدير ضمير الشأن اسمًا لـ(كان) في قول الشاعر:

قنافذُ درّاجون حول خبائهمْ...بما كان إياهم عطيّةُ عوّدا[٣]

فقال: "المتقدمون يرون أن في (كان) ضميرًا، يفرون من أن يلي (كان) ما انتصب بغيرها، والأشبه بمذاهب العرب أن يكون (عطية) مرفوعًا بـ(كان) و(إياهم) منصوبًا بـ(عوّد)"[٤].

ولا يكتفي شيخ المعرة بعرض المسألة التي تظهر له في البيت المراد تحليله وتفسيره بل يعمد إلى استعراض الكلام العربي ليبين بدراسة استقصائية تطبيقية موضع تلك الظاهرة

---

(١) عبث الوليد ص ٨٠.والكتاب ٢٨/١ و٣٣ و٣٥.
(٢) عبث الوليد، ص٨٠.
(٣) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه، ص٢١٤.
(٤) عبث الوليد، ص ٨١.وقال ابن هشام: "إن "عطية" مبتدأ و"إياهم" مفعول "عوّد" والجملة خبر كان واسمها ضمير الشأن، وقد خفيت هذه النكتة على ابن عصفور فقال: هربوا من محذور وهو أن يفصلوا بين بين "كان" واسمها بمعمول خبرها فوقعوا في محذور آخر وهو تقديم معمول الخبر حيث لا يتقدم خبر المبتدأ". المغني ص٦٧٥.

التي يتحدث عنها مما سمع عن العرب. ففي تعليقه على قول أبي عبادة:

فلِلرَّقةِ[١] البيضاءِ يوم اجتماعنا...يدٌ لك بيضاءٌ يقِلّ لها حَمدي

رأى في صرف (بيضاءٍ): "أن هذا الفن من صرف ما لا ينصرف قليل، وإنما يكثر استعماله فيما كان بعد ألف جمعه حرفان أو ثلاثة مثل مساجد وقناديل، فأما مثل حمراء وصفراء فذلك فيه قليل جائز بالإجماع، إلا أنه قلما يتردد في الشعر القديم"[٢].

إن هذا الحكم للمعري هو نتيجة تتبع واستقراء للكلام العربي، وهو بحكمه هذا يفصّل فيبين ما هو جائز قاعديًا وما هو كثير في الاستعمال، وهذا باب من الاستدلال الذهني برز جليًا في عمله اللغوي وهو يُظهر نظرة تشير إلى تمييز المعري بين الواقع اللغوي والتصور القاعدي. وتنبه إلى ضرورة اعتماد درسنا اللغوي على الواقع الاستعمالي للغة والتركيز عليه في التدريس، لأنه الطريق للوصول إلى متعلم يتقن اللغة قولا وفهمًا وكتابة.

ومن هذا أيضًا ما قاله في بيت البحتري:

ورَحَضْتَ قِنَّسرينَ حتى أُنقيتْ...جَنَباتُها عن ذلكَ البِرطيلِ

إذ رأى أن: "البرطيل تستعمله العامة في معنى الرشوة ولا يُعرف في الكلام القديم، وهو في كلام العرب حجر مستطيل... وقول

---

(١) الرّقة: مدينة مشهورة على الفرات.
(٢) عبث الوليد، ص ٩٣.

العامة مأخوذ من هذا اللفظ، يريدون أن الرشوة حجر قد رُمي بها من يُخاصِمون، ولعلَّهم شبّهوه بالكلب الذي يرمونه بالحجر"[1].

وقد يُضطر المعري إلى تخطئة البحتري إن لم يجد لقوله وجهًا، مستدلًا بالنقل والسماع والمحاكمة العقلية، ففي قول أبي عبادة:

إمّا غنـــيٌّ زاد في إغنائهِ...أو مُقترٌ يُعدى على إقتارهِ

رأى المعري أن الشاعر أخطأ في قوله هذا، لأنه لا بد من تكرار(إما) ولا يجوز مجيء (أو) هنا وقال في هذا: "جاء بـ(إما) ثم جاء بعدها بـ(أو) وإنما الوجه أن تُكرَّر في التخيير والشك والإباحة، فيقال: جاءني إما فلان وإما فلان، وجالس إما أخاك وإما جارك، واشرب إما العسل وإما اللبن، و(أو) ضعيفة في هذه المواضع كلها"[2].

ومن هذا أيضًا ما عاب فيه على البحتري قوله[3]:

أمولعةً بالبـين ربَّ تفـرّقٍ

جرحتِ به قلبًا بحبّك مـولعا

ومن عاثرٍ بالشيب ضاعف وجدَه

على وجده أن لم تقولي له: اربعا

---

(١) عبث الوليد، ص ١٩٩، ولسان العرب مادة برطل وفيه أن من معانيها الحجر المستطيل وخطم الكلب.
(٢) عبث الوليد، ص١١٩.
(٣) عبث الوليد، ص ١٣٣.

إذ قال: "إن صحت الرواية فهو لفظ رديء، لأنه قال: رُبَّ تفرُّق، ثم قال: ومن عاثر، وإنما هذا من مواضع (كم)، فيصح اللفظ إذا قال: كم من تفرق، وإذا كانت الرواية على ما وُجد احتاج أن يُضمر "كم" وذلك قليل مفقود وقد يجوز فيه وجوه غير هذا الوجه، ولكن الشعر لا يحتملها لأن مذهب القائل معروف ولو قال: وكم عاثرٍ لسلم الكلام من التعسف".

ومن مظاهر استدلاله، القول بالاستحسان وهو معارضة القياس الجلي. فقد اعتمد على السليقة والغريزة في ردّ ما هو جائز في العربية، يقرّه القياس، نحو قوله في التعليق على بيت البحتري[١]:

قصة التل فافهموها عُجابةْ...كان في مثلها تطول الخَطابةْ

"يجوز أن تُجعل "الخطابة" مرتفعة بـ(كان) فيكون التقدير: "كان الخطابة تطول في مثلها"، إلا أن الذي ينفّر من ذلك أن الخطابة فيها علَم التأنيث... وصار التقدير: كان الخطابة تطول". فيكون المؤنث قد ذكّر، وذلك جائز فيما لا حقيقة[٢] كالمصادر وما جرى مجراها... إلا أنه مع جوازه رديء".

وعلى العكس من ذلك قد يصحّح لفظًا غير مستعمَلٍ، لأن القياس يجيزه، وهذا ما فعله حين حلّل بيت البحتري[٣]:

وفتى بني عبسٍ وما زال الفتى...منهم إذا بلـــغ المدى يشدوكا

---

(١) عبث الوليد، ص ٥٢.
(٢) العبارة قلقة ويبدو أن تحريفًا أصابها، إذ المعنى: في ما لا حقيقة لتأنيثه وهو المؤنث المجازي.
(٣) عبث الوليد، ص ١٦٢.

فقال: "إذا رويت (يشدوكا) بالشين فهي لفظة غير مستعملة إلا أن الاشتقاق يحتملها لأن الشدا من الشيء القليل منه والطرف، ومنه قيل: شدا بالغناء، إذا رفع صوته رفعًا قليلًا، وشدا من العلم شيئًا، إذا أخذ منه يسيرًا....فيكون معنى "يشدوك" أي يأخذ قليلًا من أخلاقك، ومن روى "يجدوك "فمعناه: يطلب جداك، ومن روى "يحدوك" بالحاء فمعناه يتبعك.

وقد يعتمد في استدلاله على ترجيح ما هو أولى لقربه من السليقة والغريزة والطبع السليم، ففي قول البحتري[1]:

تغنَّموا السّلمَ إنَّ الحربَ تُوعِدُكُمْ

يومًا تعود به صِفّونَ والجَمَلُ

علّق على (صفون)، فقال: إنها وأمثالها من الكلمات تحتمل وجهين، أحدهما أن تُقرَّ الياء في كل الوجوه وتكون الكلمة (صفّين)، وتُجعل علامات الإعراب على آخرها. والآخر أن يكون الاسم بواوٍ في الرفع وياء في النصب والخفض، وتُفتَح النون في ذلك كله، على أنها جمع سالم، وكان الأحسن في البيت أن يقول: صفّين. فيقر الياء ويعرب النون، ويخلص من أن يكون أول الاسم مكسورًا ثم تجيء الضمة وليس بينها وبين الكسر إلا الفاء الساكنة وهي الأولى من الفاءين اللتين وقع بهما التشديد. وهذا يدل على أن المعري يذهب بطبعه إلى ما هو خفيف على اللسان قريب من الغريزة في ميل الإنسان إلى الأبسط والأخف في كلامه.

---

(١) عبث الوليد، ص١٨٩.

ويعتمد المعري في تحليلاته ومناقشاته النحوية ضربًا من الاستدلال يسمّى قياس الخلف وهو أسلوب ذهني يكون فيه إثبات المطلوب بإبطال نقيضه، نحو ما قاله في بيت البحتري(١):

وقفتُ وأوقفْتُ الجوى موقف الهوى

ليالِيَ عُودُ الدهر فَينانُ مُورقُ

إذ رأى أنَّ البحتري "ترك صرف (فينان) والأجود صرفه، لأنهم قالوا لِمّةٌ فينانةٌ، فدل ذلك على أنه فيعال، وإنما أصل اشتقاقه من (الفنن) وهو الغصن المتشعب... ولو أنَّ (فينانًا) من (فَعلان) لوجب أن تكون أنثاه (فينى) ولم يُستعمل ذلك"، فقد استدل المعري على أن"(فينان) وزنها (فيعال) وليس (فعلان)، وذلك بإبطال هذا الأخير بدليل عدم استخدام مؤنثه وهو (فينى)، ورتب على هذا التحليل حكمًا نحويًا وهو أن الكلمة مصروفة.

والمعري يعتمد مبدأ المقارنات بين البحتري وأقرانه من الشعراء، منهجًا استدلاليًا ليصدر أحكامًا نقدية تعتمد الاستقصاء والتحري، فقد رأى في قول البحتري:

وفيها ما تردّ به الظَّمـــــاءَ وتُذهبُ السَّغبا(٢)

"أن الشاعر مدّ (الظَّماء) وذلك رديء وهو(٣) كثير الجرأة على مثل هذه الأشياء، وإنما يتبع أبا تمام في كثير مما يستعمله، فكأنه أخذ مدّ الظمأ من قوله:

---

(١) عبث الوليد، ص ١٥٤.
(٢) السغب: الجوع.
(٣) أي البحتري.

يكفيكه شوقٌ يطيل ظماءه...فإذا سقاه سقاه سمّ الأسودِ"[١]

وهو يتتبع نظائر قول البحتري في كل ما يحفظ الشعراء القدماء نحو: عنترة وعبيد ابن الأبرص والقطامي والراعي والرمّاح، وغيرهم كثير[٢].

ومن أحكامه النقدية اللغوية التي أوصله إليها التتبع والاستقصاء والاستدلال الذهني قوله في همزة الوصل: "لقد جرت عادة أبي عبادة بقطعها في المصادر كثيرًا وهذا ضرورة"[٣].

ومن أحكامه التي قاده إليها الاستقراء أيضًا قوله: "والنسب باب تغيير لا يطرد فيه القياس"، وهذا الحكم دفعه إلى قبول كل أشكال النسب في الكلمة الواحدة فقد صحّح النسبة إلى كسرى بقولنا: كِسريّ وكِسرَويّ وكَسرويّ وكَسريّ[٤]. وهذا يدل على انفتاح عقله ومرونته في دراسة المادة اللغوية.

ومن هذا أيضًا، أنه ناقش استطرادًا جواز دخول "الـ" على (بعض) و(كل)، فقال: "كان المتقدمون من أهل العلم ينكرون إدخال الألف واللام على (كل) و(بعض) وُيروى عن الأصمعي أنه قال كلامًا معناه: قرأتُ آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحنًا إلا في موضع واحد وهو قولة: العلم أكثر من أن يحاط بكله فخذوا البعض. وكان أبو علي الفارسي يزعم أن سيبويه يجيز إدخال

(١) عبث الوليد، ص ٦٠.
(٢) تنظر الصفحات: ٦٦، ٧٠، ١٠٠، على سبيل المثال.
(٣) عبث الوليد، ص ١٠٤.
(٤) عبث الوليد، ص ٢١٤.

الألف واللام على (كل)... والقياس يوجب دخول الألف واللام على (كل) و(بعض). ومن أحكامه أيضًا قوله في"تخفيف الهمزة إذا كانت لامًا في الفعل أو الاسم في نحو: قرا التي أصلها: قرأ: "إن هذا التخفيف كثير لأن الأواخر يلحقها التغيير أكثر من لحاقه الأواسط والأوائل"(١).

إنَّ المعري في تأليفه يعتمد الاستقصاء إذًا على أنه باب من أبواب الاستدلال التي يعتمدها؛ إذ يقرن النظير بنظيره في البحث ويذكر المتشابه والمتقارب والمضاد والمخالف وما أشبه ذلك، فقد تمر به الكلمة فيلحّ عليها بالبحث حتى لا يكاد يدع شيئًا يتعلق بها أو بحكمها إلا أتى عليه، وأظهر رأيه، ممّا يُجلي ولعه بالبحث والتحقيق وقدرته على التقصي وإيراد الأشباه والنظائر والشواذ والنوادر والاستشهاد بما يناسب على كل ما يورده من الأحكام الموافقة والمخالفة.

وقد برهن المعري في معظم ما كان يذهب إليه في النحو والصرف على طبع قويم وإحساس مرهف بيد أن في النفس شيئًا من بعض ما جنح إليه، من مثل قوله بوجوب اقتران (لم) بالفاء إذا وقعت في جواب الشرط، وقد ذكر هذا في معرض كلامه على بيت البحتري(٢):

أو أغفلوا حُجّةً لم يُلفَ مُسترقًا...لها وإنْ يَهموا في القول لا يهِمِ

حين قال: "وإذا قيل: إن يهموا لم يهم، فلم يُجَب الشرط بجوابه، لأنه ينبغي أن يُجاب بالفعل أو بالفاء أو بـ(إذا) كما قال: {وإن

(١) عبث الوليد، ص٢٣٣.
(٢) عبث الوليد، ص ٢٠٨.

تُصبهم سيئةٌ بما قدَّمتْ أيديهم إذا هم يقنطون} [الروم: ٣٦]. وإنما هذا الموضع من مواضع (لا)، إذ كان دخولها نظير خروجها، لأنهم يقولون: إن تقم أقم، فإذا أدخلوا (لا) قالوا: إن تقم لا أقم، وكأن (لا) معدومة في اللفظ وإن كانت قد أحدثت معنى". وهذا فيما أرى ينبو عنه الحس ويتجافى عنه الطبع، ودليل ذلك أن فطرة المعري لم تستجب له فيما ذهب إليه، فثمة أمثلة كثيرة من كلامه تخرج عمّا أصّله من وجوب اقتران (لم) بالفاء في جواب الشرط[١] من نحو قوله: "وإذا أجروا على بعض الأسماء حكمًا من حذف أو زيادة لم يُجروه على نظيره"[٢]. ومثله أيضًا: "وإذا سمّوا به الرجل لم يصرفوه"[٣].

منهجه التعبيري:

يجمع أبو العلاء في شرحه مسائل اللغة والنحو والبلاغة والعروض والنقد المنطقي، ويعتمد منهج الانتقائية في شرحه، فيتناول الأبيات التي يرى فيها لفتةً لغويةً أو نكتةً نحويةً جديرةً بالتعليق ويغفل ما دون ذلك، ثم يعلّق على تلك الأبيات فيحشد في شرحه لها القضايا اللغوية أو النحوية التي تثيرها ويستعرض محفوظاته من اللغة والكلام العربي فيرجح ويصوب ويخطّئ، ويشرح ما يظنّه خافيًا على الجمهور في مسارب تتوزع بين موافقات ومفارقات، يتخللها استطرادات كثيرة فيها إثارة لأنواعٍ

(١) مما هو جدير بالذكر أن الرضي والأشموني أجازا اقتران (لم) بالفاء في جواب الشرط. ينظر ابن هشام، مغني اللبيب، ص٦٤٧. وشرح الأشموني على الألفية، ٢١/٤.

(٢) المعري، رسالة الملائكة، ص ١٢٩.

(٣) ينظر المصدر نفسه، ص٢٧٢ و١٣١.وللاستزادة ينظر المعري، الفصول والغايات، ص ١٤٥ ورسالة الغفران ص ١٢٢.

من المعارف عديدةٍ تناسب المقام، تدفعه إليها سعة اطلاعه وكثرة علمه، وهو في عمله هذا يحاول دفع القصور عن البحتري، إذ يجدّ في أن يجد لكلامه وجهًا، أو أن يبحث له عن مداخل لغوية وفنية تسوغ له ما قد يبدو في شعره من اضطراب، فإذا أعياه الأمر أقرّ بخطأ الشاعر وردّ كلامه، وسجل ذلك عليه باحتراس وصاغ ذلك بأسلوب العالم المحقق الرزين، وبيّن ضعفه وعدم موافقته لكلام العرب.

والمتتبع لأسلوب المعري في شرحه يلحظ كثرة المترادفات في كلامه وهذا يدل على ذخيرة لغوية عظيمة، ويلحظ أيضًا في إملاءاته النزعة التعليمية التي كانت حاضرة في عرضه للاحتمالات وكأنه يردّ جوابًا لسائل يحاوره ويناقشه، ولهذا كله طغى الاستطراد النحوي والصرفي على الشرح المعنوي في عبث الوليد، فصار شرحًا ليس بالمعنى المألوف للكلمة، فالعناية فيه باللغة وعلومها ظاهرة جدًا، وقد يظن القارئ أنه مبالَغ فيها، لكنه لا يلبث أن يعدل عن هذا الرأي لما يلمس فيه من خصوصية لغوية كانت سائدة في عصر المعري.

والمعري يقدم في هذا الشرح نصوصًا نحويةً علمية مقرونة بدراسة تطبيقية للمادة اللغوية التي استخدمها البحتري، والكتاب يُعد بحقٍّ تعبيرًا عن عالم لغوي و نحوي جادّ، يعرض فيه فكره وثقافته واستنباطه للأحكام واستدلاله عليها بأساليبه المنهجية التي ارتآها.

* * *

الخاتمة والنتائج

لم تكن الكتابة عن المعري في مؤلفه: "عبث الوليد" بالأمر اليسير، ذلك أنه شخصية موسوعية يظهر فيها الفيلسوف الشاعر والعالم الأديب والناقد النحوي اللغوي، ويمكن القول: إن تفسير المعري لديوان البحتري هو دراسة للمادة اللغوية الناجزة التي استقرى المعري عناصرها المكونة، وعرضها على التحليل منطلقًا من علم غزير واطلاع واسع، فتراه يعرض التراكيب، ويستنبط منها الأصول الضابطة والأحكام الراجحة، مستندًا إلى مرجعيته المعرفية في النحو والصرف، فقد أمعن في البحث فيهما وتعلم القواعد الكلية وما شذ منها واطلع على كثير من الأحكام الراجحة وما يؤيدها والأحكام الضعيفة التي حاول أصحابها تقويتها بالأدلة الواهية والشّبَه الزائفة فرأى في الكثير منها ما لا تقبله العقول الصحيحة ولا النقول الثابتة بل تشهد لبطلانه القواعد المشهورة والأقيسة المؤيدة بالأدلة الواضحة والحجج الراجحة. لذا فإنه جاء ممثلًا لفكر المعري ومنهجه العقلي.

المصادر والمراجع

الأشموني، نور الدين علي بن محمد الأشموني:
شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، د.ت (مطبوع مع حاشية الصبان).
الأفغاني، سعيد، ١٩٦٣:
أصول النحو، دار الفكر، دمشق، د. ت.
الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد:

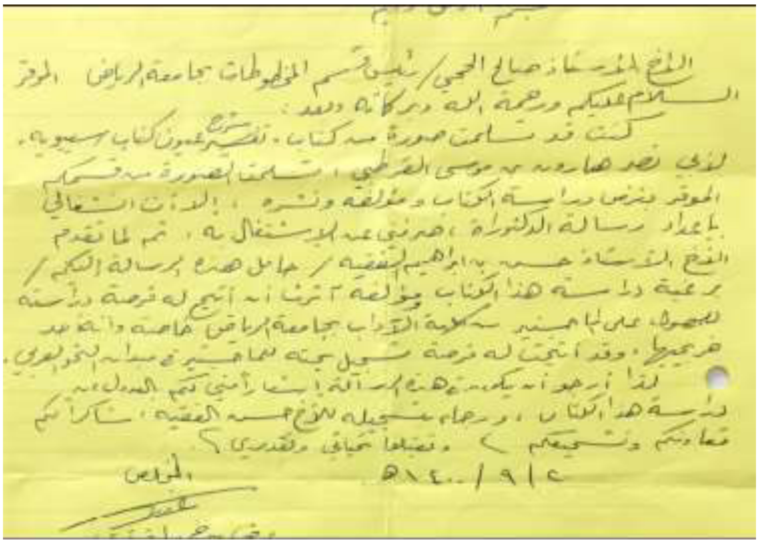
الإنصاف في مسائل الخلاف، تح محيي الدين عبد الحميد، د.ت.
تحريشي، محمد، ٢٠٠٠:
أدوات النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
الجندي، محمد سليم، ١٩٦٢:
الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره، المجمع العلمي العربي، دمشق، ط١.
الحمصي، محمد طاهر، ١٩٨٦:
مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها، سوريا، دمشق، ط١.
الحموي، ياقوت، ١٩٣٨:
معجم الأدباء، مصر.
ابن خَلِّكان، أحمد بن محمد:
وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، ١٤١١ هـ-١٩٩١م:
الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ط١.
الطيبي، حسان، ٢٠٠٥:
رسائل أبي العلاء المعري، دار المعرفة، بيروت، ط١.
عبد اللطيف، محمد حماسة، ١٤١٦ هـ١٩٩٦م:
لغة الشعر، دار الشروق، القاهرة.
ابن العديم، عمر بن أحمد بن عقيل، ١٩٤٤:

الإنصاف والتحري، نشر في كتاب بعنوان: تعريف القدماء بأبي العلاء لمجموعة من الأساتذة، بإشراف طه حسين، القاهرة.
الفرزدق، همّام بن غالب:
الديوان، ١٩٣٦،جمعه وحققه عبد الله إسماعيل الصاوي القاهرة، ط١.
قباوة، فخر الدين، ١٩٧٤:
منهج التبريزي في شروحه، المكتبة العربية بحلب.
المعري، أبو العلاء، ٢٠٠٥:
-رسائل أبي العلاء المعري، تحقيق حسان الطيبي، دار المعرفة، بيروت ط١.
-رسالة الغفران، ١٩٣٨، تحقيق كامل الكيلاني، دار المعارف مصر، ط٣.
- رسالة الملائكة، ١٣٦٣ هـ، تحقيق محمد سليم الجندي، دمشق.
- عبث الوليد، ١٩٧٠، مكتبة النهضة المصرية، قدم له شكيب أرسلان والدكتور محمد حسين باشا هيكل، ط٨.
- عبث الوليد، ١٩٧٨، تحقيق ناديا علي الدولة، الشركة المتحدة للتوزيع، مصر، ط١.
- الفصول والغايات، ١٩٣٨، تحقيق محمود حسن زناتي، القاهرة.
أبو المكارم، علي، ١٣٩٣هـ١٩٧٣م:
أصول التفكير النحوي، منشورات الجامعة الليبية، بيروت، دار الثقافة.
ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ١٣٠٠ هـ:

لسان العرب، دار صادر، بيروت.
ابن هشام، جمال الدين، ١٩٧٩:
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط ٥.

ملاحق

ملحق (١)



بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأستاذ صالح الحجي / رئيس قسم المخطوطات بجامعة الرياض الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

كنت قد تسلمت صورة من كتاب «شرح عيون كتاب سيبويه» لأبي نصر هارون بن موسى القرطبي، تسلمت الصورة من قسمكم الموقر بغرض دراسة الكتاب ومؤلفه ونشره، إلا أن انشغالي بإعداد رسالة الدكتوراه صرفني عن الاشتغال به، ثم لما تقدم الأخ الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه / حامل هذه الرسالة الكريم / برغبة دراسة هذا الكتاب ومؤلفه آثرت أن أتيح له فرصة دراسته للحصول على الماجستير من كلية الآداب بجامعة الرياض خاصة وأنه من خريجيها، وقد أتيحت له فرصة تسجيل بحثه للماجستير في ميدان النحو العربي.

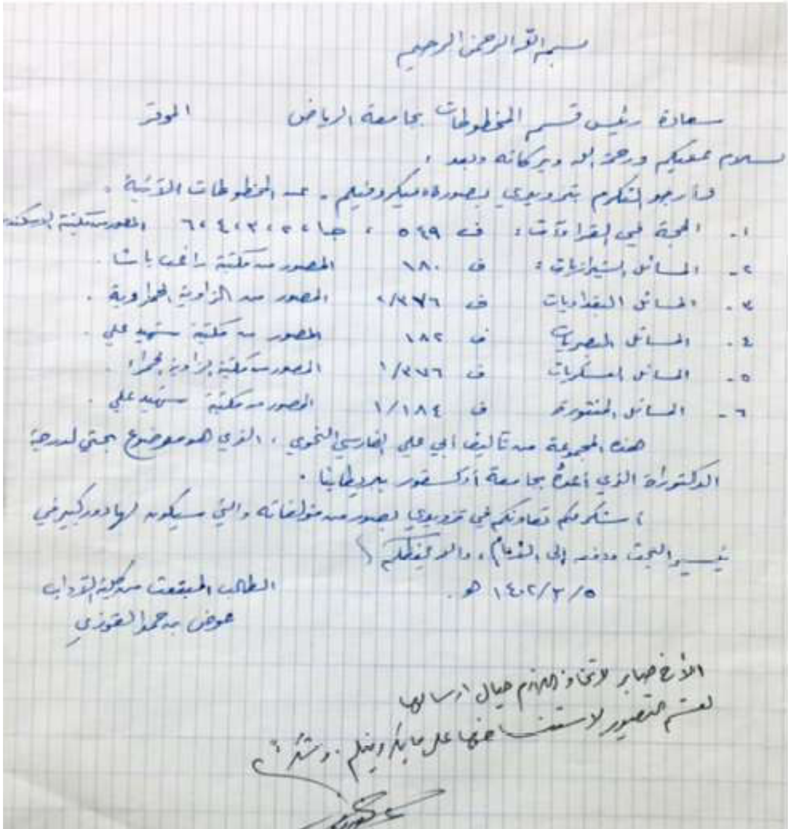
لذا أرجو أن يكون في هذه الرسالة إشعار أنني تم العدول عن دراسة هذا الكتاب، وأرجو تسجيله للأخ حسن الفقيه، شاكرًا لكم تعاونكم وتشجيعكم، وتقبلوا تحياتي وتقديري.

٢/٩/١٤٠٠هـ

المخلص

[illegible]

ملحق (٢)


بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة رئيس قسم المخطوطات بجامعة الرياض الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فأرجو إشعاركم بتزويدي بصورة ميكروفيلم من المخطوطات الآتية:

١. الحجة في القراءات: ف ٥٩٩، جـ١، ٢، ٣، ٤، ٦ المصور من مكتبة الإسكندرية

٢. المسائل الشيرازيات: ف ١٨٠ المصور من مكتبة راغب باشا.

٣. المسائل البغداديات ف ٢/٤٧٦ المصور من الزاوية الحمزاوية.

٤. المسائل البصريات ف ١٨٢ المصور من مكتبة شهيد علي.

٥. المسائل العسكريات ف ١/٤٧٦ المصور من مكتبة الزاوية الحمزاوية.

٦. المسائل المنثورة ف ١/١٨٤ المصور من مكتبة شهيد علي.

هذه المجموعة من تآليف أبي علي الفارسي النحوي، الذي هو موضوع بحثي لدرجة الدكتوراة الذي أعده بجامعة أكسفورد ببريطانيا.

وشكراً لكم تعاونكم في تزويدي بالمصور من مخطوطاته والتي ستكون لها دور كبير في تيسير البحث ودفعه إلى الأمام، والله يحفظكم.

٥/٢/١٤٠٢ هـ.

الطالب المبتعث من كلية الآداب

عوض بن حمد القوزي

الأخ صابر لاتخاذ اللازم حيال إرسالها لقسم التصوير لاستنساخها على مايكروفيلم، وشكراً

ملحق(٣)



المملكة العربية السعودية
جامعة الرياض
عمادة شؤون المكتبات
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

بسم الله الرحمن الرحيم

طلب تصوير

اسم طالب التصوير وعنوانه
الغرض من التصوير
تاريخ تسلم الطلب ‎/ ١٠ / ١٣٩٩هـ
توقيع صاحب الطلب

نوع التصوير	ميكروفلم	استنساخ ميكروفلم	طبع ميكروفلم	فوتوستات

المادة المطلوب تصويرها	العنوان أو الموضوع	المؤلف	الرقم العام

المقاس والتكبير	٦٠×٥٠ سم	٤٠×٣٠ سم	٢٤×١٨ سم	١٨×١٤ سم	١٤×١٠ سم
عدد النسخ المطلوبة					

موافقة عميد شؤون المكتبات: ☑ بالثمن ☐ بالمجان التوقيع

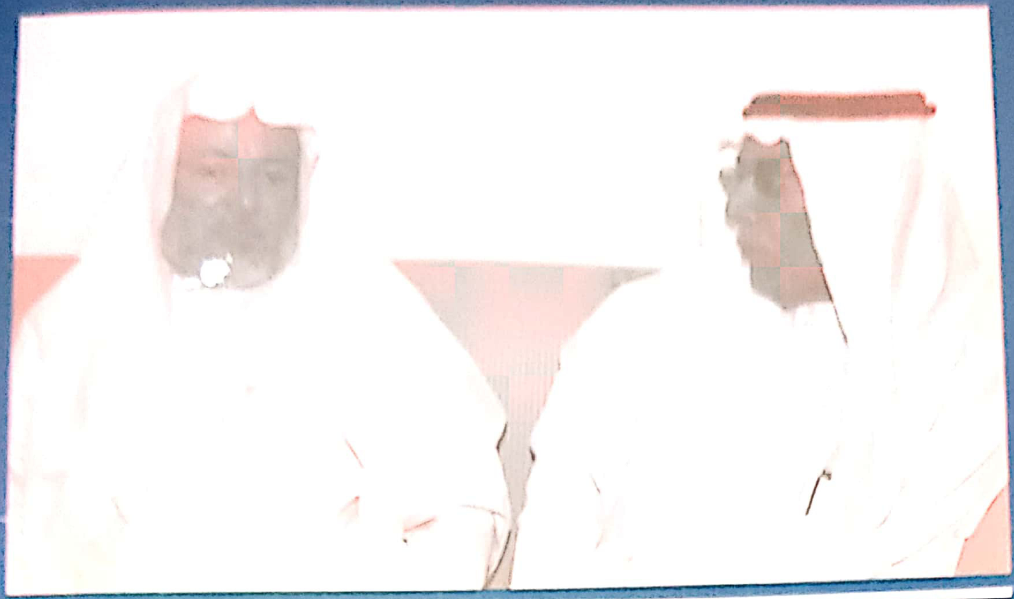
تنفيذ الطلب

الرقم

نوع التصوير	عدد اللقطات: ميكروفلم	عدد اللقطات: ورق - مقاس	سعر اللقطة للقطعة	القيمة الإجمالية: ه	القيمة الإجمالية: ريال	رقم إيصال القيمة وتاريخه

منفذ الطلب
التوقيع
اعتماد رئيس قسم المخطوطات
التاريخ

المنفذ الطلب
المستلم
التوقيع
التاريخ



أ.د. مرزوق بن تنباك　　　　أ.د. عوض بن حمد القوزي

لي مع الدكتور عوض القوزي صلة ملازمة منذ أن وطئنا كلية الآداب طالبَين إلى أن تفرّقنا قبل أسبوعين، وما افترقنا إلا في العمل والنوم، وأشهد عند الله أني لم أعرف رجلًا في سماحة عوض، خُلقًا وعونًا لمن يطلب منه العون، سواء كان ماديًا أم معنويًا، وأكثر ما نحتاجه منه كزملاء العون المعنوي، فقد كان سمحًا في تعامله ورفيقًا بمن معه، سافرنا كثيرًا، ودرسنا معًا، سافرتُ معه في كل المناطق، وآخرها في هذا الصيف، ذهبنا إلى أستراليا ونيوزيلاندا والصين وفيتنام وإندونيسيا، ورجعنا بعد أربعين يومًا، لا أعرف يومًا منها رأيتُ منه حِدّة، لم أجده يومًا ثار أو غضب، وما لمستُ منه شيئًا أكرهه أو شيئًا يسوء الصحبة، والصفات التي يمتاز بها عوض لا تكلّف فيها، هي صفات طبيعية، وعرفتُه قارئًا حافظًا لكتاب الله، وصوته من أجمل الأصوات في القراءة، وكان يسجّل أشرطة عندي بعضها، ونستمتع بسماعها، والدكتور كتب عن صلاته وإمامته، وكان مدرّسًا في مدرسة تحفيظ القرآن في مكة المكرّمة، وكان ملتزمًا بالدّين، ولم يكن متطرفًا بل كان سمحًا في تعامله، وثمة أشياء أخرى ما كنا نعرفها كإنفاقه على المحتاجين، وعرفنا بعضها بعد وفاته، فقد وصلتني رسالة بعد وفاته يقول صاحبها إن الدكتور علّمه وأنفق عليه طيلة فترة تعليمه، مع أنّ الدكتور عوضًا ليس بذي مالٍ كثير، وعوض ليس مميّزًا في الجانب الإنساني فقط بل هو مميّز في الجانب العلمي أيضًا، وهو شاعر وله كثير من الشعر ولكن لا ينشره ولا يهتم به، وقد حثثتُه مرةً أن ينشر شيئًا من شعره ولكنه رفض، وقد حضرتُ معه عددًا كبيرًا من المؤتمرات، ولا نأتي إلى مؤتمر إلا يمتاز على الحاضرين بإلقائه وبجودة ما يقدّمه في المؤتمر، ولهذا السبب اختير عضوًا في مجمعَي اللغة العربية بدمشق والقاهرة، وله صلة كبيرة بالجمعيات التي تهتم بالتراث، وهو عضو في جمعية لسان العرب وجمعية خدمة اللغة العربية وغيرهما، وهي جهود مركّزة وتذهب مذهب العمل الأكاديمي الذي لا يبحث عن الأضواء وإنما يبحث عن الحقيقة والفائدة.

مرزوق بن تنباك



ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٨٧٥٠٠